أكاديمية تفسير
TAFSEER ACADEMY

برنامج السعدي – المستوى الثاني 2018

تفريغ محاضرات مقرر

"أصول التفسير"

للدكتور/ أحمد عبد الله آل عبد الكريم

(بتصرف)

إعداد:

فريق عمل تفريغ المحاضرات

تحت إشراف:

رئيفة درويش

22 ذو القعدة 1439 هـ / 4 أغسطس 2018 م

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه المذكرة هي تفريغ للمحاضرات التي ألقاها الدكتور *أحمد بن عبد الله آل عبد الكريم* في مقرر **أصول التفسير** الذي تقدمه **أكاديمية تفسير** ضمن برنامج السعدي المستوى الثاني، العام الدراسي 2018. وتقوم الأكاديمية بتوفير هذه المحاضرات لطلابها على موقعها الرسمي في صورة فيديوهات مرئية.

يتلخص دورنا في إعداد هذه المذكرة في الآتي:

- قمت بتكوين فريق عمل من المتطوعين والمتطوعات وأطلقت عليه اسم "**فريق عمل تفريغ المحاضرات**".
- أقوم بتوزيع مهام العمل على أعضاء هذا الفريق حسب إمكانيات وقدرات وظروف كل عضو، ثم متابعتهم والإشراف عليهم وفق جدول زمني محدد.
- يقوم العضو المكلَّف بسماع المحاضرة وتفريغ محتواها حرفياً كما نطق بها الدكتور المحاضر، ولا يغفل عن كلمة.
- يقوم عضو آخر، أحياناً، بالمراجعة الأولى لهذا التفريغ للتأكد من عدم وجود أي سقط أو سهو في التفريغ، وتصحيح أي خطأ لغوي، ثم يقوم بتخريج آيات القرآن، وتخريج الأحاديث إن أمكنه ذلك.
- ثم يأتي دوري بعد ذلك في المراجعة النهائية بعد سماع المحاضرة مرة ثانية للتأكد من اكتمال محتواها، فأقوم بالآتي:
- أبدأ بمراجعة النص المكتوب الذي قام بتفريغه عضو فريق التفريغات، وتدقيقه لغوياً، ومراجعة تخريج آيات القرآن، ومراجعة الأحاديث النبوية ونقل تخريجها إن تيسر ذلك، ثم أقوم بمراجعة وتصحيح كافة الأسماء التي تم ذكرها في المحاضرة سواء أسماء أشخاص أو أسماء كتب.
- أقوم بكتابة ما احتوت عليه المحاضرة من موضوعات وعناصر وعناوين فرعية وأضعها في موقعها المناسب من المحاضرة.
- أبحث في المراجع الرئيسية للمقرر والتي وضعتها الأكاديمية في مكتبة الإسناد، ومراجع ومصادر أخرى خارجية، عما احتوت عليه المحاضرة من موضوعات وأقرأها جيداً.
- استعين بكل هذه المصادر في ضبط صياغة نص المحاضرة باستخدام الألفاظ العلمية الصحيحة، واللغة العربية السليمة، وإذا لزم الأمر أقوم بحذف بعض الفقرات وإعادة صياغتها مرة أخرى، وأحياناً أعيد كتابة المحاضرة بالكامل من أولها لآخرها مرة أخرى، ويكون النص المفرغ للمحاضرة ما هو إلا مجرد مادة مساعدة لي في عدم الخروج عن المضمون الذي احتوت عليه.
- إذا أشار الدكتور المحاضر إلى جزء من حديث نبوي شريف، أو إلى قول من أقول أحد العلماء، أرجع إليه وأبحث عنه، ثم أنقله كما هو من مصدره الرئيسي، وأتحرى الأمانة العلمية في الإشارة إلى المصدر الذي نقلت منه.

- **وأحيانا كثيرة، وهذا هو المهم، أضيف بعض المعلومات التي لم يذكرها الدكتور المحاضر**، والتي أرى من وجهة نظري المتواضعة أنها مناسبة لموضوع المحاضرة وعناصرها الفرعية، وأنها ستفيد في فهم هذا الموضوع، فأنقلها من مصدرها كما هي أو بتصرف وأضعها في مكانها المناسب من المحاضرة، وأتحرى الأمانة العلمية في الإشارة إلى المصدر الذي نقلت منه هذه المعلومة، وأضعها بين قوسين ((......))، أو أشير إليها في التذييل، وذلك ليفهم القارئ أنها ليست من النص الأصلي للمحاضرة.
- بعد ذلك أقوم بتنسيق المحاضرة وإخراجها في صورتها النهائية حسب ما ييسره الله لي.

هذا ما وفقنا الله له ويسره لنا في إعداد هذه المذكرة، فاللهم لك الحمد حتى ترضى، وما كان من خطأ أو سهو أو تقصير أو نسيان فمني ومن الشيطان، وأسأل الله أن يعفو عنا ويغفر لنا ويتجاوز عن زلاتنا وتقصيرنا..

جزى الله خيراً كل من شارك في هذه المذكرة من المتطوعين والمتطوعات، وقد ذكرت اسم كل واحد منهم حسب دوره المكلف به، في نهاية تفريغ كل محاضرة، ومنهم من رفض ذكر اسمه فأشرت إليه بأخ أو أخت في الله. بارك الله فيهم جميعاً وتقبل منهم وثقّل الله بهذا العمل موازين حسناتهم.

وأخيراً، فهذا اجتهادي الشخصي المتواضع جداً، أعددته طاعةً وقربةً لله تعالى، أبتغي من ورائه رضى الله عني، أضعه بين أيديكم وأنا وحدي المسئولة عنه أمام الله عز وجل، فاللهم تقبّله خالصاً لوجهك الكريم، وانفعنا به، واكتب لنا يا ربنا بمَنِّك وكرمك الأجر والثواب، وكل من شارك، وكل من قرأ.

الفقيرة إلى عفو ربها،

رئيفة درويش

22 ذو القعدة 1439 هـ / 4 أغسطس 2018 م

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. أرحب بكم أيها الأخوة والأخوات في هذا اللقاء المبارك وهو اللقاء الأول من لقاءاتنا في هذه المادة العلمية، مادة أصول التفسير ضمن برنامج السعدي، وهو البرنامج الذي تقدمه أكاديمية تفسير. على بركة الله نبدأ. أعرفكم بالمادة وبملقي المادة: فملقيها هو أخوكم الدكتور ***أحمد بن عبد الله آل عبد الكريم***، أستاذ مساعد في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه. أما المادة فهي مادة **"أصول التفسير"**. وقد رأيت في أول مفرداتها التعريف بها.

✔ مقدمة

مادة أصول التفسير هي في واقع الأمر متصلة بعلم كلام الله سبحانه وتعالى، بأصول تفسيره، وأعني بأصول تفسيره القواعد العلمية التي ننطلق فيها لتفسير كلام الله سبحانه وتعالى، على ما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى، بعد ذلك تأتي أقسام التفسير، وهي باعتبارات عدة، منها: باعتبار الأثر والرأي، باعتبار إمكان العلم به، باعتبار الأساليب، باعتبار الاتجاهات، ثم شروط المفسِّر وآدابه، ثم طرق التفسير، وهي أهم ما يكون في هذه المادة، ثم الإجماع ويقابله الاختلاف.

بادئ ذي بدء في هذه المادة العلمية، أقدم بمقدمة يسيرة حول وجوب العناية بكلام الله سبحانه وتعالى قراءةً وتدبراً واستنباطاً وتربيةً. فمن توفيق الله للعبد أن يسلك به مسالك أهل القرآن، ولهذا كان من المؤمل في هذه الحياة الدنيا أن يحشر العبد فيها بعد مغادرته إياها في أهل القرآن وخاصته لأنهم أهل الله سبحانه وتعالى، وإذا كنت من أهل الله فلا خوف عليك ولا أنت من الحزينيين؛ لأن الله سبحانه وتعالى يتولى عبده إذا كان هو من أهل الله.

فوزٌ عظيمٌ وكبيرٌ أن يكون العبد حافظاً لكلام الله سبحانه وتعالى. فوزٌ عظيمٌ وكبيرٌ أن يكون العبد مستنبطاً مفسراً مراجعاً لدواوين أهل العلم المصنفة في بيان كلام الله سبحانه وتعالى. نسأل الله تعالى لنا ولكم فى هذه الأكاديمية خيراً، ونحن إن شاء الله نحسن الظن بربنا سبحانه وتعالى أن يشملنا ويجمعنا بالمشتغلين بكتابه المقبولين فى هذا اللواء المبارك لواء أهل القرآن وخاصة الله سبحانه وتعالى.

إذا سلك الله جل وعلا بك هذا المسار العظيم وكنت في ركاب من سجل في هذه الأكاديمية فأخلص نيتك لله سبحانه وتعالى وقل كلمة الحق، أقمها في قلبك وأقمها على لسانك، واسلك بروحك الكريمة المؤمنة، اسلك بها مسالك أهل

القرآن، فإذا قرأت قول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فاعرض عليها نفسك، وإذا قرأت أمراً فامتثل أمر الله، وإذا قرأت نهياً فابتعد عن نهى الله سبحانه وتعالى، وكن وقّافاً عند حدود الله، واعلم أن العبد إذا كان على هذا الطريق المنير فإنه على خير يصبح مطمئناً وينام مرتاحاً ذلك لأنه آمن وصدق بكلام ربه سبحانه وتعالى.

ولا يخفى علينا جميعاً أن من أركان الإيمان، الإيمان بكتاب الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال أهل العلم أن الإيمان بكتاب الله سبحانه وتعالى المُنَزَّل على رسوله صلى الله عليه وسلم يجب بالتفصيل، وأما الإيمان بما أنزل الله من الكتب فهو واجبٌ وركنٌ من أركان الإيمان لكنه لا يجب على التفصيل، لأننا لا نعلم ما الأمر الذى فصَّله الله سبحانه وتعالى في هذه الكتب السماوية، ولم نعلم عن نزولها، ولم نعلم عن أحكام الله جل وعلا فيها، وأما نزولها فهو معلومٌ ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نؤمن بكل ما سمَّى الله سبحانه وتعالى من الكتب في كتابه الكريم القرآن الكريم، فنؤمن بالتوراة، ونؤمن بالإنجيل، ونؤمن بصحف إبراهيم وموسى، وبالزبور، كل هذا مما نؤمن به ونجزم بإيماننا أنه منزَّل من عند الله على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

✓ تعريف مصطلح "أصول التفسير"

- إذا أردنا أن نبين ما المراد بهذا المصطلح قلنا بأن من طريقة أهل العلم في تعريف المصطلح المركب بالإضافة هو تعريف كل كلمة على حدة ثم تعريفه كمصطلح مركب. فمصطلح "أصول التفسير" يتكون من كلمتين "أصول" و"تفسير".
- **تعريف "الأصل" في اللغة:** الأصل هو ما يُبنى عليه الشيء، وإذا فسد الأصل سقط المبني عليه وهو الفرع، قال ربنا سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إِبْرَاهِيمَ: 24]. إذن، هذا هو تعريف الأصل، وهو ما يُبنى عليه الشيء. وقال تعالى: {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الْحَشْرِ: 5]، قائمة على أصولها، فإذا وقع هذا الأصل سقط هذا القيام المذكور في الآية الكريمة. هذا من جهة المراد بالأصل .
- **تعريف "التفسير" في اللغة:** التفسير مأخوذ من الفَسْر وهو الكشف يقال فَسَّر عن ذراعيه إذا أراد الوضوء أي كشف عنهما.
- **تعريف "التفسير" اصطلاحاً:** من جهة الاصطلاح العلمي فتعريف التفسير، وإن اختلفت فيه كلمات أهل العلم، إلا أنها تجتمع فى أنه بيان المراد من كلام الله تعالى، فإذا قيل ما التفسير؟ نقول بأن **التفسير هو بيان المراد من كلام الله تعالى**، يزيد بعضهم على هذا التعريف بقولهم: "واستخراج حكمه وأحكامه وعظاته وعبره"، وهذا زائدٌ عن التعريف ومفيدٌ فيه؛ لكن نقول أن التفسير هو بيان المراد من كلام الله تعالى وهذا يكفى فيه.

- **تعريف المصطلح المركب "أصول التفسير":** هو الأسس العلمية التي يقوم عليها تفسير كلام الله جل وعلا وفهمه. من دون هذه الأسس العلمية لا يمكن لنا أن نفهم كلام الله، فلو أن مفسراً يخوض في تفسير كلام الله وهو يجهل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ربما أنه يرى بأن الآية المعينة قد نزلت في فلان من الصحابة رضى الله عنه، وأن نزولها في هذا الصحابي لا يدل على نزولها في غيره؛ ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم يتساءلون.
- فعلى سبيل المثال هذا الحديث: ((أنَّ رجلًا أصاب منَ امرأةٍ قُبلَةً ، فأتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فذكَر ذلك له ، فأُنزِلَتْ عليه : {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود:114]، قال الرجلُ : ألي هذه؟ قال: لمَن عمِل بها من أُمَّتي.)) [الراوي: عبد الله بن مسعود، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري رقم 23946]. إذن، العبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- وكمثال آخر، الحديث: ((جَلَسْتُ إلى كعبِ بنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، فسأَلْتُه عن الفِدْيَةِ، فقال: نَزَلَتْ فيَّ خاصَّةً، وهي لكم عامَّةٌ، حُمِلْتُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم والقَمْلُ يَتَناثَرُ على وجهي، فقال: ما كُنْتُ أرى الوجعَ بلغ بك ما أرى، أو: ما كنت أرى الجُهْدَ بَلَغَ بك ما أرى، تَجِدُ شاةً؟ فقلت: لا. فقال: فصُمْ ثلاثةَ أيَّامٍ، أو أَطْعِمْ ستةَ مساكينَ، لكلِّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ.)) [الراوي: كعب بن عجرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري رقم 3712].
- هذا الأصل العلمي لو أن مفسراً أو مطَّلعاً على التفسير لا يعلم بهذه الأصول، ولم يأخذ بها، ولم يرها في كتب أهل العلم لربما ظن أن هذه الآية تخص هذا الصحابي فقط، فيرى أننا لا نحتاج إلى دليلٍ يعممها على الجميع، فنقول: لا، انتبه لهذه الأصول العلمية وخذ بها فيما يتصل بكلام الله سبحانه وتعالى. وهذا ما يبرز أهمية علم أصول التفسير.

إذاً، **أصول التفسير هي الأسس العلمية التي يقوم عليها فهم كلام الله سبحانه وتعالى.**

✓ شرح المقصود بالقدر الزائد على التفسير

- عندنا أيضاً في هذا العلم شرح وبيان المقصود بالقدر الزائد على التفسير، فعندما نقول "علم التفسير" أو "علم أصول التفسير" يجب أن نفهم أن هناك أمر يزيد على التفسير أحياناً، كالاستنباط مثلاً، أو كالتدبر، فإذا رأينا معنىً زائداً فلا نلحقه بالتفسير.
- عند التدقيق في مصطلحات العلماء في هذا الباب نقول: التفسير فهم كلام الله عز وجل، قد يزيد بعضهم الاستنباط. لما أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: {كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عَبَسَ: 16]، أشار إلى طهارة الصحابة رضى الله عنهم، وهذا هو المعنى، ثم بعد ذلك قال: وينبغي على حامل القرآن أن يكون متطهراً

وقلبه مشتملٌ على الصدق والطهارة، فنقول هذا معنى زائد، هذا استنباط وليس هو التفسير، لماذا؟ لأن المعنى تم بما قبل هذا الاستنباط.

- قد يزيد بعض العلماء مثلاً بيان القراءات بالآية. قُرِأت الآية بالهمز وقُرِأت بالتسهيل، فكونها مهموزة أو مسهلة، هل هذا هو التفسير؟ لا، ليس هذا هو التفسير، وإنما التفسير هو بيان المعنى المراد من كلام الله سبحانه وتعالى. أما لو كانت هذه الهمزة أو هذا التسهيل مؤثراً على المعنى، عندئذ نربط التفسير بهذا الأثر، فنقول قراءتها مهموزة تدل على هذا المعنى، وقراءتها مسهلة تدل على معنى آخر.
- هذا مما نقصده بالتفريق بين التفسير وبين ما يزيد عليه من جهة التدبر أو من جهة الاستنباط مثلاً.

✓ عن تسمية التفسير بالتأويل

- أما عن قضية تسمية التفسير بالتأويل، فالتأويل كان يطلق في أول الأمر ويراد به التفسير، حتى في زمن السلف الصالح كان الغالب هو إطلاقه على هذا الفن ويُقصد به تفسير كلام الله تعالى. قال الله جل وعلا في سورة آل عمران: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} الآية [آلِ عِمْرَانَ: 7].
- قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس رضى الله عنه: "اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ".
- ابن جرير الطبري رحمه الله، إمام المفسرين، (ت سنة 310هـ) صنَّف كتابه وسماه *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، وما من آية يتعرض لها في التفسير إلا ويقول: القول في تأويل قوله تعالى....،
- ثم بعد ذلك قال بعض أهل العلم أنه غلب على مصطلح التأويل معنىً فاسد، وصُرِف اللفظ عن احتمال الراجح إلى احتمال المرجوح لقرينةٍ تدل عليه، وقد أُخذت بعض هذه الصوارف من علم الكلام فجاء معها ما يصرف بعض حقائق الوحى، فيأتون إلى صفات الله تعالى ويقولون اصرفوها إلى احتمال مرجوح. لماذا؟ قالوا: لأن هذا الاحتمال الراجح لا ينبغي، لأنه يستلزم منه تشبيه الله جل وعلا بخلقه وأمثاله. والتمس بعضهم أن أهل العلم غلَّبوا المعنى الآخر، وهو التفسير، وقد يكون لهذا الاحتمال، وقد يكون لغيره.
- والعبرة هي بالغرض من هذا العلم سواء سُمّي تفسيراً أو تأويلاً، ولهذا لا حرج إلى يومنا هذا لو أن شخصاً قال: ما تأويل قول الله جل وعلا كذا وكذا؟ وذكر الآية، فهذا لا يضر إن شاء الله، لكن نحن نتكلم على الغالب في الاصطلاح عند أهل العلم. ولهذا نجد مدارس العالم الإسلامي كلها عند ذكر هذه المادة تسمها بالتفسير، أو عندنا المادة هذه محل مدراستنا نسميها بأصول التفسير، وهذا إن شاء الله لا يضر.

✓ علاقة أصول التفسير بعلوم القرآن

أصول التفسير هي جزء من هذا الثوب العظيم الأبيض الكبير "علوم القرآن"، فهي جزء منه وإن كانت علوم القرآن اليوم تجدها - وهي عندكم أيضاً من المواد المقررة - اختصت بمسائل تتعلق بالناسخ والمنسوخ، وتسمية سور القرآن، وقضية جمع القرآن، وغير ذلك من المسائل التي مررتم عليها، أما أصول التفسير فهي تعتني بالقواعد والأسس العلمية التي من خلالها نستطيع أن نصل إلى فهم صحيح لكلام الله سبحانه وتعالى.

✓ الهدف من دراسة علم أصول التفسير

- قد يسأل سائل ويقول: ما الهدف من دراستنا لهذا العلم؟ نحن ندرس الآن أصول التفسير، وقد فرقتم بين التفسير وبين أصول التفسير، جعلتم هذه مادة وتلك مادة مستقلة، وجعلتم علوم القرآن مادة، لماذا خصصتم أصول التفسير بعلم منفصل ولم تجمعوها مع التفسير مثلاً في علم واحد؟ أو لماذا لم تجمعوها مع علوم القرآن مثلاً، فنأخذه في فصل أو فصلين كما صنع بعض الأئمة من العلماء الذين صنَّفوا في علوم القرآن كالزركشي والسيوطي وغيرهم ممن يجعلون بعض مسائل هذا العلم مندرجة فيما كتبوه عن علوم القرآن؟
- يقال بأن العلم المتصل بالقرآن الكريم يزيد وينمو ويُفَصَّل ويأخذ سمة خاصة، ومن العلوم التي أخذت سمة خاصة هذا العلم، علم أصول التفسير، وهذه السمة تميزت برؤية بعض العلماء أن تكون القواعد والأسس مستقلة عن التفسير، لماذا؟ ليأخذها طالب علم التفسير، أو صاحب الكتاب الذي يريد أن يقرأه أو يفسره إن كان من أهل العلم، فينظر في هذه القواعد حتى لا يتجاوزها، وكونها مجموعة في ثوب واحد وكتاب واحد لا شك أن هذا يسهلها وييسرها.
- إذن، انفصل هذا العلم أصول التفسير عن هذه المجموعة العلمية الكبيرة مجموعة علوم القرآن واستقل على ما سيأتي ذكره إن شاء الله في المحاضرة القادمة.
- نرجع إلى قضية الهدف من دراسة هذا العلم فنقول: **نستطيع أن نلخص الهدف العلمي من دراسة أصول التفسير في أمرين:**

1. **الأمر الأول هو: معرفة الصحيح في التفسير**، بمعنى كيف أصل إلى الصحيح من أقوال أهل العلم في التفسير وكيف أميّزه عن غيره.
2. **الأمر الثاني هو: معرفة الضعيف في التفسير**، ذلك لأجل أن أنبه عليه، فإذا رأيته في طريقي وأنا أفسر آية، آخذ هذا الضعيف وأبيّن ضعفه. إن كنت متعبداً بهذه القراءة فيجب أن أعلم بأن هذا الضعيف لا يصح ولا يجوز حمل معنى الآية عليه، وبهذا نكون استطعنا أن نصل بكلام الله سبحانه وتعالى إلى المراد من إنزاله وهو فهمه والعمل به، فلا يمكن أن أعمل بحديث ضعيف ولا يمكن أن أعمل بتأويل باطل في الآية.

- ولهذا جميل أن يقرأ طالب العلم في القواعد المتصلة بعلم التفسير، فأحياناً قد نجد قاعدة واحدة تنسف مجموعة كبيرة من الأقوال الباطلة والحكايات وبعض ما ينقل من الإسرائيليات.
- وأنا أذكر أنني مرة قرأت في تفسير قول الله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ..} [البقرة: 102]، وما يجرى حول هذه الآية من كلام، وأيضاً الآية التي في سورة الحج في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ..} [الحج: 52]، نحن نعلم أن في تفسير هذه الآيات أقوال، فقد تقف على قولٍ يسير من هذه الأقوال ربما أنه يأخذ سطراً واحداً ولكنه ينسف كل غيره من الأقوال الباطلة التي ربما نجدها في كتب التفسير.
- فكل قولٍ يقدح في عصمة الأنبياء من أقوال المفسرين فهو باطلٌ ومردود، مباشرةً. أو قول يقدح في عصمة مَلَك من الملائكة كالقول مثلاً بأن هذا الملك نزل بباطل، أو أنه يُعَلِّم باطل، أو أنه يقول باطل، أو قول أن نبي من الأنبياء يتكلم بالباطل، ويأمر الناس به.. هل هذا يليق؟! لا يليق. نقول: كل قولٍ يقدح في عصمة الأنبياء، وفي الملائكة فهو مردود، وهذا من فوائد هذه المدارسات وهذه الأصول التي وضعها أهل العلم لفهم كلام الله عز وجل.
- ولا يمكن أن تحكم على هذا العلم، والهدف منه، ولماذا لا نتركه، ولماذا ندرسه، وماذا لو أننا دمجناه، و... و... إلا بعد أن تقف على أسراره والمقصود من وجوده عند من وضعه من العلماء. وكثير من هذه القواعد ربما إن شاء الله تقفون عليها في مادة قواعد التفسير، وعندنا هنا باب من الأبواب أو فصل من الفصول في قواعد التفسير سنشير إليه بمشيئة الله تعالى.

✓ مراحل نشأة وتطور علم أصول التفسير

هذا العلم مر بمراحل في نشأته وتطوره، ونبدأها بنشأته في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الأولى - نشأة علم أصول التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

- هناك بعض الأحاديث نأخذ منها تطبيق لهذا الأصل العلمي، وهو على سبيل المثال - ما أشرت إليه قبل قليل - في أسباب النزول، عندما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن الآية التي نزلت فيه بسبب أنه أصاب من امرأة قبلة.. الحديث: ((أنَّ رجلًا أصاب منَ امرأةٍ قُبلَةً ، فأتى رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فذكَر ذلك له ، فأُنزِلَتْ عليه : {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود:114]، قال الرجلُ : ألِي هذه؟ قال: **لمَن عمِل بها من أُمَّتي**))، وضح له النبي صلى الله عليه وسلم أنها ليست له خاصة وإنما لعموم المؤمنين، فالتمس العلماء من هذا التطبيق النبوي أصلاً من أصول التفسير وهو أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

- ونحن نعلم بأن هذه العلوم الشرعية، قسمتها وتفريقها والحديث حولها، إنما طرأ بعد ذلك العصر وجاءت بعد عصور التأليف والتصنيف وتوسعت العلوم، على ما سيأتي ذكره، ولكن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قواعد استنبط أهل العلم منها كيفية التفسير، ومتى أسمح بالاجتهاد ومتى لا أسمح به، وكيف أفهم الآية، وهل أسير على هذا الفهم أم أتوقف عنه، ونحو ذلك من التطبيقات والأساليب التي يذكرها العلماء في باب التفسير وأصوله.
- ومن الأمثلة والتطبيقات الأخرى ما فهمه عدي بن حاتم -رضي الله عته- من قول الحق سبحانه وتعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة:187]، فهمها فهماً ليس على بابها وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعرض عليه هذا الفهم. ومن هنا نقول مثلاً بأنه هل يجوز لي أن أبتدئ بفهم الآية من دون أن أرجع إلى تفسير، ثم بعد ذلك أعرض هذا التفسير الذي فهمته ولم أدرسه ولم أعلمه أعرضه على كلام المفسرين والنتيجة النهائية التي وصلوا إليها في تفسير هذه الآية؟ فهذا عدي بن حاتم -رضي الله عته- فهم ثم ذهب إلى مصدر التفسير فبيَّن له النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الباطل، والحديث: ((لما نُزِّلَت: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} عَمَدْتُ إلى عِقَالٍ أسودَ وإلى عِقَالٍ أبيضَ، فجَعلتُهما تحتَ وُسَادتي، فجعلتُ أنظرُ في الليلِ فلا يَسْتَبِينُ لي، فَغَدَوتُ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فذكرتُ لهُ ذلكَ، فقالَ: **إنمّا ذاكَ سوادُ الليلِ وبياضُ النهارِ**.)) [الراوي : عدي بن حاتم الطائي، المحدث : البخاري، المصدر : صحيح البخاري رقم 1916]. ففي هذا الحديث بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لعدي أن المراد بالخيط الأبيض هو بياض الصبح، والأسود هو سواد الليل فإذا تبين الصبح فإن الصائم يمسك عن سائر المفطرات المذكورة في الآية الكريمة.
- مثل هذه التطبيقات وأمثالها كثيرة خاصة عند نزول الآيات، وعند بيان النبي صلى الله عليه وسلم للوحي، فنجد أنه عليه الصلاة والسلام يبين ويوضح ويجلي الصورة للصحابة رضى الله عنهم، مما يجعل لأهل العلم استنباط هذه الأصول التفسيرية.

سنكمل إن شاء الله في المحاضرة القادمة.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **رئيفة درويش**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. أرحب بكم أيها الأخوة الأكارم في مطلع الحلقة الثانية من حلقات علم أصول التفسير وهو المقرر عليكم في هذه الأكاديمية المباركة في البرنامج المسمى ببرنامج السعدي.

تحدثنا في اللقاء الأول عن تعريف أصول التفسير باعتبار المركب بالإضافة، وفصَّلنا أيضا في هذا اللفظ المركب تعريف لفظ "الأصل" وتعريف لفظ "التفسير"، وبيَّنا الفرق بين التفسير والتأويل، والغالب لهذه المسميات في الزمن الأول والغالب في الزمن الثاني، وتكلمنا عن معرفة الحد الفاصل بين التفسير وبين ما يزيد عليه من جهة الاستنباط، أو من جهة التدبر، أو من جهة القراءات، ونحو ذلك، وقلنا أن **ما زاد عن التفسير لا يسمى تفسيرا؛** لأن التفسير هو معرفة المراد من كلام الله سبحانه وتعالى، فإذا استنبط المفسر من الآية بعد تفسيره فنقول أن ذاك استنباط والأول تفسير، وحينها نعرف ونراعي الفوارق العلمية بين هذه المسميات والتي تندرج كلها في واقع الأمر تحت مسمى "علوم القرآن الكريم".

كما تكلمنا عن العلاقة أو الارتباط بين أصول التفسير وعلوم القرآن، وقلنا بأن أصول التفسير يدخل تحت ذلك الثوب الكبير وهو ثوب علوم القرآن، وهو جزء من أجزائه، ولهذا نجد أن العلماء الذين صنَّفوا في علوم القرآن ذكروا في بعض أبوابهم بعض مما ينفرد به اليوم علم أصول التفسير، فهو جزء من هذا الكل، وحينها نفرق بين أصول التفسير وبين علوم القرآن. ثم بدأنا الحديث عن مراحل نشأة علم أصول التفسير.

✓ تابع مراحل نشأة وتطور علم أصول التفسير

المرحلة الأولى - نشأة علم أصول التفسير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

توقف بنا الحديث في الحلقة الماضية عند نشأة علم أصول التفسير في العهد النبوي. وقلنا بأن نشأته في العهد النبوي كانت بتلك التطبيقات التي تمر على الصحابة -رضي الله عنهم- حال نزول القرآن، أيضاً قد يَعرِض خلاف بين الصحابة في الفهم ويحكم فيه النبي صلى الله عليه وسلم. فقد يفهم الصحابة -رضي الله عنهم- شيئاً من المعاني القرآنية، فيبينه النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة أو أخرى. ثم يأتي أهل العلم ويستنبطون من هذا وذاك أصلاً من أصول التفسير. (إذن هذه التطبيقات مصدر من مصادر أصول التفسير).

ومن تلك التطبيقات، ذكرنا في الحلقة الماضية قصة عدي بن حاتم -رضي الله عنه- وما فهمه رضي الله عنه من قول الحق سيحانه وتعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة:187]، فهمها فهماً ليس على بابها وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعرض عليه هذا الفهم، فبيَّن له النبي صلى الله عليه وسلم المقصود من الآية.

وكتطبيق ومثال آخر: لما نزل قول الحق جل وعلا: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام : 82]، وقد فهمه الصحابة فهماً آخر. والحديث: ((لما نزلتْ هذه الآيةُ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} شقَّ ذلك على أصحابِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وقالوا: أيُّنا لم يلبسْ إيمانَه بظلمٍ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: إنهُ ليس بذلكَ، ألا تسمعون إلى قولِ لقمانَ: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) [الرواج: عبد الله بن مسعود، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري رقم 6918]. ظن الصحابة -رضي الله عنهم- أن المقصود بالظلم في الآية هو الظلم الأدنى لأنهم لا يعرفون أن هناك ظلماً أعلى وظلماً أدنى.

فالظلم الأدنى هو الذي لا يسلم منه أي إنسان، حتى المسلم لا يسلم منه، وهو المعاصي والذنوب، السيئات، سواء صغيرة أو كبيرة لكنها تحت رحمة الله سبحانه وتعالى، أما الظلم الذي لا يُغفر ولا يُقبل معه أي شيء من أعمال الإسلام هو الشرك بالله، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء : 48]، ما دون ذلك هو الظلم الأدنى وهو مختلف، فيه الصغيرة وفيه الكبيرة، والصغيرة سيئة، والكبيرة سيئة أعظم إن شاء الله عفا وإن شاء جازى عبده بها.

يقول ربنا سبحانه وتعالى في بيان هذه الدرجات التي ربما يكون المسلم في أحدها: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر : 32] الظالم لنفسه هذا الذي ظن الصحابة رضي الله عنهم أنه لا يشملهم الإيمان معه فقالوا: أيُّنا لم يلبسْ إيمانَه بظلمٍ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ((إنهُ ليس بذلكَ)). ثم حملهم على الآية الأخرى على لسان لقمان في قول الله جل وعلا: { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان : 13].

إذن المراد بالظلم في آية سورة الأنعام {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}، هو الظلم العظيم، أي: لم يلبسوا إيمانهم بشرك. ونجد أن أهل العلم فيما يتصل بأصول التفسير يقولون هنا بأن هذه الآية هي مثال لتفسير القرآن بالقرآن، سلك النبي صلى الله عليه وسلم فيها تفسير القرآن بالقرآن، وهو الأصل الذي - إن شاء الله - سنأتي عليه في باب طرق تفسير القرآن وأن هذه هي أعلاها وأولاها على ما سيأتي في ذلك من تفصيل .

- إذن، **التطبيقات النبوية في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، وما كان يتحدث به، وما كان يعرض عليه من بعض العوارض كلها تبيّن هذه الأصول العلمية التي يستنبط أهل العلم منها أصول التفسير.**

المرحلة الثانية - مرحلة كتابة المصنفات (التفسير في عهد التدوين)

المرحلة الثانية جاءت بعد زمن الصحابة والتابعين بعقود زمنية طويلة، وذلك عندما بدأ العلماء في كتابة التفاسير وظهرت المصنفات. لما بدأ المفسرون في كتابة كتب التفسير قدموا لكتبهم بمقدمات، بعض هذه المقدمات اشتملت على مسائل في أصول التفسير.

لو نظرنا على سبيل المثال في مقدمة الإمام الكبير **ابن جرير الطبري** رحمه الله، وهو مؤلف كتاب ***جامع البيان في تأويل آي القرآن*** نجد أنه رحمه الله ذكر في مقدمته بعض المسائل المتصلة بأصول التفسير، ومنها مثلاً قوله:

- القول في الوجوه التي من قِبَلها يوصل إلى تأويل القرآن.
- ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي.
- ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة..
- ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكرو القول في تأويل القرآن...

وهكذا، وأمثالها من المسائل التي تتصل بعلم أصول التفسير. إذن، **مقدمات التفاسير هي مرجع من المراجع التي نستجمع منها مسائل هذا العلم، ومصدر من مصادره.**

أيضا لو نظرنا فيمن جاء من بعد الطبري مثل الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٤٠٠ هـ، تجد أنه أيضاً ذكر في مقدمة كتابه بعض المسائل المتصلة بعلم أصول التفسير مثل قوله:

- في الفرق بين التفسير والتأويل.
- هل في القرآن ما لا تعلم الأمة تأويله.
- في شرف علم التفسير.
- في بيان الآلات التي يحتاج إليها المفسر.... وأمثالها من مسائل.

- **مقدمات كتب التفسير التي صنفها العلماء الأوائل هي مرجع أكيد لهذا العلم الذي نحن بصدد دراسته، وهو علم أصول التفسير**، إذن هذا مصدر من المصادر التي نبحث عن المسائل المتصلة بالأصول فيها.

- كذلك، **بطون كتب التفسير، أي كلام العلماء في ثنايا تفسيرهم للآيات، يمكن أن نستمد منه أيضا بعض الأصول التفسيرية**، وسبق أنا درسنا في الحلقة السابقة أن أصول التفسير هي الأسس العلمية التي ينطلق منها المفسر لتفسير كلام الله، الأسس العلمية التي بها يفهم كلام الله جل وعلا، فهذه الأسس العلمية أحيانا المفسر عند معالجته للآية يذكرها ويبين معناها ويقول مثلا أنه يبين أو يفسر أو يختار هذا المعنى لأجل أن الأصل هو كذا أو كذا.

ابن جرير الطبري رحمه الله لما جاء عند تفسير قول الله جل وعلا: {وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: 105] وتكلم عن الخيانة بكلام ثم قال: الأصل في الخيانة هو الجحود، قال: وأولى التأويلين، أي: ذكر عدداً من الأقوال واختار أولى التأويلين في ذلك بما دل عليه ظاهر الآية، قول من قال: كانت خيانته التي وصفه الله بها في هذه الآية جحوده ما أودع، لأن ذلك - قوله (لأن ذلك) هذا أصل من الأصول - لأن ذلك هو المعروف من معاني الخيانات في كلام العرب، وتوجيه تأويل القرآن - وهذا بيت القصيد - وتوجيه تأويل معاني القرآن إلى الأشهر من معاني كلام العرب ما وجد إليه سبيل أولى من غيره، الأشهر من كلام العرب هذا الأولى بالمفسر أن يحمل التفسير عليه.

إذن، وجدنا هذا الأصل الكريم في ثنايا التفسير، وأمثاله كثير في كتب التفسير عند الطبري وعند غيره، عند المتقدمين وعند المتأخرين. وبالتالي نستطيع أن نجمع هذه الدرر وهذه القواعد من بطون كتب التفسير.

بعد أن ذكرنا أن العهد النبوي وما كان فيه من تطبيقات يعتبر بالنسبة للعلماء هو أول مظانّ مسائل علم أصول التفسير ومصادره، والثاني: هو مقدمات كتب التفسير الثالث: بطون كتب التفسير، فالمظنّة الرابعة لمسائل هذا العلم هي **كتب علوم القرآن**.

- ذكرنا أن الثوب الذي يجمع أصول التفسير وغيره من العلوم المتصلة بعلوم القرآن هو: **علوم القرآن**، وعلوم القرآن الكريم ذكرت بعض ما يتصل بأصول التفسير في أبواب مستقلة يسميها بعض العلماء: ما يلزم المفسر والأدوات التي يحتاجها المفسر - على ما سنأتي إن شاء الله على بيانه وذكره - لكن يذكرون في بعض الفصول ما يتعلق بخصوصية أصول التفسير.

** أمثلة لبعض مسائل أصول التفسير المذكورة في كتب علوم القرآن

إذا رجعنا إلى كتب علوم القرآن نجد أن أبرزها الكتب المشهورة الثلاثة:

- البرهان في علوم القرآن، للزركشي (ت: 794 هـ)
- الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي (ت: 911 هـ)
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة المكي (ت: 1150 هـ)

(1) الزركشي رحمه الله، ذكر في كتابه في: النوع الحادي والأربعين: "معرفة تفسيره وتأويله". ثم ذكر في هذا الفصل، أو في هذا النوع، بعض المسائل المتصلة بأصول التفسير، فتكلم عن الموضوعات الآتية:

- الفرق بين التفسير والتأويل،
- أمهات مآخذ التفسير للناظر في القرآن،
- أحسن طرق التفسير ... وغير ذلك من المسائل.

وهذه أصول التفسير، يعني لا نجدها اليوم من الأبواب المتصلة بعلوم القرآن مثل: نزوله، جمعه، كتابته، تسمية سوره، عدد آياته، ما يتصل بسبب نزوله، كلها من علوم القرآن وغيرها. أصول التفسير مرتبطة بهذه الأسس والقواعد العلمية؛ كيف آخذ التفسير وأفرق بين الصحيح والضعيف؟ طرق التفسير وكيف أرتبها؟ اختلاف بين قولين في التفسير وكيف أجمع بينهما؟ هل هذا الاختلاف يسمى تعارضاً أم لا؟ فهذا وأمثاله هو ما يتصل بأصول التفسير.

(2) السيوطي أيضا ذكر في كتابه "الإتقان" بعض المسائل المتصلة بأصول التفسير، مثلا قال:

- قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر.
- معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه.
- شروط المفسر وآدابه.
- طبقات المفسرين.

(3) ابن عقيلة المكي أيضا ذكر بعض المسائل المتعلقة بأصول التفسير، وكتابه واسع اشتمل على ما ذكره السيوطي وزاد عليه، مثل قوله:

- معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه،
- علم معرفة شروط المفسر وآدابه،
- غرائب التفسير التي هي مردودة عند العلماء وغير مقبولة... وهكذا

- إذن نستطيع أن نقول بأن **كتب علوم القرآن من مظانّ أصول التفسير**، وانفراد أصول التفسير بالتأليف لا يعني أنه ليس جزءاً من علوم القرآن بل هو جزء منه، ولكن نقول بأنه استقلال التأليف فيه يزيده بيانا وتفصيلا واستشراحا وجمعا من الكتب وأيضا يميزه. كما أن الفقيه إذا ألّف أو صنّف كتابا في الفقه ثم عرضت عليه مسألة من مسائل الأصول فضمها في ثنايا حكمه وترجيحه، فنقول أن هذه العبارة التي هو يضمنها كونها تستقل بعلم يسمى علم أصول الفقه، هذه القاعدة ينطلق منها غيره لأنها أصل بالنسبة لهذا الحكم.

القواعد الفقهية كذلك استقلت عن الفقه لأنها حاكمة لمسائل كثيرة ربما هذه المسائل نتعرض إليها في الفقه ونقول مثلا لأن القاعدة هي كذا. فكونها قاعدة موجودة في ثنايا الكتب تستقل في كتاب يسمى بقواعد الفقه هذا لا يعني عدم اندراجها في باب عظيم اسمه الفقه.

- **من مظانّ علم أصول التفسير: كتب أصول الفقه**، وكتب أصول الفقه لها علاقة وثيقة بأصول التفسير؛ بل بعلوم القرآن بشكل عام، وهذه العلاقة جعلت البعض يحكم بأن سبب التأخر في تصنيف أصول التفسير هو وجود هذه الأصول في كتب أصول الفقه. وعلاقة أصول الفقه بهذا العلم هي أن أهل أصول الفقه حكموا بأن

المصدر الأول من مصادر الشريعة هو القرآن الكريم، ثم دخلوا من خلال هذا المصدر إلى الكلام في بعض المسائل المتصلة بعلم أصول التفسير أو علم علوم القرآن مثل: الناسخ والمنسوخ، وقضية ما يقبل وما يرد من القراءات، فنجد فيها كلاما يتصل بهذا الباب، باب علم أصول التفسير.

من أحسن وأعظم ما كتب في هذا والذي أيضا يبين وجه العلاقة القوية بين العلمين ما ذكره الإمام الشاطبي، رحمه الله، في كتابه ***الموافقات***.

- **نلخص مظانّ مسائل أصول التفسير في المصادر الآتية:**

1. العهد النبوي وما كان فيه من تطبيقات.
2. مقدمات كتب التفسير.
3. بطون كتب التفسير.
4. كتب علوم القرآن.
5. كتب أصول الفقه.

المرحلة الثالثة - التصنيف في علم أصول التفسير كعلمٍ مستقل

تأتي مرحلة مستقلة في انفراد علم أصول التفسير بالتصنيف ليصبح علماً مستقلاً وإن كان مرتبطا بعلوم القرآن.

نحن نعلم بأن علوم القرآن كثيرة، مثلاً لو قال لك قائل: هل التجويد من علوم القرآن؟ نقول: نعم، هو من علوم القرآن ولكنه اليوم له كتبه المستقلة، له ما انفرد وتميز به بعض العلماء وإن لم يتميزوا ببعض جوانب علوم القرآن الأخرى. القراءات كذلك، وأصول التفسير كذلك.

استقل علم أصول التفسير ببعض المصنفات، وإن لم تكن كثيرة ككثرة المصنفات في علم أصول الفقه مثلاً، وككثرة المصنفات في قواعد الفقه، لكن هذا الاستقلال يدل على الأهمية من جانب، ويدل من جانب آخر على أن هذا العلم مُضمَّن في كثير من الكتب خاصة بطون كتب التفسير، وأننا نحتاج أن نستجمع هذه القواعد ونستخرجها ونجمعها ونقول نعم من هنا نستطيع أن نفهم كلام الله.

✓ أهم المؤلفات في أصول التفسير

- لعل أبرز المؤلفات وأكثرها شهرة هي رسالة شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله والمسماة بـ: ***مقدمة في أصول التفسير*** ، هذه مشهورة في أصول التفسير.

وعلى أية حال طالب العلم مع عنايته بالكتب عليه أن يعتني بما في هذه الكتب. يعني لو أنا فرضنا أن طالب علم لا يعرف من التفاسير إلا ثلاثة يقول أنا والله ما وقفت إلى على ثلاثة، رأى تفسير ابن جرير الطبري، ورأى

من المتوسطين مثلا تفسير ابن كثير رحمه الله ،ورأى في المتأخرين مثلا تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور رحمه الله أو أضواء البيان للشنقيطي، فأخذ بهذه الكتب الثلاثة وجهل غيرها، نقول هذا لا يضر في مسيرته في علم التفسير ولا يشترط في المفسر أن يكون ملماً بمائة أو مائتين أو ثلاثمائة كتاب في التفسير، هذا لا يشترط فيه. فلو أن شخصا استشرح أو استجمع كتابا أو كتابين أو رسالة أو رسالتين في أصول التفسير وانطلق بها إلى معرفة التفسير ثم بدأ في قراءة أو شرح لكتاب الله سبحانه وتعالى فهذا إن شاء الله لا يضر مع أخذه للقواعد التي درسها لو من كتاب واحد

إذن، أشهر هذه الكتب مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، وهذه المقدمة أثنى عليها السيوطي، وأثنى عليها ابن كثير، وهو من تلاميذ ابن تيمية رحمه الله، أثنى عليها في كتابه التفسير وسماها بالمقدمة النافعة والوجيزة. كثرت الشروح على هذه المقدمة، ولعل أكثر شروحها في زماننا هذا. شرحها الشيخ محمد بن العثيمين رحمه الله، ولها شرح جميل جدا للدكتور مساعد بن سليمان الطيار، ولها أيضا شرح لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ولها شرح للدكتور محمد بازمول، ولها شروح كثيرة ينتقي طالب العلم شرحا أو شرحين، وإن كان أكثر هذه الشروح تسجيلات كأنها إملاءات أملاها العلماء في أثناء دروسهم إلا شرح الدكتور مساعد الطيار فإنه ألفه تأليفا. وهذا الحقيقة مما أحيانا يجعل طالب العلم يقدم بعض الكتب التي حُققت وحُررت ونُظر فيها أكثر من مرة لأنه لا يخفى أن الذي أُلِف كتابةً أولى من الذي يُملى إملاءً وفي كلٍ خير، فيستجمع طالب العلم من هذه الكتب ما يجد فيها خيرا .

- من المؤلفات في أصول التفسير، كتاب ***الفوز الكبير في أصول التفسير***، للشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، وإن كان بعضه في التفسير لكن فيه بعض الأبواب المتصلة بعلم التفسير. كُتِب باللغة الفارسية وتُرجم .
- من كتب المعاصرين كتاب بحوث ***في أصول التفسير ومناهجه***، للدكتور فهد الرومي.
- كتاب ***فصول في أصول التفسير***، وكتاب ***التحرير في أصول التفسير***، و كتاب ***شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية***، كلها للدكتور مساعد الطيار، وفقه الله.
- كتاب ***تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه***، للدكتور علي العبيد.
- كتاب ***مفاتيح التفسير***، للدكتور أحمد الخطيب.
- كتاب ***أصول التفسير وقواعده***، للدكتور خالد عبد الرحمن العك.
- كتاب ***أسباب اختلاف المفسرين***، للأستاذ الدكتور محمد الشايع.
- كتاب ***قواعد الترجيح عند المفسرين***، للدكتور حسين الحربي.
- كتاب ***قواعد التفسير جمعاً ودراسة***، للدكتور خالد السبت.

كل هذه المؤلفات في الحقيقة مهمة وجيدة والأخذ ببعضها يفيد إن شاء الله، الأخذ ببعضها ولو بكتاب أو كتابين تنظر أنه مُحَرَر، تسأل عن أفضلها وأحسنها، ثم تستجمع عليه الأيام المخصصة في مسيرتك العلمية للنظر في هذا الباب، باب التفسير، ثم إن شاء الله تنطلق إلى المقصود من هذا العلم، علم أصول التفسير.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا وإياكم لكل خير وإلى أن نلتقي إن شاء الله في الحلقة العلمية الثالثة أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما يا رب العلمين. نستأنف على بركة الله هذه الدروس التي كُلفنا بها في برنامج السعدي وهي المتصلة بمادة أصول التفسير، وقد أخذ بنا اللقاء الأول واللقاء الثاني في المقدمة التي تشتمل على التعريف بالمادة، وبالمناهج، وبالنشأة، وتحدثنا فيها عن العلاقة بين أصول التفسير وعلوم القرآن، وعن أشهر المصادر التي نأخذ منها هذا المقرر وهو أصول التفسير. ووقف بنا المسار في الخطة عند أقسام التفسير.

✓ أقسام التفسير

نبدأ في هذا اللقاء الحديث عن أقسام التفسير بالنسبة لمصدره. ما هي مصادر التفسير؟ وهنا يحتاج بنا المقام إلى بعض التفصيل. المفسِّر من أين يأخذ تفسيره؟ وكيف يكتب تفسيره؟ ما مصدره الذي يستمد منه هذه المسائل؟ هل هو محدود بمصادر معينة، أم له مطلق الحرية في أن يأخذ من أي كتابٍ شاء ومن أي مصدر شاء؟ وبأي عبارة يركبها؟ على هذا نقول بأنه يمكن تقسيم التفسير باعتبارات عدة، منها:

- أقسام التفسير باعتبار الأثر والرأي.
- أقسام التفسير باعتبار إمكان العلم به.
- أقسام التفسير باعتبار أساليبه.
- أقسام التفسير باعتبار اتجاهاته.

وفيما يلي وفي محاضراتٍ قادمة نتحدث عن كل قسم من هذه الأقسام بعرضٍ مختصر.

✓ أقسام التفسير باعتبار الأثر والرأي

ينقسم التفسير على هذا الاعتبار إلى قسمين: تفسير بالأثر، وتفسير بالرأي.

1. التفسير بالأثر (التفسير المأثور)

التفسير الذي يسميه العلماء التفسير بالمأثور أو التفسير بالأثر، فهذا ملخصه أنه يعتمد على المنقول من كلام الله عز وجل، وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام أصحابه رضي الله عنهم، لأن هذه النصوص والآثار

هي التي ترجع بنا إلى العصر الأول الذي نزل القرآن فيه، ولا شك أن هذا العصر هو عصر البيان، وهو عصر التنزيل؛ ولهذا كان قول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مقدمٌ على قول غيرهم لأنهم هم مَنْ عاصروا التنزيل.

فعليه، يقال **بأن التفسير بالمأثور هو الذي يستند على الكتاب، ويستند على السنة النبوية، ويستند على آثار الصحابة رضي الله عنهم**. وأما بالنسبة للتابعين ففيه خلاف في اندراجهم في قضية التفسير بالمأثور، وإن كان **القول المختار عند جماعة من العلماء هو أن تفسير التابعين حجة، وأن قولهم يؤخذ به في التفسير**، حتى وإن استثنوا باب أحكام الدِين أو فروع الدين فإنهم يأخذون به في التفسير.

ولا شك أن الحقبة التي مر بها التفسير في زمن التابعين كانت حقبة مليئة بالعلم والعلماء، وتلقى ذلك الجمع المبارك عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العلم الكثير حتى برزت عندنا أسماء عظيمة لامعة في التفسير كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر المكي، والحسن البصري، وأسماء كثيرة امتلأت بها أركان الدنيا وعواصم الأمة الإسلامية كمكة والمدينة والبصرة والكوفة، لأجل ذلك كان لهم مكان في التفسير، ولعلنا في سياق هذا المقرر نسلط بعض الضوء على ذلك الزمن الجميل في تفسير كلام الله سبحانه وتعالى، وأيضا نضجه وتوسعه عن ما قبله، ولأن في زمان التابعين رحمهم الله توسعت الحاجة إلى التفسير.

بعد ذلك العصر جاء زمن التأليف في التفسير والذي استقى من تلك المرحلة لأنها قريبة، ومما قبلها، وهذا هو التفسير بالمأثور الذي ينطلق من هذه الأركان المهمة، وهي التي نستطيع أن نقول فيها أن التفسير فيها باب رواية.

فإذا كان التفسير بالمأثور هو الرواية، فهذا يوجب علينا أن نفهم أن **التفسير بالمأثور يوجب النظر الدقيق فيما نسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى الصحابة رضي الله عنهم**، وذلك أن البعض ربما إذا علم أن التفسير بالمأثور هو الباب المقدَّم في التفسير أخذ بأي مأثور، ومن هنا يقع الغلط والخطأ. فليس كل مأثور يؤخذ. مثل ما نقول في أبواب الدين كلها، فهل كل رواية إلى النبي صلى الله عليه وسلم نجدها مسطورة في أحد دواوين الإسلام نأخذ بها ونقبلها؟ لا؛ ولأجل هذا يقال بأن **الرو اية المقبولة تؤخذ في باب التفسير بحسب درجتها**: فيقبل الحديث الصحيح، والحديث الحسن، والحديث الحسن لغيره، يعني فيه ضعف ولكن ينجبر بغيره. أما بالنسبة للمردود، فلو قلنا أن الروايات فيها المقبول وفيها المردود، فالمردود لا يقبل، ولأجل هذا نجد أن هناك نَظَرا لبعض المفسرين في الذي يُنقل في باب التفسير فيجعلونه مرجوحاً بسبب ضعفه. وهذه نقطة مهمة جداً، ويعتبر في الحقيقة باب من أبواب البحث العلمي وذلك أن يستجمع الطالب أو الباحث الأقوال التي ردَّها المفسرون لضعف روايتها، وهو باب عظيم من أبواب النظر في التفسير. وعليه، يُنبَّه ألا يكون المفسر حاطب ليل، كلما جاء في باب الرواية أخذها، ولهذا نجد أن هناك جمع كبير في الآيات التي فسرها النبي صلى

الله عليه وسلم، ولكن عند النظر والتمحيص نجد أنها لا تأخذ حظها من الصحة. هذا هو الباب الذي نستطيع أن نقول أنه باب التفسير بالمأثور أو النوع الأول.

قبل أن ننتقل إلى النوع الثاني، نود أن ننبه علي أن التفسير بالمأثور لا يستقل فقط بالرواية عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن الصحابة؛ بل هناك ما هو مُقَدَّم عليه، وهو كلام الله جل وعلا، و هو **تفسير القرآن بالقرآن**، وسيأتي معنا إن شاء الله في تناولنا لطرق التفسير والذي يدخل فيه التفسير بالمأثور، لأنك لا تنقل فيه إلا نصاً، ونحن نعلم في طرق التفسير أن الطريقة الأولى الكاملة الحسنة هي أن نأخذ بالوحي سواء كان من كلام الله سبحانه وتعالى في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهذه هي الطريقة الأولى. وعلى أية حال، أدخل العلماء في التفسير بالمأثور أن يَفَسَّر القرآن بالقرآن أو بالسنة الصحيحة أو بأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

2. التفسير بالرأي

النوع الثاني من أقسام التفسير هو التفسير بالرأي. وهنا قد يقول قائل: هل التفسير بالرأي معناه أن أقول برأيي في كلام الله سبحانه وتعالى هكذا بإطلاقه؟ يقال أن **المراد بالتفسير بالرأي هو الاجتهاد**. لكن، من الذي يجتهد؟ هل كل أحد يجتهد في تفسير كلام الله ثم ينقله للناس على أنه تفسير؟ بالطبع لا.

التفسير بالرأي ينقسم الى قسمين: تفسير بالرأي محمود، وتفسير بالرأي مذموم.

(أ) التفسير بالرأي المحمود:

أما التفسير الذي يُحمد فهو الذي لا يخرج عن ما قبله. أي أن أقرأ آية وأفهم معناها في كلام الله تعالى، وفي كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم أنقلها مُفَسَّرة في حدود ما فهمت من كلام الله ومن كلام رسوله صلى الله عليه وسلم. واذا عُرض هذا التفسير على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لا نجد فيه ما يعارضه ولا ما يناقضه وهذا محمود. وهذا يعني أنني لا أقتصر في بيان الآية على الرواية فيها، بل أقول إن معنى الآية كذا وكذا وكذا. وقد أرى واقعاً أعيشه وأرى من المناسب تنزيل هذه الآية عليه وتطبيق معانيها على الواقع وكل هذا لا يتعارض مع النصوص والآثار المنقولة في أصل الآية، فحينها يقال بأن هذا تفسير بالرأي يحمد ولا يذم.

(ب) التفسير بالرأي المذموم:

أما التفسير الذي يُذم فإنه التفسير الذي ينطلق فيه المفسر برأيه و هواه ولا ينضبط بالضوابط التي جاءت بها الأدلة الشرعية في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الصحابة، وإجماع التابعين رضي الله عنهم؛ بل يضرب بهذا عرض الحائط ولا يلتفت إليه ولا يستند إليه ولا يرى أنه مرجع يرجع فيه إلى تفسير الآيات. كالذي يقول بأنه يفسر الآيات بحسب واقع اليوم، وواقع اليوم يختلف عن واقع الصحابة، ولهذا يجب علينا أن نقرب القرآن إلى واقعنا أكثر مما كان في واقع الصحابة، فينطلق من هنا بالتطبيقات التي لا تُعقل ولا

تُقبل. وربما تأتي صناعات أو حوادث جديدة، فيقول: نعم، هذه هي المقصودة بكذا وهي الموعودة بكذا. وربما يقرأ في بعض الآيات المتصلة بعلامات الساعة وأشراطها، فينطلق بكلام يربط فيه كلام الله بواقعه ربطاً سيئاً غير مناسب. فمن هنا يقال بأن **هذا تفسير باطل مردود لا يقبل**.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الباب: إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حمَّلوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة التفسير، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

يعني يأتي هذا المفسر ويعتقد اعتقاداً، وينظر نظراً، ثم يقول بأن هذه الآية هي المقصودة بهذا الرأي. اِعتَقَد ثم استدل لعقيدته بهذا الدليل وأخذ بالدليل إلى عقيدته يجرها جراً، يجر الأدلة إلى معتقده ويلبسها الثوب الشرعي والمستند الشرعي. هذا يقال بأنه مردود ولا يقبل؛ ولأجل هذا **حَكَم العلماء على هذا النوع من التفسير (التفسير بالرأي المذموم) بأنه مُحَرَّم ولا يلتفت إليه ولا يسمى صاحبه مفسِّرا، بل يُرَد تفسيره عليه**. وهناك أدلة كثيرة تدل على أسباب هذا الرد، منها قول الله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36]، ويقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل-44].

إذن، البيان رسالة من السماء إلى الأرض حُمِّل بها الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة : 67]. فهؤلاء الذين يعتقدون أن هذا من البلاغ ويربطون هذا الربط السيء، يقال لهم: هذا الذي تظنونه تفسيراً واقعياً لكتاب الله ما هو إلا تفسيراً بدعياً يناقض قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا لأنه خرج عن الدائرة، أما إذا لم يخرج عن الدائرة التي يتفق فيها قولهم مع النصوص المتقدمة ولا يعارضه ولا يصادمه فهنا لا نقول بأن هذا تفسيراً مردوداً مادام أنه في حدود ما تدل عليه الآية ولا يعارض ولا يناقض مذهب السلف الصالح رحمهم الله.

- ويحضرني في هذا تطبيقاً لبعض مفسرينا المعاصرين رحمهم الله على آية سورة النحل، وهي قول الله عز وجل: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : 8]. من يرجع الى آثار الصحابة رضي الله عنهم في تفسير قول الله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، يجد بأنهم يجتمعون على أن مِن خلْق الله تعالى ما يغيب عنا و لا نعلمه وهذا ما تدل عليه الآية صراحة.

في زمننا هذا خرج من أئمة التفسير، كالإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي صاحب *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، وكالإمام محمد الطاهر بن عاشور العالم التونسي صاحب *التحرير والتنوير*، وأيضا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب *أضواء البيان*، هؤلاء الأئمة الثلاثة، رحمهم الله تعالى، وهم من أئمة التفسير في

زمننا المعاصر وكلهم كتبوا و كلهم بورك لهم فيما كتبوا، هؤلاء معاصرون وقد عاصروا الأيام التي رأينا فيها الطائرات و السيارات والدراجات والقطارات، كان أولهم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله الذي حكى عن قول الله تعالى: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أنها المركبات الحديثة، والذي يغلب على ظني أن ما حكاه في تفسيره حكاه في رسالة له عن يأجوج ومأجوج، بل أكاد أجزم بهذا، هذه رسالة طبعا فيها استدراكات لمعاصريه من العلماء، لكن مذكور في هذا المرجع إلى أن المراد بقوله (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) المراكب الحديثة.

أيضا الإمام محمد الطاهر بن عاشور، والإمام محمد الأمين الشنقيطي، وكلاهما إمامان متعاصران بين وفاتهما سنه واحدة، حكما بأن المقصود هو هذه السيارات والمراكب الحديثة و الطائرات والدراجات واستدلوا بالسياق، وقالوا بأن السياق في قوله تعالى (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) يدل على أن هناك خلقاً غائباً عن الصحابة الذين نزل عليهم القرآن، وهذا الخلق سيأتي في يوم من الأيام إن شاء الله سبحانه وتعالى، والله أعلم أيضا بالذي قد يغيب عنا من هذه المخلوقات، وقد رأينا بعضه والله أعلم بذلك. فهل هذا التفسير صحيح؟ نقول: نعم بأنه صحيح لأنه لا يعارض ما قاله أئمة التفسير في زمن السلف الصالح رحمهم الله.

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، وإن كانت هذه الدواب التي سماها الله سبحانه وتعالى تنقل المسافر وتحمل الأثقال، إلا أن هناك ما ينقل ويحمل الأثقال ولكن بصورة لا نعلمها ولا نراها. فهنا نقول بأن هذا التطبيق الواقعي لا يعارض ما كان عليه السلف الصالح رحمهم الله، لكن أن نشق معنى آخر ونخط خطا جديدا ونقابل القول الجديد بالذي لا يقبله ولا يناسبه من أقوال السلف الصالح رحمهم الله، بل ربما هذا القول الجديد يعارض أدلة جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحينها نقول بأن هذا التفسير المعارض لا يُقبل.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" [سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه]. كما جاء أيضاً في سنن الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَن قال في القرآنِ برأيِه فأصاب فقد أَخْطَأَ"، ومعنى هذا الحديث أنه حتى أنه لو تكلم بكلام لم يأبه فيه بالمنقول ولا المأثور، بل صار يتكلم فأصاب في بعض كلامه، نقول له أن كل طريقك الذي أصبته أخطأت فيه وإن أصبت، لأن القرآن يجب أن تتلقاه باحترام وتوقير لله سبحانه وتعالى، وألا تنطلق في بيانه إلا وأنت على مستند، وإلا فما فائدة كلام أهل العلم في شروط المفسر؟ إنهم كأنهم يقولون انتبهوا وراعوا قضية التفسير، فأنه لا ينطلق المفسر إلا إذا كان على حد رفيع من العلم الشرعي، ولهذا قال مسروق رحمه الله: "اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله".

- كلنا يعلم ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، وجماعة السابقين الأولين رضي الله عنهم وأرضاهم. عندما سئل أبو بكر الصديق عن قول الله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبّاً} [عبس: 31] قال: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم". وعمر رضي الله عنه قال: أن هذا لهو التكلف، وذلك حين جاءه رجلا يسأله في قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } قال: ما الأب؟ قال عمر: هذا هو التكلف. (وفي رواية قال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف).

وأختم هذه الحلقة بخاتمة وهي أن طالب العلم يقول بأن إذا كانت هذه الضوابط ربما أنكم تحرمونني من التدبر أو تحرمونني من الاستنباط، نقول أن التدبر والاستنباط فرع عن التفسير فإذا علمت التفسير فإنك ستعلم بإذن الله كيف تتدبر وكيف تستنبط. لكن هنا مسألة مهمة وهو أنه لو اجتمع جماعة مع عالِم من العلماء أو جماعة قالوا سنحاول قراءه سورة من سور القرآن من قصارها مثلا ثم ننظر في معناها ثم نعرض المعنى على المفسر أو على التفسير، فهل هذا يستقيم أو لا يستقيم؟ نقول انه إذا كان وراءك من سيصحح لك في تفسيرك فلا بأس عليك. و هذا قد يؤخذ من قصة عدي بن حاتم رضي الله عنه لما فهم فهماً فأخطأ فيه، فعرضه على النبي صلى الله عليه و سلم فصوَّب له. فإذا كنت سترجع إلى مصدر فانظر وتأمل، إذا وُفقت للصواب فالحمد لله، أما إذا نظرت واجتهدت فأخطأت، حينها تعود إلى الكتاب، وتعود إلى المفسر، إن قال لك أخطأت علمت الصواب وتركت الخطأ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **نهى الخشن**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ثم أما بعد، أرحب بكم أيها الإخوة المشاهدون ونبدأ لقاءنا الرابع علي بركة الله في الحد الذي توقفنا عنده من خطة هذه المادة مادة "أصول التفسير" في برنامج السعدي الذي تنظمه أكاديمية تفسير، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

تحدثنا في اللقاء السابق عن أقسام التفسير باعتبار المصدر وقلنا أنه ينقسم إلي قسمين: تفسير مأثور، وتفسير بالرأي، وأن المأثور هو ما يستند علي كلام الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وأما التفسير بالرأي فهو الذي ينطلق من الاجتهاد، والاجتهاد ربما يكون منضبطا بما قاله الله وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يخرج عن مفهوم تلك الدلالة، فهذا يُحمد وسميناه في اللقاء السابق بالتفسير بالرأي المحمود . أما الثاني فهو التفسير بالرأي المذموم وهو الذي ينطلق من الهوى ومن الظن ومن الاعتقاد الباطل السيئ، بل إن أهل العلم قالوا بأن الانحراف في التفسير بدأ مع الأفكار الضالة التي جاءت بالاعتقاد الفاسد في حق الله وحق رسوله صلي الله عليه وسلم وحق أصحابه. فالرافضة والمعطلة بأنواعهم سواء عطلوا القليل أو عطلوا الكثير من معتزلة وأشاعرة وأيضا الفرق التي غلت في بعض أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم أو غلت في النبي صلي الله عليه وسلم من متصوفة وغيرهم ورافضة، هؤلاء كلهم أخذوا هذه الأدلة وبدأوا ينطلقون فيها بأقوالهم وآرائهم ولا يلتفتون إلى قضية الإسناد، ولا يلتفتون إلى قضية الموافقة والمخالفة والإجماع وغيره، فضلّوا وأضلوا. فهذا الذي يُسمى التفسير بالرأي المذموم، وهذا الذي لا يُقبل بحال.

الذي نريد الحديث عنه اليوم إن شاء الله في هذه الحلقة هو التفسير باعتبار إمكان العلم به، أو نستطيع أن نقول: **أنواع التفسير بالنسبة لما يحتاجه نص القرآن من البيان**.

✓ أقسام التفسير باعتبار إمكان العلم به

قد يُشكل هذا العنوان على البعض، لكن بعد بيانه سيكون واضحا وبيّنا إن شاء الله. أستطيع أن أوضح هذا العنوان بسؤال فأقول: هل القرآن بيّن لكل أحدٍ، أم أن القرآن بكل آياته يحتاج إلي تفسير وتوضيح وبيان؟ أي: أقسام وأنواع التفسير بالنسبة لإمكان العلم بالقرآن الكريم ولما يحتاجه نصه من البيان ،هل هو علي درجة واحدة، واضح وبيّن وانتهي الأمر؟ أم غير واضح ولا يمكن لمسلم أن يفهم القرآن إلا بتفسير ومفسر ؟ هذا هو المقصود وهذه هي الأنواع التي سنتحدث عنها إن شاء الله تعالى.

يقول العلماء بأن التفسير بهذا الاعتبار ينقسم إلي أربعة أقسام، وهذه القسمة مأخوذة من قولٍ لعبد الله ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: "**التفسير على أربعة أوجه** - يعني باعتبار نصه وفهم هذا النص - : **وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"**، هذا القول رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه وإن كان في إسناده إلي عبد الله بن عباس رضي الله عنه كلام حيث قالوا بأنه بالنسبة لإسناده فيه ضعف، لكن هذه القسمة تلقاها العلماء بالقبول، فهي قسمة صحيحة، ولهذا نجد على سبيل المثال أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يستدل بها في أكثر من موطن حتى مع خلافه مع من خالفه أو خالف مذهب أهل السنة في الاعتقاد، ومن يقرأ لشيخ الإسلام في التدمرية يجد أنه يذكر هذا الدليل والأثر عن ابن عباس.

وفيما يلي نقوم بشرح ودراسة هذه الأقسام أو الأنواع الأربعة، فنقول:

1. تفسير تعرفه العرب من كلامها:

نحن نعلم بأن للعرب لهجات ولغات ولهذا نقول بأن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهذا مذهب جماعة عظيمة من أهل العلم على أن المقصود بالسبعة أحرف هو أنها علي سبع لغات، وهذا مذهب ابن مسعود وغيره. نعلم بأن قريش لها لسان والقرآن نزل بلسانها، ونعلم بأن تميم لها لسان، وبأن ثقيف لها لسان،... وهكذا، قبائل ولهجات، واللهجات وإن اختلفت إلا أن معناها يتفق، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه "إنما هو كقول أحدكم : هلم، وتعال، وأقبل"، فهذه اللهجات بعضها يزيد بعض بيانًا وتوضيحًا وتفسيرًا، فتجد عند هذا كلمة، والكلمة الأخرى في اللسان الآخر يزيدها بيانا ووضوحا، وهذا يدل على عظمة اللغة العربية وسعتها وقوتها ونضجها لأنها تأتي علي هذه المصطلحات وتأتي علي هذه اللهجات وتأتي علي هذا البيان، وهذا لا يوجد في لغة أخرى .

فهذا النوع من التفسير، وهو تفسير تعرفه العرب من كلامها، يستدلون له أيضا بما أُثر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كنتُ لا أدري ما فاطرُ السَّمواتِ والأرضِ حتَّى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئرٍ، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها، أنا ابتدأتُها" [الراوي: مجاهد بن جبر المكي، المحدث: ابن كثير، المصدر: فضائل القرآن، الصفحة/الرقم: 125]. الشاهد أن ابن عباس رضي الله عنه ذكر أنه لم يكن يعلم معنى فاطر السماوات والأرض في قول الله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : 1] حتى اختصم عنده أعرابيان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها، بمعنى أني أول من بدأ حفرها وشقها، واختلفوا على هذه البئر وهي الآن محفورة، فهذا يقول لي وهذا يقول لي، فقال أحدهما أنا فطرتها، هي محفورة الآن لكن يقول أنا فطرتها، يعنى أنا أول من بدأها وحفرها، فابن عباس رضي الله عنه، بغض النظر عن الخصومة، قال علمت من كلامه معنى الحمد لله فاطر السموات والأرض، زاد عنده معنى أن الفطر هنا يدل على البدء في الشيء، ولهذا كان معنى الآية الكريمة

أن الله منشئها ومحدثها ومبتدعها سبحانه وتعالى بديع السماوات والأرض قبل أن يكون لها مماثل ومشابه، سبحانه وتعالى.

2. تفسير لا يُعذر أحدٌ بجهله:

المقصود بهذا النوع هو التفسير الذي لا يُعذر أحد من المسلمين بجهله، فلو أتينا إلى شخص مسلم يُقيم بين ظهراني المسلمين فنأخذ بيده ونقول له: ما معنى قول الحق سبحانه وتعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، أو قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ}، أو قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}، أو قوله تعالى: {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، أو قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}... ونحو ذلك من الآيات، لا يوجد مسلم يقول لا أعرفها، كل هذه الآيات وهي آيات من كلام الله سبحانه وتدل على أركان الإسلام، هل هناك مسلم يجهل هذا؟! لا، ما من مسلم يجهل هذه الأركان الخمسة التي لا يقوم إسلامه إلا بها. كذلك ما يتصل أيضا بأركان الإيمان مثل قول الحق سبحانه وتعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} هذه الآيات أيضا لا يسوب لمؤمن أن ينكرها لأنها أركان الإيمان أو يقول لا أعرفها، فهذا لا يُعذر أحد بجهله. لا نقبل أو لا يُقبل أن يُعذر مسلم في جهله لهذه الآيات الكريمة التي لا يسع أحدًا من المسلمين جهلها لأنه يعمل بها.

3. تفسير يعلمه العلماء:

أي تفسير يختص بعلمه العلماء، وهذا النوع من التفسير نقول عنه بأنه ليس لعامة المسلمين؛ بل لخاصتهم.

ومن أمثلة وتطبيقات ذلك ما يقول العلماء في تفاصيل الأحكام في الآيات السابقة المذكورة في النوع الثاني أعلاه، مثلا في قول الله تعالى: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، هل جاء في كتاب الله المقدار الذي يجب إخراجه في زكاة الحبوب والثمار على التفصيل المذكور في السنة النبوية؟ هذا لا نجده في كلام الله سبحانه وتعالى وإنما نرجع فيه إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فيما سَقَتِ السماءُ والعيونُ، أو كان عَثَرِيًّا، العُشْرُ، وما سُقِيَ بالنَّضْحِ نصفُ العُشْرِ)) [الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: البخاري: المصدر: صحيح البخاري رقم 1483].

كذلك ما يتصل بقول الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} كيفية أداء الصلاة، تفاصيلها، أوقاتها، هذه كلها في السنة النبوية.

أضف إلي ذلك أن بعض الآيات جاءت بما لا يستطيعه إلا أهل العلم مثل قوله جل وعلا: {لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 226-227]، الآيات كلها تتصل بالطلاق والإيلاء والنكاح، لا يمكن لأحد أن يتكلم بها وهو ليس من أهل العلم،

وفي قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة : 228]، لا يمكن أن تتكلم عن القروء وأنت لست من أهل العلم، وفي قوله تعالى: {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} فيها أيضا خلاف بين أهل العلم، هل المقصود هو الولد، أم المقصود هو الحيضة تكتمها في شأن العدة؟

فكل هذه الآيات وتفاصيلها نقول لا يحق لعاميّ أو لنصف متعلم أن يتحدث فيها، وإنما هي لأهل العلم، فهذا الذي يختص بعلمه العلماء ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه برأيه أو باجتهاده حتى يرجع إلى الكلام الذي حُفظ في دواوين الإسلام حول معاني هذه الآيات الكريمة.

4. **تفسير لا يعلمه إلا الله جل وعلا:**

قد يقول قائل أول ما يسمع هذا النوع من التفسير: كيف تفسير لا يعلمه إلا الله؟ هل يوجد في القرآن شيء يخفى عنا؟ نقول: نعم، يوجد في القرآن ما يخفى عنك ولا تستطيع علمه وهذا الذي يجب أن تقول فيه: {**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**}، ولا يجوز لنا أن نخوض فيه. أظهر أمثلته:

- **الحروف المقطعة في بدايات بعض سور القرآن:** ألم، ألمر، طس، طسم، كهيعص، عسق، وأمثالها، الحواميم كلها، ما الذي تعنيه هذه الآيات؟ لا يجوز أن نقول بأنه ليس لها معنى؛ لأن الله منزه عن أن يتكلم سبحانه بالشيء الذي لا معنى له وقد وصف الله كتابه بأنه كتاب عظيم وقيم وفصلت آياته، فكيف يكون فيه ما ليس له معنى أو لا فائدة منه. إذن هذه الحروف المقطعة لها معاني وهذه المعاني الله أعلم بها. وقد يكون من حكمة إيجادها في بدايات السور الابتلاء بها، لأن الله سبحانه وتعالى يبتلي ببعض تشريعه المؤمن من غير المؤمن، هل يثبت إيمانه أم يتغير ، قد يُكلِّف العباد بشيء ثم يُغير هذا التكليف لينظر هل يستمر العبد على إيمانه وتسليمه استجابةً لأمر الله أم أن الأمر متغير، ومثال ذلك قول الله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ } [البقرة : 143]، هذا التشريع هو تسليم لله جل وعلا . لماذا سبق السابقون الأولون من الصحابة رضي الله عنهم؟ يأتي أمر القبلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيستجيب ويغير القبلة، ويأتي الآتي إلى أهل قباء ويقول لهم أشهد أن رسول الله صلى قِبَل بيت الله الحرام أو صلى قبل الكعبة فيستديروا وهم في صلاتهم حتى يكون الإمام مكان المأمومين والمأمومون مكان الإمام، بل جاء في بعض الروايات أنهم وهم ركوع استداروا، ولم يكن البلاء أن تكون الجهة من الشمال إلي الشرق بل اتجاه كامل من الشمال إلي الجنوب، فهذا هو التسليم. إذن، قد يكون من حكمها أن الله يبتلي العباد بها، لكن ما علمها؟ ما خبرها؟ ما معناها؟ الله أعلم به.

- وأيضا من أمثلة هذا النوع: **ما يذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه دون ميقات، كالساعة مثلا**: قال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الْأَعْرَافِ : 187]، وقال تعالى: { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ } [النَّحْلِ : 77]، وقال تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ : 1]، وقال تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل : 1]. وهنا قد يقول قائل: الساعة ذكرت في القرآن كثيرا وسميت سورة من السور بسورة القيامة، فمتى القيامة؟ مذكورة في كتاب الله أشراطها وعلاماتها لكن متى هي؟ الله أعلم، الله أعلم بميقاتها، لا نعلم متي ميقاتها. ولهذا يُقال أن كل من خاض حتى من أهل العلم في ميقات الساعة وتحدث عنها وقال إنها ما بين كذا وبين وكذا، هذا كله لا يُقبل ويرد ولا يجوز لأحد أن يحكم في حكم الله بشيء، إذا قال الله بأنها غيب نقول آمنا بالغيب، وقد أثنى الله على المؤمنين بالغيب في كتابه الكريم، منها قوله تعالى في أول سورة البقرة {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة : 2-3]، فالقضية قضية إيمان بالغيب، ولهذا قول شاذ مردود مرذول، كما يقول بعض أهل العلم، أن تتحدث في أمر الساعة بميقات، ولا يُقبل هذا. قد تتشوف النفوس لبعض الكلام الذي يُنقل عن من سطره في كتبه من بعض أهل العلم، لكن نقول بأنه لا يُقبل بل مردود، والله قد ذكر هذا في كتابه كما قال ربنا سبحانه وتعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ } فعليك أن تقف عند هذا الحد وتقول آمنا بأمر الله، وآمنا بخبر الله، وآمنا بوحي الله، وكل إنسان ساعته تقوم إذا فارق الحياة . فنسأل الله بمنه وكرمه أن يُعيننا على قيامتنا وأن يجعلنا ممن حسن ختامه وقبل ذلك حسن عمله وحسن تصديقه وشمله ربه سبحانه بالعفو والمغفرة.

- من أمثلة هذا النوع أيضا: **كيفية الصفات**: لا نقصد الصفات هكذا بإطلاق، لا، بل نقصد كيفيتها. فربنا سبحانه أخبر أنه استوي على العرش، هذا الخبر نؤمن به، كيف استوى؟ في علم الله. أخبر سبحانه وتعالى في كتابه أن له يد، ما صفتها وهيأتها ؟ الله أعلم به، نحن نؤمن بذلك ونؤمن أن له تمام الكمال فيها والحسن والجمال لكن كيف هي؟ هذا في علم الله سبحانه وتعالى .

هذه هي الأقسام الأربعة والأنواع الأربعة من التفسير باعتبار إمكان العلم به.

أختم هذه المحاضرة بسؤال وهو: هل الأصل في القرآن أنه يُفهم، أم أنه يحتاج إلي تفسير ومفسر ؟ وأطالبكم أن تجيبوا على هذا السؤال في هذه اللحظة، كلٌ يسأل نفسه هذا السؤال ويُجيب عنه ويأتي بالدليل، وإن شاء الله في أول لقاءنا الخامس نستفتح بهذه المسألة بدليلها، لكن قبل أن ترجع إلي أي كتاب وقبل أن ترجع إلي أي موقع،

اسأل نفسك هذا السؤال: هل الأصل في القرآن الكريم أنه يُفهم، أم أنه يحتاج إلى تفسير ومفسر؟ لا تقول نعم أو لا، فهذه ليست إجابة، الإجابة أن تقول: نعم، والدليل كذا، أو: لا، والدليل كذا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **إسراء الزعيم**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي:
رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. هذا هو اللقاء الخامس من لقاءات مادة أصول التفسير، وهي المقررة عليكم في برنامج السعدي، الذي كُلفتم به من قِبل أكاديمية تفسير، وأسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذه المادة وبهذه اللقاءات، وبالمواد الأخرى التي انتظمتم في دراستها، وأن يجعلها لنا جميعًا حجة وذخيرة عند الله سبحانه وتعالى؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر وقال: ((والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ))، لا حل بينهما، لا حل وسط في هذه القضية، إما أن يكون حجة لك يُحاجّ عنك ويُدافع عنك ويشهد لك بين يدي الله أنك قرأت القرآن فيه وعلمته لأجله، أو أنه حجة عليك، ((إنّما قرأ ليُقال قارئ)) عياذًا بالله. ولا أعظم حقيقة في هذه المناسبة من قوله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة يُحاجان عن صاحبهما))، واختلف العلماء: هل يأتيان بهيئة يعلمها الله أو يأتيان بأجرها؟ لعل المختار من أقوال السلف أنها تأتي بأجرها، وإن كانت المسألة فيها خلاف، لكن الأجر هو المقصود في هذا الحديث، على ما رجحه أئمة أهل السنة، يأتي أجرها يوم القيامة، وثمرة قراءة العبد، وثمرة تدبره، وتفسيره، واستنباطه، كلها بين يدي الله جل وعلا، يُحاج عن صاحبهما، ولذلك جاء في الحديث قال: ((تُظللان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان))، فنسأل الله ألا يحرمنا فضله وأجره، وأن يحسن لنا ولكم النية والقصد، إنه سميع مجيب.

توقفنا في اللقاء السابق عند التساؤل:

✓ هل الأصل في القرآن أنه يفهم، أم لا بد من تفسير المُفسِّر؟

والجواب عن هذا التساؤل هو: **أن الأصل في القرآن أنه يفهم**. ما الدليل؟ الدليل أن الله أمرنا بتدبره، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: 29]، وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [مُحَمَّدٍ: 24]. فهل يعقل أن يأمر الله سبحانه بالتدبُر، ويحجب عنا فهمه ومعناه؟ لا يمكن، لم نؤمر بالتدبر إلا والقرآن يُفهم ويُعقل المعنى، ولهذا يُقال عند الرد على هذا التساؤل: **أن الله سبحانه وتعالى كلفنا بالتدبر، وأن الله سبحانه لا يكلف عباده إلا بما يُستطاع**، لا يكلف الله العباد إلا بالذي يستطيعون، وأنه لا تكليف مع عدم الاستطاعة، قال ربنا سبحانه وتعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [الْبَقَرَةِ: 286]، {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} [الطَّلَاقِ: 7]، وهذا يدل على أن العبد لا يُكلَّف إلا بالشيء الذي يستطيع أن يصل فيه إلى استطاعة تامة، والناس يختلفون في هذه الاستطاعة، فمنهم من يستطيع الفهم للآية كلها، ومنهم من يستطيع إلى فهم بعض معانيها وبعض أسرارها،

وهكذا، {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التَّغَابُنِ: 16]، ما دام أنك تستطيع فافعل وتدبر فإن الله سبحانه وتعالى أمر بالتدبر. هذا فيما يتصل بسؤال الحلقة السابقة.

وكنا توقفنا عند أنواع التفسير باعتبارات مختلفة، فأخذنا التفسير باعتبار العلم بآياته، وقلنا أن التفسير باعتبار العلم بآياته، أي باعتبار ما يحتاجه نص القرآن من البيان، أو أنواعه من جهة إمكان العلم به، وقلنا أنه بهذا الاعتبار ينقسم إلى أربعة أنواع وهي:

- التفسير الذي تعرفه العرب بلغتهم.
- التفسير الذي لا يعذر أحد بجهله.
- التفسير الذي يعلمه العلماء.
- التفسير الذي لا يعلمه إلا الله.

وتم الحديث عن هذه الأقسام الأربعة وأمثلتها، والحمد لله. والآن ننتقل إلى نوع آخر من أقسام التفسير.

✓ أقسام التفسير باعتبار أساليبه

التفسير باعتبار أساليبه مرتبطٌ بمناهج التفسير أكثر من ارتباطه بأصول التفسير. وقد قلنا سابقًا أن أصول التفسير هي الأسس والقواعد التي من خلالها يُفهم كلام الله جل وعلا، فبالتالي هذه الأصول يجب أن تكون مختصة وتقع تحت هذا القيد وهذا التعريف، أما الأساليب والمناهج فارتباطها بالمادة المسماة بمناهج التفسير ألصق وأقرب. وعلى أية حال ما دامت في خطة هذا المقرر فسنشير إليها، وإن كانت هذه الخطة تقترب من بعض المواد المقررة عليكم كقواعد التفسير، وستأتي معنا، وأمثالها، لكن لا مانع أن نشير إليها وهذه الإشارة إن شاء الله تنفعنا في هذه المادة، وتُكمَّل في المواد الأخرى بطرقها وأمثلة على الكتب المصنفة فيها.

ينقسم التفسير باعتبار أساليبه إلى أربعة أنواع وهي:

1. التفسير التحليلي

ما هو التفسير التحليلي؟ التفسير التحليلي هو ألا تفوت الآية إلا بعلمٍ تام عن كل ما يتصل بها، المعنى، الحُكْم، الأسرار، الأهداف، الاستنباط، والعمل بها.

(عرَّفَ الدكتور فهد الرومي في كتابه *بحوث في أصول التفسير ومناهجه* التفسير التحليلي بقوله: "التفسير التحليلي هو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة من القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.")

وهذا الأسلوب هو الذي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمونه ويأخذون به، " قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا." [أخرجه الطبري في تفسيره وأشار إلى صحته] [1]

وفي الأثر عن الإمام مجاهد بن جبر المكي رحمه الله، تلميذ عبد الله بن عباس قال: "عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها." [أخرجه الطبري في تفسيره وأشار إلى صحته][2]. أي كان يسأله عن هذه الآيات، وعبد الله بن عباس، كما عرَّف به عمر رضي الله عنه، كان حبر الأمة وترجمان القرآن.

فهذا هو النوع الذي تُفسر من خلاله الآيات يسمى تفسيرًا تحليليًا. توقفه عند الآية تسأله مقصودها، مرادها، سبب نزولها، أهدافها، الاستنباط الممكن منها، وهكذا.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قريبًا مما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي، قال: " كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ." [أخرجه الطبري في تفسيره، وأشار إلى صحته][3]. إذن، هذا النوع الأول ويسمى التفسير التحليلي.

2. التفسير الإجمالي

(عرَّفَ الدكتور فهد الرومي في كتابه *بحوث في أصول التفسير ومناهجه* التفسير الإجمالي بقوله: "التفسير الإجمالي هو الأسلوب الذي يعمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني الجمل فيها متتبعاً ما ترمي إليه الجمل من أهداف، ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها للقارئ والمستمع. وبعبارة أخرى، التفسير الإجمالي هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة سورة إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً مبرزاً مقاصدها، موضحاً معانيها، مظهراً مراميها، ويجعل بعض ألفاظ الآيات رابطاً بين النص وتفسيره فيُورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يَبعُد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم

---

[1] المصادر: - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية،
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للدكتور فهد الرومي

[2] المصادر السابقة.

[3] المصادر السابقة.

يُجانب ألفاظه وعباراته، ومُشعراً بما انتهى إليه في تفسيره من النص. والتفسير الإجمالي أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية التي لا يلتزم المترجم فيها بالألفاظ وإنما يقصد إلى بيان المعنى العام وقد يضيف إليه ما تدعو الضرورة إليه كسبب نزول، أو قصة، ونحو ذلك")

هذا التفسير لعله يقابل التفسير التحليلي. فالتفسير الإجمالي هو أن تُعرض الآيات ثم يتم تفسيرها على وجه الإجمال، إن كانت كلمة تُبيَّن، أو مقصودًا يُبيَّن، أو سبب نزول يُشار إليه على وجه الإجمال، وهكذا، هذا يعتبر تفسيرا إجماليا. ونلاحظ أن هذا التفسير الإجمالي يكون مختصرًا، لا تجد فيه الاستنباطات والخلافات والتفريعات، أو مجادلة مع المخالفين لأهل السنة، أو مع المخالفين للاستنباط الفقهي، وهكذا، هذا لا تجده في التفاسير المجملة. **فالتفسير الإجمالي المقصود منه فقط بيان المراد من النص، وهو أشبه ما يكون لبيان المعنى فقط، بيان معنى السورة أو الآية**. ولعل **من أشهر أمثلته: تفسير السعدي، وتفسير الجلالين**، فهذا من أقرب التفاسير التي نستطيع أن نسميها تفاسير إجمالية.

3. التفسير المُقارَن

(عرَّفَ الدكتور فهد الرومي في كتابه *بحوث في أصول التفسير ومناهجه* التفسير المقارن بقوله: "التفسير المقارن هو الذي يعمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصاً قرآنية أخرى، أو نصوصاً نبوية (أحاديث)، أو للصحابة، أو للتابعين، أو للمفسرين، أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يُقارن بين هذه النصوص، ويُوازن بين الآراء، ويستعرض الأدلة ويبين الراجح وينقض المرجوح.")

وهذا النوع من التفسير مُتوسعٌ فيه، ويصح -والله أعلم- أن نقول أن التفسير المقارن يأخذ من التفسير التحليلي الجزء الكبير؛ لأنه لا يمكن أن يكون مقارنًا إلا إذا كان تحليليًا. نعم، أنا أحلل النص، لكن المُقارن يزيد بقضية أخرى وهي استجماع الأدلة والمقارنة بينها، فيُقارن بين هذا الدليل وبين ذاك الدليل، يأتي على مشكل يقارن فيه، يأتي على خلاف فقهي أو على خلاف عقدي، يأتي بالقضية الأولى والقضية الثانية، بالقول الأول والقول الثاني ثم يقارن بينهما، إذا جاءت قضية تفسيرية يستجمع فيها قول فلان وقول فلان، قد يتعارضا، قد يتقابلا، قد يزيد هذا على الآخر، وهكذا، يجمع الأول ويجمع الثاني ويخرج فيه بنتيجة. ومن يقرأ منكم **تفسير الإمام الطبري** يجد أنه يسير على هذا النوع في كثير من القضايا خاصة القضايا الخلافية يأخذ فيها رحمه الله بالمقارنة، فهذا الذي يسمى بالتفسير المقارن.

والتفسير المقارن من خلال ما عَرَّفنا به لا شك أن فيه طول وفيه نظر ويحتاج إلى صبر للنظر بين تلك الأقوال التي يُقارن المُفسر فيها بين قضية وقضية أخرى.

4. التفسير الموضوعي

(عرَّفَ الدكتور فهد الرومي في كتابه *بحوث في أصول التفسير ومناهجه* التفسير الموضوعي بقوله: "التفسير الموضوعي هو أسلوب لا يُفَسِّر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد فيفسرها. ولذا فإن التفسير الموضوعي هو جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها. وقيل هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.")

المراد بالتفسير الموضوعي هو أن تأخذ موضوع من الموضوعات وتنظر في كلام الله جل وعلا عن أدلتها المتصلة بهذا الموضوع وتُفسر الأدلة المرتبطة بهذا الموضوع، هناك شخص مثلًا يبحث عن موضوع "أدب الناشئة، كيف أؤدب الناشئة؟" نجد أن المفسر يمر أحيانًا على السورة لا يأخذ منها إلا آية أو آيتين، لأن موضوعه في أدب الناشئة، فيأتي مثلًا من بداية النشأة، قضية الحمل والإرضاع، فيأتي للأدلة الدالة على هذه المرحلة، من سورة البقرة يأخذ منها بعض الأدلة التي تدل على إيجاب الأدب في الإرضاع، إتمام الإرضاع، النفقة على المرضع مثلا، وينتقل إلى مرحلة أخرى، مرحلة الشباب فيمر على بعض الآيات الدالة على هذه المرحلة، إما أن يستشهد بواقع الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم، آداب الاستئذان في سورة النور وأمثالها، فإذا أمعن النظر فيما يتصل بالناشئة نجد أنه لا يتجاوز ما يتصل بها من الأدلة من سورة البقرة، سورة الطلاق، سورة النور وهكذا. أحكام المؤمنات مثلًا سينظر في الآيات المتصلة بالمؤمنات، أحكام الطلاق،... وهكذا. لا يلتزم فيها مثل الأنواع التي قبلها بأن يأتي إلى السورة كاملة، وإنما يأتي إلى بعض الآيات المتصلة بما يريده من موضوع.

وهذا أشبه ما يمَثل عليه هو **تفسير آيات الأحكام**، بعض المفسرين ما قصد إلا آيات الأحكام، ينتزع من هذه السورة عشر آيات تتصل بأحكام متفرقة، يستنبط من آية مثلًا في ذكر غزوة من الغزوات، آية تتصل بحكم من الأحكام الشرعية مثل التيمم، أو الطهارة، أو الصلاة ويأخذ بها في الباب الذي يريد تفسيره، فيفسر القرآن منتزعًا للآيات المتصلة بالأحكام العملية الشرعية، ولا يلتزم بأن يفسر كل آية ويقف عندها.

فهذا هو النوع الذي نستطيع أن نسميه تفسير موضوعي، وإن كانت تسمية هذا النوع من التفسير بهذا الاسم قد نقول بأنها ناشئة أو حادثة في هذا الزمان لكنها لا تخرج عما يذكره أهل العلم أو عما صنعه أهل العلم في تصانيفهم السابقة خاصة مما صُنف في تفسير آيات الأحكام.

هذا ما يتصل بهذه الأنواع الأربعة من التفاسير، ونختم حديثنا بأنواع التفسير الموضوعي، وأنه يأتي على أكثر من لون، لا سيما أنه توسع في هذا الزمن أكثر من الأزمان السابقة،

✓ صور و أنواع التفسير الموضوعي

يقول أهل العلم أن التفسير الموضوعي ينقسم إلى ثلاثة أنواع، قد يأخذ المفسر بأيٍ منها، وهي:

1. **النوع الأول: تفسير القرآن بالقرآن:**

وهو جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد وتفسير بعضها ببعض، وهذا هو أعلى درجات التفسير الموضوعي وأعظمها ثمرة وأكثرها فضلا. وكان أسبق الناس إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة رضي الله عنهم.

2. **النوع الثاني: تفسير آيات الأحكام، أو تفسير موضوع في سورة قرآنية واحدة:**

وهو جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة، عرضًا وتحليلًا ومناقشة وتعليقًا، وهذا هو الحقيقة أشهر الأنواع، أو أشهر الأساليب المتصلة بالتفسير الموضوعي، مثل من يبحث في أحكام الطلاق، أو في أحكام المرأة، أو في الأحكام الفقهية كآيات الأحكام مثلًا في القرآن، هذا عنده موضوع معين يأتي على الآيات فيستنبط منه ما يشاء، وإن شئت أن تضم إليه مثلًا كتب الناسخ والمنسوخ، أمثال القرآن، مثل ما صنف الإمام ابن القيم -رحمه الله-، أو جدل القرآن، أو غيرها، فهذا يدخل تحت هذا النوع.

ومن التفسير الموضوعي أن يقوم المفسر بتحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة، ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها، مثلًا سورة من السور تتكلم عن النفاق والمنافقين "سورة التوبة"، فأنت تختص بهذه السورة الكريمة وتعلم بأن موضوعها يتعلق بالمنافقين وفضحهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: "التَّوبةُ هيَ الفاضِحةُ، ما زالتْ تَنزِلُ، ومِنهُم ومِنهُم، حتَّى ظنُّوا أنَّها لَن تُبقيَ أحدًا مِنهُم إلَّا ذُكِرَ فيها..." **الحديث في صحيح البخاري. الشاهد هو أن المفسر** يأخذ هذه السورة القرآنية ويتكلم عن الموضوع الأعظم فيها وهو موضوع النفاق والمنافقين، ولا يتجاوز هذه السورة، هذا أسلوب من أساليب وأنواع التفسير الموضوعي، وقد يركز بعض المفسرين على سورة من السور فيأخذ منها الأحكام العَقَدية مثلا، أو الأحكام المتصلة بالنساء مثلًا في "سورة النساء" ولا يتجاوز هذه السورة، فهذا لون من ألوان أخذه العلماء فيما يسمى بالتفسير الموضوعي.

3. **النوع الثالث: الأشباه والنظائر:**

وذلك بأن يتتبع المفسر كلمة من كلمات القرآن ويجمع الآيات الواردة في هذه الكلمة ومشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بعد أن يجمع هذه المفردة، يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن الكريم

لها، هذا نوع من الأنواع، مثل من يجمع اسم من أسماء الله الحسنى، يقول أنا أبحث في لفظة "الحليم"، مواردها، استعمالاتها، مناسباتها، لا يلتزم إلا بهذه المفردة.

وبكل حال فإن هذه الأساليب وهذه الأنواع - كما ذكرنا أول الحلقة - ارتباطها بمناهج المفسرين ألصق من ارتباطها بأصول التفسير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أحمد عبد الرحمن**

✍ قام بالمراجعة الأولى: **إيمان عثمان**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، ثم أما بعد، فأرحب بكم بادئ ذي بدء في هذه الحلقة السادسة من حلقات دروس أصول التفسير والتي هي من متطلبات برنامج السعدي في المستوى الثاني، وقد كنا تحدثنا في حلقات سابقة عن المتطلبات الأولى لهذا المقرر وانتهى بنا الحديث -على بركة الله- في أقسام التفسير باعتبار الأثر والرأي وذكرنا قسميه، ثم باعتبار إمكان العلم به أو ما يحتاجه نص القرآن من البيان وذكرنا أنواعه الخمسة، ثم ذكرنا أساليبه الأربعة: التحليلي والإجمالي والمقارن والموضوعي، وعرَّفنا بهذه الأساليب تعريفاً عاماً، وذكرنا في اللقاء السابق أن هذه الأساليب ألصق بمناهج التفسير عنها بأصول التفسير؛ لأن هذه الأساليب تحتاج إلى بيان من جهة التطبيق فلا بد أن نبين تطبيقاً عملياً يوافق هذه الأساليب، وإنما المراد في هذه الحلقات هو الإشارة إليها، وأنا أعتقد -إن شاء الله- جازما أنها سيتناولها الأساتذة الكرام في مناهج التفسير بشيء من التطبيق والتمثيل حتى يتبين -إن شاء الله- المراد بها على وجه التفصيل. وتوقف بنا الحديث في اللقاء السابق عند أقسام التفسير باعتبار اتجاهاته.

✓ أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين فيه

((قال الدكتور مساعد الطيار في كتابه *فصول في أصول التفسير*: "المراد بالاتجاه هو الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه، أو كانت بارزة في تفسيره بحيث تميز بها عن غيره". وقال الدكتور فهد الرومي في كتابه *بحوث في أصول التفسير ومناهجه*: "الاتجاه هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون"))

نحن نعلم أن القرآن كما يسميه الشاطبي -رحمه الله- فيقول: هو كلية الشريعة، ويعني بذلك أن الأمور التي ترتبط بشريعة الله من جهة أحكام الأصول، أحكام العقائد، من جهة أحكام الفروع العملية من العبادات والمعاملات والعقود والجنايات، ومن جهة الأخلاق والآداب، ومن جهة المقاصد، هذه كلها نستطيع أن نسميها كلية الشريعة، كل ما يتطلبه أمر الله جل وعلا في شريعته، في دينه، فإنه مستودع في هذا الكتاب.

وقد يرد الأمر فيه مجملًا وقد يرد الأمر فيه مفصلًا، ونحن على إدراك وعلم جميعا بأن ما جاء في كتاب الله مجملا ونحن مطالبون بتفاصيله وفروعه، فتفصيله وتعريفه وتشقيقه عملياً يكون في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر يدركه الجميع من أحكام الله سبحانه وتعالى.

فرض الله علينا الصلوات في كتابه فقال سبحانه: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، تكررت كثيرًا في أحكام الله، في آيات الله، ولم يتبين في كتاب الله جل وعلا أوقاتها على وجه التحديد، ولا المعذور عنها وأحكامه، وإنما جاء تفصيل ذلك عمليا وبيانا وأحكام المعذور عنها وما يتصل بها كلها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى قول الحق جل وعلا: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}، فالنبي صلى الله عليه وسلم مهمته البيان والتفصيل. قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ}، أما تفصيل هذا الحج بإحرامه، ونيته، وأنساكه، وما يتصل بأحكام ترك بعض تلك الأحكام، وما يجبرها، وما الذي يُعفى عنه، كل هذا جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا الذي أريد أن أصل إليه في معنى كلية الشريعة من أنه كل ينطق بالشريعة التي أمرنا الله جل وعلا بالاستسلام والانقياد إليها.

يأتي المفسرون نحو كتاب الله جل وعلا، والذي هو كلٌ في أمر الشريعة، ويختلف تناولهم واتجاهاتهم عندما يذكرون أو يعلقون على تلك الآيات والسور، فهناك غالبٌ على بعض المفسرين، هناك صبغة غالبة على بعض المفسرين:

- فقد تجد أن المفسر نزعته أصولية، وعلمه الذي اهتم به غلب عليه علم الأصول والتأصيل والتقعيد والمقاصد، فيُغَلِّب هذه السمة العلمية على تفسيره عندما يتناول آيات الحق جل وعلا.
- وقد تكون السمة الغالبة على المفسر علم فروع الدين، الفقه، فيتناول الآيات القرآنية بشيء من التفصيل في شريعة الله على وجه تطبيق وتنزيل تلك الأحكام العملية على كل آيات الله جل وعلا، حتى إنك تجد مثلا عند الإمام **القرطبي** -رحمه الله- أنه **لا يفوت شيئا في غالب تفسيره حول ما يتعلق بأحكام الفروع**، فعند قصة الذبيح في سورة البقرة {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} [البقرة : 67]، تجد أن المفسر عندما يتناول هذه القصة، يتناولها على ما ورد في الأخبار من قصة الذبيح الذي أمر الله جل وعلا قومه بذبح البقرة وذكر إحيائه في آخر الآيات، أما الإمام القرطبي رحمه الله تجد إنه عند قول الله {تَذْبَحُوا بَقَرَةً} يتكلم عن أحكام الذبح، لماذا؟ لأن **السمة الغالبة على تفسيره هو بيان الأحكام**؛ ولهذا سمى تفسيره **الجامع لأحكام القرآن**، وفرَّق بين الذبح والنحر عند تفسيره لهذه الآية بالرغم من أنه ليس هذا هو موضع التفصيل فيما يتصل بأحكام الذبح، فلو أنه ذكر أحكام النحر في تفسير سورة الكوثر {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، وعلى قول من جعلها في يوم عيد الأضحى وأن الصلاة صلاة العيد والنحر هنا يراد به الأضحية وجعل أحكام الهدي والأضاحي هناك لكان ألصق وأنسب، أو لو ذكرها مثلا في سورة الحج هكذا يتبادر للقارئ أو المطلع، لكن السمة الغالبة أنه يجعل هذه اللفظة القرآنية موردًا للكلام عن أن البقر والغنم هي التي تذبح وأن الإبل هي التي تنحر.

أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين فيه هي:

- الاتجاه الأثري.
- الاتجاه العقدي.
- الاتجاه الفقهي.
- الاتجاه اللغوي.
- الاتجاه الاجتماعي.
- الاتجاه العلمي.

1. الاتجاه الأثري:

لقد تطرقنا إلى هذا النوع في درسٍ سابق عندما تكلمنا على قضية تقسيم التفسير إلى التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وذكرنا ما يتصل بطرف التفسير بالمأثور، والمقصود هنا هو المقصود هناك، وهو أن يكون المفسر ملتزماً الأثر في تفسيره وعنده حدود في تفسيره بأنه لا يتجاوز ما نقل عن سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، ما حفظ في دواوين السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فالالتزام يكون بالأثر والنص المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم إن نُقل في الآية، ذلك على نحو ما هو عند ابن جرير الطبري، وعند ابن أبي حاتم، وكذلك كتب فيه من المتأخرين السيوطي رحمه الله. ولا شك أن هذه أعلى درجات التفسير، على ما سيأتي معنا إن شاء الله في طرق التفسير.

ولا يعني هذا أن المفسر لا ينقل إلا ما يتصل بالمأثور فقط؛ بل ربما إنه يرجح بين هذه الأقوال ويقدم بعضها على بعض، أو يقارن بين هذه الأقوال حتى لو كان النقل في القراءات القرآنية، فتجد أنه ربما يقدم قراءة على قراءة، أو يقول بأن هذه القراءة أشمل في المعنى وأبلغ في حكم الله ومراد الله مع أن القراءة الثانية صحيحة، لكن من جهة المعنى يذكر أيهما أوفر وأكثر بيانا وتفصيلا.

فلو راجعتم مثلا تفسير ابن جرير الطبري عند قول الله تعالى في فاتحة الكتاب: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وقراءة (مَلِك) وهي قراءة الجمهور وتقديم قراءة (مَلِك) من جهة المعنى. طبعا هنا لا بد أن ننتبه إلى أنه إذا رجّح المفسر بين قراءتين صحيحتين سبعيتين، أو جاءت عن إمام من الأئمة العشرة -رحمهم الله- فترجيحه قراءة على قراءة أخرى لا يعني أن القراءة الأخرى مرجوحة، فتأتي وتأخذ مثلاً على وجه العجلة معنى كلامه على أنها قراءة شاذة أو أنها قراءة لا تصح. لا، هذا لا يجوز، والمتعجل في هذا مخطئ؛ بل المعنى الأول أرجح من الثاني من جهة بلاغته وشموله أو من جهة أنه له مبررات ومسوغات تجعلنا نقدمه من قِبَل المعنى، ولو راجعتم هذه الآية عند ابن جرير تبين لكم إن شاء الله هذا المعنى جيداً.

2. الاتجاه العقدي (العقائدي):

هناك أيضا اتجاه آخر عند المفسرين نستطيع أن نسميه بالاتجاه العقدي، (أي: بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر. الهدف أو الاتجاه قد يكون مسائل العقيدة وتقريرها وبسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا، ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير فيكون الاتجاه لهذه التفاسير هو الاتجاه العقدي).

وهذا الاتجاه قد يدخله من جانب التفسير الموضوعي وذلك بأن يتطرق المفسر إلى الآيات المتصلة بأصول الدين وأحكامه التي أمر الله بها، من جهة الإيمان، من جهة التصديق، من جهة الإسلام، من جهة هذه الأمور التي لا يتم الإيمان ولا الإسلام إلا عند التصديق بها، فحينها يقال بأن هذا الاتجاه اتجاه عقدي في التفسير.

وهنا يتبين لنا المخالفة التي وقعت من بعض الفرق الضالة، التي وقعت في قضية الإيمان أو قضية الأسماء والصفات والتي هي لا شك جزء من الإيمان، تداخلت هذه المناهج والطرق المبتدعة على منهج أهل الحق أهل السنة والجماعة فخالفت وعارضت، ولهذا نستطيع أن نقول بأن الانحراف في الآيات المتصلة بالعقيدة إنما جاءت بعد بزوغ هذه الفرق الضالة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وشذوذهم عن طريق الحق، فجاءت الفرق التي تحرف كلام الله على حسب اعتقادها ورؤيتها فضلّت وأضلت.

ومن هنا وجب علينا حقيقةً أن يكون عندنا انتماء تام لمنهج أصيل وهو منهج أهل السنة والجماعة فيما يتصل بأحكام الله جل وعلا التي أخبر فيها سبحانه عن نفسه، فهذه الأمور يجب على العبد المؤمن ألا يدخل فيها إلى تفسير كلام الله جل وعلا من أي بوابة من بوابات التفسير لأنه وارد أن يكون هناك مفسر له انتماء إلى اعتقاد باطل في أحكام الله جل وعلا التي أخبر فيها عن نفسه، فيعتقد ذلك الاعتقاد ويعبر عنه بكلام الله ويظن أن هذا هو المقصد من كلام الله سبحانه وتعالى.

فمن هنا وجب علينا أن نعتني العناية الأكيدة بنوع التفاسير التي هي من التفاسير البيضاء النقية التي هي تفاسير أهل السنة والجماعة، وهذه والحمد لله كثيرة ونستطيع أن نقول أن أظهرها وأبينها وأحسنها **تفسير الإمام الحافظ ابن كثير** رحمه الله، وأيضا **ما جُمع في التفسير من كتب ابن تيمية** رحمه الله، تفسير شيخ الإسلام، وقد طبع وجمع في مجلدات ست أو سبع، لا سيما أن هذا المصنف لابن تيمية مهم لمن أراد أن يطلع على المخالفين في آيات الاعتقاد، فلشيخ الإسلام عناية بهؤلاء عناية تامة من جهة المناقشة، وإبطال الحجج التي يؤولون بها كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وكذلك لابن القيم رحمه الله تلميذ شيخ الإسلام عناية بهذا وقد جُمع أيضا تفسيره فيتنبه لهذا الأمر.

ويمكن القول بأن **الاتجاه العقدي لا يمنع أن يتناوله المفسر من جهة التفسير الموضوعي** الذي سبق ذكره، فمثلا يتكلم المفسر عن الآيات المتصلة بالملائكة، أو الآيات المتصلة بالرسل، أو الآيات المتصلة بالبعث واليوم الآخر، أو الآيات المتصلة بالإحسان والمعية، وهكذا.. يتكلم عن هذه الآيات ويختص بها، يتناول موضوعاً واحداً ثم يتناوله بالبيان والاحتجاج مثلا بأهل الحق أهل السنة والرد على الطوائف الأخرى.

3. الاتجاه الفقهي:

الاتجاه أو المنهج الفقهي في التفسير في واقع الأمر لا يخرج عن التفسير الموضوعي الذي تكلمنا عنه في درسنا السابق، وقلنا إن عناية بعض المفسرين بانتقاء آيات الأحكام والحديث عنها أو التأكيد عليها في أثناء التفسير هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي، وسبق الحديث عنه.

المنهج الفقهي في التفسير يتناول -كما ذكرنا- الآيات المتصلة بأحكام الله، فالباحث عن أحكام الآيات إنما يبحث عنها في هذه التفاسير المتصلة في بيان الأحكام دون غيرها. لو رجعت مثلا إلى تفسير ابن كثير وأنت تريد البحث عن آية من آيات الأحكام على وجه التفصيل، على وجه ذكر المذاهب، على وجه الأدلة التي تفسر هذه الآية، فلن تجد مثلا في تفسير ابن كثير أو الشوكاني وغيرهما ما يتصل بهذا التفصيل، لكن لو رجعت إليها عند الجصاص، أو عند الهراسي، أو عند القرطبي لوجدت فيها تفصيلا كبيرا وواسعا، فقد سعى كل مذهب إلى بيان آيات الأحكام وتفصيلها وإفرادها بالتأليف.

((من **أمثلة المؤلفات في المنهج الفقهي في التفسير**:

- **من المذهب الحنفي:** تفسير أحكام القرآن لأبي بكر الرازي، المعروف بالجصاص.
- **من المذهب المالكي:** تفسير أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي، وتفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي.
- **من المذهب الشافعي:** كتاب أحكام القرآن وجمعه أبو بكر البيهقي من نصوص الإمام الشافعي، وأحكام القرآن للكيا الهراسي، وكتاب الإكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطي.
- **من المذهب الحنبلي:** لا يوجد تفسيراً مطبوعاً لآيات الأحكام على أصول هذا المذهب، ولعل تفسير زاد المسير لابن الجوزي وإن لم يكن خاصاً بآيات الأحكام إلا أنه حنبلي المذهب، وهناك من المخطوطات تفسير أحكام القرآن لأبي يعلى، وتفسير الخرقي.)) [4]

[4] المصدر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الدكتور فهد الرومي.

المذهب الحنبلي ليس له كتاب مختص متقدم لأئمة هذا المذهب، وإنما جُمعت بعض التعليقات والتفسيرات في آيات الأحكام من كل كتب الحنابلة، كما صنع في بعض الرسائل العلمية التي تتصل مثلا بفقه ابن قدامة وخلاصة كلامه عن الآيات المتصلة بأحكام الله، وكذلك جُمع في رسائل علمية مثل تفسير زاد المسير لابن الجوزي رحمه الله على أنك لا تجد فيه على نحو ما ذكر في كتب الأئمة المتقدم ذكرهم في المذاهب الفقهية الثلاثة.

4. **الاتجاه الاجتماعي:**

الاتجاه الاجتماعي هذا لون من ألوان الاتجاهات في التفسير ويركز على قضية مظاهر المجتمع المسلم، وما يتصل بتصويبها والحديث عنها، وأيضا العناية بشأن التربية في القرآن، والعناية بالأمور المجتمعية من جهة الأخلاق والآداب. وهذا ربما يكون أيضا **لوناً من ألوان التفسير الموضوعي**، واشتهاره وانتشاره ربما يكون في العصر الحاضر.

5. **الاتجاه العلمي:**

هذا الاتجاه العلمي نستطيع أن نقول بأنه أخذ جلبة عند المعاصرين وحديثاً طويلاً وإن كان له أيضا امتداد في سابق العصور، وربما يرجع الحديث عنه والخلاف إلى المائة الخامسة زمن الإمام الغزالي رحمه الله. ويمكن أن نقول أن هذا **الاتجاه العلمي يعرَّف بأنه تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العصر**، فيأتي حديث مثلا عن الطاقة الشمسية ويربط هذا الموضوع ببعض الآيات، أو يأتي الحديث عن طبقات الأرض وربط هذه الظاهرة العلمية بآيات تتصل بعلم الأرض، فيجتهد المفسر أن يكشف هذه الحقيقة والصلة التي هي بين الآية القرآنية وبين المُكتَشَف العصري الحديث، ثم يدلل بعد ذلك على أن القرآن معجز، وأنه قبل هذه القرون تحدث عن هذا الأمر والاكتشاف العلمي المعاصر.

الخلاف في هذا النوع من التفسير طويل وهو بين مؤيد ومعارض، وكما قلت لكم أن هذا الخلاف من أيام الإمام الغزالي رحمه الله وهو من المؤيدين، والشاطبي من بعده وهو من المعارضين، والأمة لا تزال تتناول هذا بين مؤيد ومعارض. ومع ذلك لكن لا يقال أن هذا التفسير يُلغى كله أو هذا التفسير يُقبل كله، وإنما ما كان من هذا حقاً وصواباً ويدل على عظمة القرآن وصدق القرآن ويأخذ بأحكام الله جل وعلا إلى الحق، فهذا يقبل.

يجب أن ننتبه إلى أمر مهم وهو ألا نُضعف دلالة القرآن بهذه الاكتشافات العصرية ونحاول أن نقول بأن هذا الاكتشاف دليله ما جاء في كتاب الله، لماذا؟ لأنه قد يظهر على هذا المكتشف أي سقوط، يعني نستطيع أن نقول بأنه عدم تمام الدلالة، فيضعف بهذا دلالة القرآن عند المشككين في صدق القرآن.

فهنا يجب أن نتنبه إلى موضوع ربط الآية بهذا الاكتشاف العصري، وأيضا لا ندخل بالآية في دقائق هذا المكتَشَف العصري ونحن في هذا الربط الدلالي نعيش بين دلالة الظن وليس دلالة اليقين. فهذه الدلالة الظنية لا نجزم بها، ولا نحاول أن نربط دلالة الآية القطعية اليقينية بأمر دلالته ظنية حتى يتبين لنا الأمر تماما.

وبهذا يتبين لنا أن الذين يتشوفون ويتجرؤون أحيانا على الكلام في دلالات القرآن إنما أتوا إلى هذه الجرأة لضعف بضاعتهم في الدلالة اليقينية القطعية وهي دلالة القرآن الكريم، تجد أنه يعجب بهذا وينظر إلى ظاهر الآية فيحاول أن يربط كل تفاصيل الآية الكريمة بهذا الاكتشاف ويقول بأن هذه هي دلالته. وما رأينا الحقيقة من إضعاف الدلالات القرآنية من بعض المعاصرين الذين لم يعرفوا بالتفسير ولم يعرفوا بالعلم الشرعي، وهم أكثر الذين يلجون هذا الباب للأسف الشديد بسبب ضعف البضاعة العلمية والذي أودى إلى الجرأة على كلام الله جل وعلا، فنتنبه إلى هذا ولا نعتقد أن الأمر قطعي ما دام أنه في بحر الظن.

نسأل الله جل وعلا أن يمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح، وهذه الأمور كلها والاتجاهات والأساليب -كما قلت لكم سابقا- لا ترتبط ارتباطا دقيقا بأصول التفسير، وإنما ترتبط بمناهج التفسير؛ لأننا عرّفنا أصول التفسير بأنه الأسس والقواعد التي يقوم عليها علم التفسير فإذا سقطت سقط علم التفسير، ولأجل هذا لا علاقة لها في واقع الأمر بالمناهج، وإنما هي إشارة، كما سيأتي إشارة إلى غيرها، إذ هي من متطلبات هذه المادة والتي ستتوسعون فيها إن شاء الله في مناهج أخرى قادمة ولهذا اكتفينا بالإشارة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. وبعد، أرحب بكم أيها الأخوة الأكارم في هذا البرنامج المبارك، برنامج الإمام السعدي، وفي مادته أصول التفسير إحدى المقررات التي أنتم مطالبون بها في هذا المنهج العلمي المبارك، نسأل الله جل وعلا أن يمن علينا بالقبول، وأن يشملنا بعفوه ورحمته، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يفعنا بما علمنا إنه جواد كريم.

كنا في اللقاءات السابقة نتحدث عما يتصل بأقسام التفسير: من جهة الأساليب، ومن جهة الاتجاهات، ومن جهة الرأي والأثر، ومن جهة ما يمكن العلم به في نص القرآن الكريم. وقد مضى الحديث عنها، وإن شئتم أن نتعرض إليها على وجه التذكير، فنقول:

- باعتبار الأثر والرأي ينقسم إلى قسمين: تفسير بالأثر وتفسير بالرأي.
- من جهة إمكان العلم به -يعني ما يحتاجه نص القرآن من البيان، هل القرآن كله يحتاج إلى تفسير أو لا يحتاج إلى تفسير- تعرضنا إلى هذا، وذكرنا أقسامه الأربعة: التفسير الذي تعرفه العرب بلغتهم، والتفسير الذي لا يعذر أحد بجهله، والتفسير الذي يعلمه العلماء، والتفسير الذي لا يعلمه إلا الله.
- من جهة الأساليب قلنا إنه ينقسم إلى أقسام: تفسير تحليلي، وتفسير إجمالي، وتفسير مقارن، وتفسير موضوعي.
- وباعتبار اتجاهات المفسرين فيه ينقسم التفسير إلى: الاتجاه الأثري، الاتجاه العقدي، الاتجاه الفقهي، الاتجاه العلمي، الاتجاه اللغوي، والاتجاه الاجتماعي. ولم نتحدث في اللقاء السابق عن الاتجاه اللغوي.

✓ تابع أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين فيه

6. الاتجاه اللغوي

والمراد به الاتجاه البياني والبلاغي، الكلام عن لغة القرآن وسعة هذه اللغة، واتصالها بمصدرها الأساسي الذي هو كلام الله جل وعلا، لأن القرآن هو الذي يُحَكِّم اللغة، ولا نقول بأن قواعد اللغة هي التي تُحَكِّم القرآن، فلا نرجع بالفرع إلى الأصل وإنما نُرجع الفرع إلى الأصل، فلغة القرآن وبلاغة القرآن وبيان القرآن هذا شأنه عظيم؛ ولأجل هذا كان للبلاغيين من المفسرين عناية بهذا الاتجاه، وبيانٌ بأن الألفاظ مقصودة في مواضعها من كلام الله جل وعلا، وأنها لا تبدل ولا تغير لغيرها، يعني لو أنك اخترت غيرها ترى أنها تكون مثلا أشمل وأبلغ لا تجد أحسن ولا

أكمل من هذا اللفظ القرآني. وهناك عناية من المفسرين من أظهرها عناية ابن عاشور رحمه الله، وهو إمام معاصر، كذلك عناية الإمام الزمخشري، وهي امتداد لما سبق به أهل العلم المتقدمون في تأصيل هذا الباب كالفراء رحمه الله، وأبو عبيدة، وغيرهم من الأئمة الذين أصّلوا لهذا الاتجاه. وعلى كل حال، قلنا لكم مرارًا بأن هذه الاتجاهات أكثرها يتصل بمنهج التفسير ولها إن شاء الله تتمة حديث على وجه السعة هناك إن شاء الله.

✓ شروط المفسر[5]

ننتقل اليوم للحديث على موضوع جديد وهو: **شروط المفسر**. المفسر إذا أراد أن يبدأ بتفسير كلام الله فلا بد عليه من لوازم يلتزمها على نفسه، وهي شروط لا يتأهل من تركها إلى أن يكون مفسرًا لكلام الله جل وعلا؛ لأن كلام الله جل وعلا له حمى؛ ولهذا جاء في المأثور عن بعض التابعين: اتقوا التفسير فإنما هو الكلام عن الله جل وعلا.

التفسير هو ترجمة القرآن، أنت تتكلم عن الله سبحانه وتعالى في بيان أحكامه، وفي بيان مراده سبحانه وتعالى، لو أن شخصا منا تكلم بكلام، ثم استأذن غيره وقال أشرح لكم كلام هذا الرجل فقد قال، وأراد، والمقصود من كلامه كذا، لكنت وأنت من البشر لا ترضى أن يُفَصِّل في كلامك، وأن يفسر فيه وأن يبين معانيه إلا أن يكون هذا البيان والتفصيل على وجه يوافق ما قلت حقًا وصدقًا، ولا يتجاوز حد ما ذكرت، فكيف إن كان ذلك -ولله المثل الأعلى- في بيان كلام الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز للشخص أن يبين كلام الله بغير ما أراد الله سبحانه وتعالى، المقصود الاستجابة لأمر الله وبيان هذا الأمر الذي كلفنا الله سبحانه وتعالى به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال: 24]، فلا يجوز لك وأنت تبين هذا إلا أن تكون على حدٍ من الشروط التي تؤهلك إلى أن تتكلم في المقصود والمراد من كلام الله سبحانه وتعالى.

1. صحة الاعتقاد: (من الشروط الدينية)

أول شروط المفسر: أن يكون صحيح الاعتقاد، لماذا؟ لأنه لا يمكن لشخص لا يُحسن الاعتقاد في ذات الله سبحانه وتعالى، وفيما أمر الله بالإيمان به، ثم يريد أن يفسر كلام الله؛ لماذا؟ لأن كلام الله جل وعلا دعوة للاعتقاد الصحيح، فإذا كان اعتقادك فاسدًا فكيف تأتي وأنت فاسد الاعتقاد لتبين ما يتعارض مع اعتقادك؟ اخترت طريقًا آخر، والقرآن كله يهدم عقيدتك الفاسدة، ولا أنت تستجيب لآيات الله سبحانه وتعالى، وحينها سيقع ولا شك التحريف والضلال والإضلال عندما يتناول ذلك الفاسد في معتقده لكلام الله سبحانه وتعالى.

---

[5] ننصح بالرجوع إلى الفصل الخامس من كتاب "تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه" للدكتور علي سليمان العبيد، للمزيد من الشرح والتفصيل حول شروط المفسر، وتقسيم هذه الشروط إلى شروط علمية، وشروط عقلية، وشروط دينية وخلقية.

ويؤكد في باب صحة الاعتقاد، إلى أن طريق تحريف النصوص، إنما جاء بسبب فساد الاعتقاد، وهذا ربما أشرنا إلى طرف منه في اللقاء السابق. قد يعتقد معتقد في صفات الله، أنها لا تليق بالله على وجه التسمية؛ لاعتقاد المشابهة مثلًا، فيقول: إن قلنا بسمع الله وبصر الله ويد الله فإن هذا يستلزم أن يكون الآدمي مشابهًا لله سبحانه وتعالى، نتيجة كلامه أن ننكر ما جاء في إثبات الصفة على وجه تسميتها في كلام الله، ننكرها ببدل أم بغير بدل؟ هذا مما يختلفون فيه، فمنهم من يقول: إن المعنى ليس المراد باللفظ، ومنهم من تعارض فقال: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، ومنهم من قال: اليد هي النعمة، وأولها إلى معنى آخر بعيد، لا شك أن النعمة هي من الله سبحانه وتعالى، ولكن لا يجوز لنا أن نقول بأنه المنعم بتفسير اليد التي أثبتها الله سبحانه وتعالى له في كتابه على وجه يليق به جل وعلا.

فالدعوة إلى تصحيح الاعتقاد، ألا يدخل الإنسان إلى تفسير كلام الله إلا إذا كان معتقده يوافق ما جاء في كلام الله سبحانه، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح رحمهم الله. فالمعتقدات المتأخرة للبعض في ذات الله جل وعلا، يجب ألا يتمثلها ولا يعتقدها المفسر، ولهذا من ضل في تفسير كلام الله سواء قصد تفسير القرآن كاملًا، أو قصد آية منه، إنما وقع في الخطأ والزلل بسبب اعتقاده الذي لم يُطَهِّر نفسه منه قبل أن يتناول الآية بالتفسير.

2. **التجرد عن الهوى: (من الشروط الدينية والخُلُقية)**

من شروط المفسر أن يتجرد من الهوى، وأن يترك هوى النفس، فإذا كان للنفس هوى يعارض قول الحق سبحانه وتعالى، فإنه يأطُرُ تلك النفس على الحق الذي أمر الله سبحانه وتعالى به.

والهوى أيضًا يرتبط بما سبق ذكره؛ لأن الإنسان قد يكون متعصبًا لطائفة من الطوائف، التي يعتقد اعتقادهم ويسير على طريقهم، كبعض الطوائف التي زلت وضلت في باب الاعتقاد كالقدرية والرافضة والمعتزلة، فقد ينتظم في سجلهم، ولهوى في نفسه يتبع هذا الطريق، فيقع عياذًا بالله في الزلل؛ لأنه لم يجرد نفسه من الهوى. أو أيضًا قد يكون يسكن بلدًا، هذا البلد ربما يتدين أو يعتقد اعتقادًا يخالف الاعتقاد الحق الصادق. أو أنه في فرع فقهي في أحكام الفروع، يلتزم مذهب من المذاهب الذي ربما أنه يختار جمهوره أو أكثره قولًا تعارضه دلالة آية، فيختار أو يغلِّب اختياره للمذهب الفقهي الذي هو سائد في بلده على ظاهر الآية الكريمة؛ لأجل أن اتباع هذا المذهب هم الغالبون في بلده، فيكون بهذا قد قدم هواه على الحق الذي وجب التدين به.

3. اتباع طرق التفسير العلمية: (الشروط العلمية)

من شروط المفسر أن يكون **متبعًا لطرق التفسير العلمية**، وهو ما يسمى بالشروط العلمية:

((وهي أن يكون عالمًا بأحكام الشريعة من العبادات والمعاملات والسنن الواردة فيها، مطلعاً على أقوال المفسرين من السلف والخلف، فاقهًا لمعانيها. وقد **صنف العلماء العلوم التي يحتاجها المفسر وجعلوها شرطًا لازمًا للمفسر وهي:**

1. القرآن الكريم وعلومه.
2. الحديث وعلومه.
3. أصول الدين وهو علم التوحيد.
4. اللغة العربية وآدابها.
5. الفقه وأصوله.
6. العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم.))[6]

أما، **لماذا على المفسر أن يكون متبعًا لطرق التفسير العلمية؟** فذلك لأن هذه الطرق العلمية التفسيرية الخمسة[7] طرق جادة بينة واضحة لا يجوز للشخص أن يحيد عنها. هل يليق أن يفسر المفسر آية وهو تارك لدلالتها في القرآن، تارك لدلالتها في السنة، تارك لأقوال الصحابة، تارك لأقوال التابعين، معرض عن اللغة العربية ودلالاتها، وينطلق بهواه وبطريقته؟ هذا لا يمكن، ولأجل هذا بعض من وقع في اختيار الإعجاز العلمي أو الاتجاه العلمي في التفسير، تجد أنه يُعرِض عن الدلالة اللغوية، ويختار اختيارًا شاذًا أو مرجوحًا؛ لأجل أن يوافق قولًا يراه في نفسه وهواه، يحاول أن يجدد به التفسير، وهذا وقع الحقيقة في بعض المشاهدات اليوم الموجودة والحديثة، من يخالف هذا القول لهوىً في نفسه.

---

[6] تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد

[7] طرق التفسير الخمسة هي:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بالسنة.
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.
- تفسير القرآن بأقوال التابعين.
- تفسير القرآن باللغة.

إذا راجعتم بعض المقاطع المنتشرة، ترون كيف أن أصحابها ربما يأخذون بالأقوال الضعيفة، أو الأقوال الشاذة، أو الأقوال التي لم يحسن فهمها؛ لأجل أن ينطقوا بقول جديد أو يحاولوا مواكبة مسيرة التجديد والدخول في باب الإعجاز العلمي بمعنى جديد، وقد رأينا منذ سنتين من يتحدث عن معنى: {سَمِّ الْخِيَاطِ} وما المراد به، في قول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف: 40] ، وتجد أن تفسيرهم فيه مخالفة لقول جمهور السلف والخلف في الآية، وهو يحاول أن يأتي ويؤكد هذا المعنى الجديد، وتجد أن هذا المعنى الجديد لا يتوافق حتى مع اللغة العربية والتي هي مصدر من مصادر التفسير وطريق من طرقه.

إذن، **يجب أن يكون المفسر ملمًا بطرق التفسير، محسنًا للتعامل بها**، ولأجل هذا نقول: إن الذي لا يحفظ القرآن لا يستطيع أن ينطلق في تفسيره، لماذا؟ لأن القرآن يصدق بعضه بعضًا، قال ربنا سبحانه وتعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} [الزمر: 23]، كلمة "متشابها" هنا المراد بها أن القرآن الكريم بعضه يصدق بعضًا، لا يمكن أن تكون آية مخالفة لآية أخرى، كذلك السنة النبوية الصحيحة، لا توجد سنة صحيحة قولية أو عملية تخالف ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وهو محكم، نعم قد تخالف المنسوخ؛ لأنها نَسَخَته، لكن أن تأتي آية محكمة ويخالفها حديث نبوي صحيح، هذا لا يمكن.

ومن هنا نقول: إن الذي يدخل إلى تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى، وهو ضعيف البضاعة في السنة النبوية، حفظًا أو معرفةً للصحيح من الضعيف، هذا لا يمكن له أن ينطلق أو أن يفسر في آيات الله سبحانه وتعالى إلا ويأتي بالخطأ والزلل، ولهذا، **غالب الخطأ عند المفسرين إنما يقع بضعف المصدرية الصحيحة التي ينهل منها لتفسير كلام الله سبحانه وتعالى**:

- إما أن يكون هناك خطأ في حمل آية على آية على آية أخرى.
- أو أنه يغفل عن الآية الأخرى المفسرة فيفسر على غير الاتجاه الصحيح.
- أو أن يكون هناك عدم استحضار للسنة النبوية الصحيحة فلا يستطيع أن يبين معنى الآية الكريمة.
- أو أنه لا يفرق بين الحديث الصحيح من الحديث الضعيف فيفسر القرآن بالضعيف من الأحاديث، ويظن أن كل ما نقل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه يمكن أن يكون طريقًا صحيحًا من طرق التفسير.
- وأيضًا ربما يكون عنده ضعف في دلالة اللغة العربية واشتقاقاتها ومعانيها، فيحمل الآية على معنى أو يلفت بالآية إلى قول آخر ربما يكون فيه شذوذ -كما أشرنا قبل قليل- فيقع في الزلل والخطأ.

ومن هنا نقول: **إن من شروط المفسر أن يحسن التعامل مع "طرق التفسير"**، وأن يكون حافظًا لكتاب الله سبحانه وتعالى، حافظًا للقدر الكثير الحسن الجيد من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون على اطلاع ومعرفة بالصحيح من الضعيف، حينها بإذن الله يكون عنده ثراء وبيان لكلام الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا لا يتميز في كتب التفسير إلا من أحسن التعامل مع هذه الطرق التفسيرية المهمة.

وهذه الطرق التي تسمى بـ **"طرق التفسير"** سنأتي للحديث عنها بإذن الله تعالى في الحلقة القادمة والتي تليها، فهي أهم ما يكون في أصول التفسير، اتفق كل من كتب في أصول التفسير على ذكرها، يختلفون في بعضها، بعضها كما أشرنا قبل قليل يلتصق بمنهج، بعضها يلتصق بعلوم القرآن، بعضها لا علاقة له...، **هذه الطرق التفسيرية الخمسة هي الطرق التي يتفق عليها علماء أصول التفسير في تصانيفهم**، كل من كتب يذكرها ويؤكد عليها، وكفاها تأكيد شيخ الإسلام رحمه الله حينما أشار إليها في مقدمته في التفسير، أكد عليها وذكرها وسماها أصح الطرق التي لا يجوز لمفسر أن يغفل عنها.

من الشروط المتصلة بتفسير القرآن الكريم: **أن يكون عند المفسر علم ودراية بالعلوم الأخرى المتصلة بكلام الله سبحانه وتعالى**: أمثلة ذلك:

* **علم القراءات**: لا بد من أن يكون المفسر على علم ودراية به، خاصة القراءات المؤثرة في المعنى، عندنا قراءة تؤثر في المعنى، وعندنا قراءة لا تؤثر في المعنى، فإذا كانت القراءة مؤثرة في المعنى، إما تزيد أو تبين، فهذه نقول: لا بد أن يكون للمفسر دراية بها وعلم بها. مثال على ذلك: قال الله تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} [البقرة: 106]، نجد أن كلمة {نُنْسِهَا} قرئت هكذا، وقرئت: نَنْسَأها. نَنْسَأها لها معنى من التأخير (ننسأها - النسيئة)، ونُنْسِها من النسيان كما قال تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى: 6]، إذن هذا معنى وهذا معنى آخر، وكلا المعنيين صحيح، ويزيد هذا ويزيد هذا في بيان المراد من شريعة النسخ، التي رد الله جل وعلا بها في هذه الآية على اليهود. إذن، **معرفة المفسر للقراءات التي تؤثر في المعنى مهمة ولازمة للمفسر**. وهناك قراءة لا تؤثر في المعنى، مثلًا، قرئ بالهمس وقرئ بالتسهيل، ما وجدنا اختلاف بين القراءتين، وهنا نقول: إن هذه قراءة غير مؤثرة بالمعنى.
* **علم أصول الفقه:** يجب على المفسر أن يكون على علم ودراية بعلم أصول الفقه، وما فيه من قدر مشترك مع علم علوم القرآن خاصة في شأن الدلالات، في العام والخاص، في المنطوق والمفهوم، في المجمل والمبين، وما يتصل به، وربما يأتي الحديث عن بعض هذه المسائل.
* **علم التوحيد:** يجب على المفسر أن يكون على علم ودراية بعلم التوحيد أصولًا وفروعًا، لمحاجة المعارضين والمخالفين في مقصود الآيات، هذا لا بد منه.

ولعنا نقف في هذا الوقت عند هذا الشرط، ونكمل إن شاء الله في اللقاء القادم بشرط جديد وهو **أن يكون المفسر دقيق الفهم متأنٍ عند تناول الآيات وتفسيرها.**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أحمد عبد الرحمن.**
- المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
- **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة.
- **ملحوظة:** أنصح بالرجوع إلى الفصل الخامس من كتاب "تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه"، للدكتور علي سليمان العبيد، للمزيد من الشرح والتفصيل حول شروط المفسر، وتقسيم هذه الشروط إلى شروط علمية، وشروط عقلية، وشروط دينية وخلقية، حيث أن المحاضرة تناولت شروط المفسر بصورة متداخلة مع طرق التفسير، وقد اجتهدت في فصلها وتبويبها قدر المستطاع بما لا يخل بنص كلام الدكتور المحاضر حفظه الله.

رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين. ثم أما بعد فأرحب بكم معاشر الأخوة والأخوات المنتظمون على بركة الله في هذه الأكاديمية المباركة في برنامج السعدي منها والمتصل بعلوم القرآن وأصول التفسير وعلومه، وأرجو من الله أن يكون هذا من الخير لنا جميعاً، الذي نُساق إليه، ونسأل الله بمنَه وكرمه أن يجمعنا وإياكم مع أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم.

أيها الأكارم توقف بنا الحديث في الحلقة الماضية عند **ما يلزم للمفسر من شروط وآداب وأخلاق**، وربما أشرت في اللقاء السابق إلى أن هذه المسألة ألصق بعلوم القرآن ومناهجه من كونها متصلة بأصول التفسير، لأننا دائماً نُرجع موضوعاتنا التي نتناولها في هذه المادة إلى تعريف أصول التفسير الذي اتفقنا عليه في أول لقاء لنا في هذه المادة، والذي ذكرنا فيه أن أصول التفسير هي الأسس العلمية التي يقوم عليها التفسير. فنحن نراجع ما بين أيدينا في المادة ما هو ألصق بهذا التعريف تماماً. وعلى أية حال، لا نُخرج هذه الآداب وهذه الشروط التي تُذكر من كونها أسساً يقوم عليها التفسير، نعم، يقوم عليها المفسر، هذه ترتبط بالمفسر ولا ترتبط بالتفسير، لكن ذِكرها قد يكون من المكملات. ولا يمتنع هذا أن يتداخل بعض المسائل التي هي أقرب إلى علوم القرآن، أو هي أقرب للقراءات، أو هي أقرب إلى التفسير من إيرادها في هذا الباب أصول التفسير.

إن الآداب التي يذكرها العلماء للمفسر تجب مراعاتها سواءٌ كان المفسر ناقلاً، أو مجتهداً، أو ملقياً، وذلك لأن التفسير متصلٌ بكلام الله سبحانه وتعالى:

- **فإذا كان يفسر على وجه النهاية والترجيح في الآية فيُشترط له ما سيُذكر من آداب** إن شاء الله تعالى.
- **وإن كان يُفسر وهو بين أن يكون المعنى الذي يصل إليه راجحاً أو مرجوحاً أو مردوداً، فهو في دائرة الباحث وطالب العلم** الذي يقول سأعرض ما اجتمع في ذهني من الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطرق التي تعلمتها في شروط التفسير، سأعرضها في تفسير هذه الآية لعلي أن أُوَفق أن أكون في نهاية المطاف مرّنت ملكة التفسير عندي حتى استطعت أن أصل في الآية لمعنى صحيح راجح، واستنبطت منها وفسرته بالقرآن وبالسنة. **ما دمت في هذه الدائرة، متعلماً فالأمر في هذا يسير، ومن شروط هذه الدائرة:**
  * أن تكون في نهاية المطاف عارضاً ذلك التفسير على إمام في التفسير، إما إمامٌ معاصر لك، أو كتابٌ ترجع إليه وتصدر عنه ولا تتجاوزه في اجتهادك ورأيك.

* وأيضاً مما يذكر في هذه الدائرة: ألا تنقل تفسيرك إلى عموم الناس ثم يستدركونه عليك ثم تقول أنا كنت أراجع ما يتصل بملكتي في التفسير، أُمرّنها وأنتم ساعدتموني على هذا. لا، فخروجك إلى الملأ العام فيه العالِم، وفيه الجاهل، فربما كان الجاهل ملتقطاً لهذا التفسير ظاناً أنه هو التفسير الصحيح للآية.

- ولأجل هذا يقال بأن من ضلّ في تفسير كتاب الله تجد أنه كان من أبعد الناس عن احترام هذه الحدود التي يشترطها أهل العلم للتفسير وللمفسر، فينطلق ويقول تفسير كلام الله وخطاب لنا جميعاً، ونحن من المسلمين والله تعبّدنا بالتدبر، ثم ينطلق بهذه الأفهام إلى عامة الناس حتى يَضِل ويُضِلّ، نسأل الله العافية والسلامة.
- إذن، أُأكد على هذا الشرط المهم وهو أنه لا مانع أن تتدبر، أن تفسر، وأن تجتهد في فهم المعنى ثم ترجع بعد ذلك إلى تفسير أو مفسِّر، وهذا أقره النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه، وصححه عمر رضي الله عنه لشارب الخمر الذي تأول آية سورة المائدة، ونحوٌ من ذلك، وله تطبيقات، ولكن الاستدراك وارد على تلك التأولات والتصحيح يتبع ذلك الفهم الخاطئ، ونؤكد على أن الذين فهموا فهماً خاطئاً لم يخرجوا إلى الملأ ويقولوا أن هذا هو معنى الآية، ونلتزم هذا المعنى ولا يصح إلا هو، لا؛ بل عُرِض على أهل العلم فرفضوه وصححوه .

✔ آداب المفسِّر

1. **أن تكون نية المفسِّر حسنة وصادقة وخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى**، وذلك لأن الله تعالى لا يرضى من الأعمال إلا الطيب الصحيح، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وقد قال صلى الله عليه وسلم "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...." الحديث [صحيح البخاري: 1]، وفي رواية: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّة..."، فراجع هذه النية عند دراستك، وعند تدريسك، وعند تعلمك، وعند تعليمك، وعند قراءتك، راجع نيتك مع كلام الله سبحانه وتعالى. فإياك أن تفسر وأنت تريد الصدارة أمام الناس، والعلو على العلماء والتقدم، لاسيما الآن مع انتشار وسائل الإعلام ووسائل النشر، ستجد أن البركة منزوعة من هذا التفسير وإن كنت ناقلاً للصحيح من الأقوال، ونيتك مغشوشة فانتبه أن تسلك هذا المسلك لأن البركة تُنزع من الأعمال التي لا صدق فيها ولا إحسان فيها ولا يبتغى من ورائها رضى الله جلّ وعلا.
2. **أن يكون المفسِّر حسناً للخلق**، لأنه يترجم كلام الله جلّ وعلا، قال مسروق رحمه الله: "اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله". وابن عباس رضي الله عنه كان يسمى ترجمان القرآن. وأنت بهذا كأنك تقول أن هذا المعنى هو مراد كلام الله، وأنت أعلم الناس به ثم بعد ذلك لا تتحلى ولا تتخلق بهذه الأخلاق هذه مصيبة ، إذاً يجب أن يكون المفسر، أو سالك علم التفسير، أو الطالب في مدرسة التفسير، أن تكون أخلاقه هي الأخلاق التي

أدبنا وعلمنا عليها القرآن، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان خلقه القرآن"، ما أجمل هذا الوصف وما أعظمه وما أشمله، كان خلقه القرآن، صلى الله عليه وسلم هو أقرب الناس إلى الله تعالى، هو الناقل المبلغ لأمته كلام الله تعالى فكيف به يخالف ما ألزمه به الله وما أدبه به الله، وما علمه الله. ولهذا ما أكثر الهدايات في القرآن التي تؤدبنا في مطعمنا، في مشربنا، في استئذاننا، في صلتنا بالمسلمين ،في صلتنا بالمعاهدين، في صلتنا بالكافرين، كل هذه الأمور مما يؤدبك القرآن به، أن تكون طيباً حسناً في التعامل حتى وإن كان من تتعامل معه كافراً، كالوالد الكافر والوالدة الكافرة فكم أكد القرآن على وجوب الإحسان للوالدين وهما على الكفر، قال تعالى: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15]، هذا في حكم الوالد والوالدة الكافرَين يقول تعالى: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، فهذا واجب عليك حتى وهما على ملة لا يرضاها الله ولا يرضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك ألزم الله تعالى بحسن العهد والخلق. فهذه الهدايات إذا اجتمعت وتخلق المفسر بها، ودعا الناس إلى كلام الله، لا شك أن هذا سيكون أدعى إلى القبول. وانظروا في هدايات القرآن سنجد الكثير الكثير مما يرشد هذه الأمة أن تكون متحلية به متخلقة به.

3. **أن يتحرى الصدق والضبط في النقل**، فلا يتكلم إلا وهو متثبت مما يقول وعنده في نقله أمانة وصدق حتى لا يكون حاطب ليل يجمع من هذا ويجمع من هذا، وينقل عن بني إسرائيل ولا يتثبت، ثم بعد ذلك ينتهي التفسير إلى حكايات وقصص وروايات كلها لا تصح، وعندنا في سنة رسول الله وفي كلام الله مع ذلك ما يغنينا إن شاء الله عن تلك الأحاديث والأخبار والروايات التي ربما يطول الذكر من ورائها ولا ينتفع بها الخلق لأن بعضها أو كثير منها لا يصح. فالتحري في النقل والتثبت فيه والنظر فيه هذا واجب المفسر. كما لا يجوز أن تنقل عن الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين رحمهم الله قولاً شاذاً أو منكراً وهو مذكور في الكتب بإسناد لا يثبت إليهم، فهذا لا يجوز.

وانظر اليوم في مجتمعك بيننا وبين شيوخ مشايخنا واسطة، وربما تكون هذه الواسطة واحدة أو اثنتان، وأحياناً ينسب إلى عالم من علمائنا قولاً أو ثلاثة أقوال في مسألة واحدة، وربما هذه الأقوال لا تجتمع، نعم، ربما يقال أن هذا العالم قال رأيه هذا في أول الأمر ثم انتقل إلى قول آخر، لكن أحياناً تجد أن هذا التنقل لا يُذكر. فمن هنا نقول بأنه هنا يجب أن نتحرّى الطريق الصحيح من الناقل عنه؟ هل كان من طلابه؟ مَن ألصق الناس به؟ من أقرب الناس إليه؟ أم أنه من عوام الناس؟ نقل قولاً وقال والله الشيخ الفلاني يفتي بأن المسألة الفلانية بأنها حلال ولا إشكال فيها بينما القول الذي جاء عن طلابه أو خاصة جلسائه أنه حرام ، فنقول أن هذا القول مع نسبته إليه إلا أنه باطل وضعيف حتى وإن نقله عن هذا الضعيف من هو ثقة عند الناس، وهذه مهمة التثبت في النقل، فكيف بالعهد الذي كان في صدر الإسلام، نقول بأنه **يجب أن تتثبت في الرو اية وأن لا تنقل عن الصحابة أو عن التابعين رضي الله عنهم شاذاً من الأقوال أو رديئاً من الأقوال**، هذا لا

يصح ولا يثبت، حتى وإن ثبت أن أحد الصحابة اختار قولاً، وهو موجود في كتب التفسير مرجوحاً وليس عليه إجماع الصحابة، لم يبلغه الدليل الصحيح في المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا نقلناه وكان النقل إليه صحيح وجب الإشارة إلى أن هذا مما يخالف إجماع الحجة من الصحابة، يخالف إجماع الأمة، يخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان عليه أصحابه رضي الله عنهم، وهذا له شواهد كثيرة ربما لا يحسن ذكرها مع مناقشتها، لأنه إذا ثبت النقل إما عن صحابي أو عن تابعي في مسألة من المسائل ولم نناقشها مناقشة كاملة من جميع الأوجه ربما هذا لا يكون هذا مناسباً، فبعض النفوس ربما تثق بقول الصحابي وبمكانة الصحابي فتأخذ بقوله مع أنه مخالف للإجماع، وهذا مسلك خاطئ ربما يقع فيه بعض مَن في قلوبهم هوى.

4. **أن يكون المفسِّر متواضعاً لين الجانب** وهذا مما تؤكد عليه أخلاق حملة القرآن ونقلة القرآن ومفسر القرآن.

5. **أن يكون المفسّر عزيز النفس، مترفعاً عن الرذائل، مترفعاً عن النقائص، حامياً لحمى المروءة، وكريم النفس**، وذلك لأن القرآن -بإذن الله- يغني أهله ويغني حملته عن أن يكونوا مع أراذل الناس، أو مع ضعاف النفوس من الناس الذين ربما يكون عندهم ضعف في النفس فيسألون ويلحون، وفي الحقيقة هذا ليس حسناً في أخلاق حملة القرآن بل وحتى في أخلاق حملة العلم.

((وليس أدل على ذلك من **قصة أبي هريرة والجوع** المذكورة في **صحيح البخاري**: فقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة منقطعا لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته، وكان أحيانا يبلغ به الجوع مداه، ومن ذلك ما يحيه عن نفسه؛ حيث قال: إنه كان يشتد بي الجوع حتى أني كنت أسأل الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آية من القرآن وأنا أعلمها كي يصحبني معه إلى بيته فيطعمني. وقد اشتد بي الجوع ذات يوم حتى شددت على بطني حجرا فقعدت في طريق الصحابة، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله، وما سألته إلا ليدعوني فما دعاني. ثم مر بي عمر بن الخطاب، فسألته عن آية فلم يدعني أيضا، حتى مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف ما بي من الجوع فقال: يا أبا هريرة، قلت: لبيك يا رسول الله، وتبعته فدخلت معه البيت فوجد قدحاً فيه لبن فقال لأهله: من أين لكم بهذا؟ قالوا: أرسل به فلان إليك، فقال: يا أبا هريرة انطلق إلى أهل الصُّفّة فادعهم، فساءني إرساله إياي لدعوتهم وقلت في نفسي: ما يفعل هذا اللبن مع أهل الصفة؟ وكنت أرجو أن أنال منه شربة أتقوى بها ثم أذهب إليهم، فأتيت أهل الصفة ودعوتهم فأقبلوا فلما جلسوا عند رسول الله قال: خذ يا أبا هريرة فأعطهم، فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى، إلى أن شربوا جميعا، فناولت القدح لرسول الله فرفع رأسه إليّ مبتسما وقال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: فاشرب، فشربت، ثم قال: اشرب، فشربت، وما زال يقول اشرب فأشرب حتى قلت: والذي بعثك

بالحق لا أجد له مساغا، فأخذ الإناء وشرب من الفضلة.)) وهذه القصة تدل على أن أبا هريرة مع الشدة التي كان فيها من الجوع رضي الله عنه إلا أنه أكرم نفسه أن تقع في السؤال، قال الله تعالى: {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: 273]. وكذلك تفسير قوله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ} [الحج: 36]، قال السعدي رحمه الله: أي: الفقير الذي لا يسأل، تقنعاً، وتعففاً، والفقير الذي يسأل، فكل منهما له حق فيهما (الإبل والبقر).
وهذه هي الأخلاق التي دعا إليها القرآن.

6. **أن يتحلى المفسِّر بالتأني والرّوية في حديثه**، فلا يسرد كلامه سرداً سريعاً حتى لا يفهمه المستمع؛ بل عليه أن يفسر الكلام بتأني وأن يتأنى فيه ليبين للناس المراد من كلام الله عز وجل سبحانه.

7. **على المفسّر أن يجهر بالحق مهما كلفه ذلك** مع مراعاة الضوابط في بيان الحق وألا يكتم عن الله جل وعلا علماً.

8. **على المفسّر أن يُقَدِّم من هو أولى منه إذا حضر معه في المجلس**، فإذا حضر من هو أعلى منه لا ينبغي له أن يتحدث بحضرته بل يحيل المسائل إليه، إلا أن تكون من باب المُدَارَسة أو من باب المساءلة فهذا لا بأس به، لكن إن حضر من هو أعلم منه يجب أن يكون ذلك العالم هو الذي يتولى تفسير كلام الله سبحانه وتعالى.

9. **على المفسِّر أن يحسن التحضير لما سيفسره ويتناوله**، وذلك لأنه سيتكلم بمراد الله سبحانه وتعالى فيجب عليه أن يحسن التحضير والإعداد ومراجعة التفاسير من الآثار والأحاديث، حتى يكون كلامه نافعاً بإذن الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **منيرة فهد.**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة.

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أرحب بكم معاشر الإخوة والأخوات المنتظمون على بركة الله في هذه الأكاديمية المباركة في هذه المادة مادة أصول التفسير. سنتناول في هذه المحاضرة باب مهم بل هو الأصيل في باب أصول التفسير وهو **طرق التفسير**، ما هي الطرق التي يتبعها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم، وهو الذي نستطيع أن نقول بأنه درة العناوين المهمة في باب أصول التفسير.

✓ طرق التفسير

المراد بهذا الباب هو: كيف نفسر القرآن؟ ماهي الخطوات العلمية المهمة في تفسير الآية؟ تُعرض لي آية من الآيات، هذه الآية الكريمة هل أتناولها بقول أحد من المتأخرين في التفسير؟ هل أتناولها ببيت من أبيات الشعر التي يتفق ذكر المصطلح القرآني مع هذا المصطلح العربي، فأقول بأن المراد بهذا هو هذا؟ أم كيف أبدأ؟

لا شك أن **تفسير الوحي بالوحي هو أولَى الطرق التي يفسربها كتاب الله جل وعلا**، وأعني بتفسير القرآن بوحي الله إما بما في كتابه جل وعلا، أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا أحد أعلم بمراد الله جل وعلا إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا يجب على المفسر أن يفسر القرآن على مراد الله، وعلى مراد رسوله صلى الله عليه وسلم، وألا يتجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة متأخرة عنها وهو يجد في وحي الله ما يبين هذه الآية ويفسرها، وهذا أمر مهم لأنك لا تنتقل إلى طريقة ثالثة أو رابعة من طرق التفسير وأنت تجد تفسيراً قرآنياً في كتاب الله يفسر هذه الآية أو تفسيراً نبوياً في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تتركه إلى غيره. هذا أمر مهم وواضح بيّن يجب التنبيه عليه عند من يتجاوزه أو يفعله.

✓ الطريق الأول: تفسير القرآن بالقرآن

الطريق الأول من طرق التفسير، وهو أعلاها وذروتها، هو تفسير القرآن بالقرآن فهو المرجع الأساس والمصدر الأول في معرفة معاني القرآن، فالله عز وجل هو المبين الأول لكتابه الكريم.

والمراد من تفسير القرآن بالقرآن: أن يستكشف المفسِّر معنى الآية الكريمة من القرآن نفسه. آية من الآيات تبحث عن تفسيرها في القرآن، وتتلمس معنى هذه الآية في كتاب الله سبحانه وتعالى: كيف وردت، كيف بينت، كيف فسرت.

فإن لم تجد تفسيرها في القرآن، أو كما يقول شيخ الإسلام: إن أعياك ذلك، فعندئذ تنتقل إلى تفسير القرآن بالسنة. لكن هناك بعض الآيات الكريمة - وربما نعرض نماذج منها إن شاء الله تعالى بعد قليل - فُسِّرت في كتاب الله سبحانه وتعالى إما تفسيراً صريحاً، وإما نتلمسها في المراد من المعاني القريبة من هذه الآية وهي تفسرها على وجه الإجمال أو على وجه التفصيل.

أولاً- أنواع بيان القرآن للقرآن:

1. التفسير المتصل والتفسير المنفصل.
2. البيان النصي الصريح أو غير صريح.

التفسير القرآني للقرآن إما أن يكون تفسيراً صريحاً نصياً، وإما أن يكون تفسيراً غير صريح. وبمعنى آخر نستطيع أن نقول بأن تفسير القرآن بالقرآن إما أن يكون متصلاً وإما أن يكون منفصلاً، وسنأتي على بيان هذا المتصل والمنفصل أو الصريح وغير الصريح، وإن كان معنى الاتصال والانفصال ربما يخالف معنى الصريح وغير الصريح في بعض اتجاهاته.

1. التفسير المتصل والتفسير المنفصل:

(أ) التفسير المتصل:

- **(ما يكون التفسيرُ فيه في موضع الآية المفسَّرة)، أن تكون الآية الكريمة بيانها وتفسيرها يلي المعنى الذي نبحث عنه أو نبحث عن تفسيره**. وأمثلته:
- قول الحق سبحانه وتعالى: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: 1-3]، قد يقول قائل: نريد أن نبحث في معنى "القارعة"، فيقال له أن الذي أراده الله بالقارعة هنا واستفهم عنه في قوله تعالى {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}، بيّنه سبحانه وتعالى، قال جل وعلا في شأن القارعة: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة: 4-5]، إذن هو بيان لأحوال الساعة وهو من أسمائها.
- وقوله جل وعلا: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ} [الطارق: 1-2]، بينه سبحانه وتعالى فقال: {النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق: 3].

- وقوله جل وعلا: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ} *[القارعة: 8-10]*، بيّنه سبحانه وتعالى فقال: {نَارٌ حَامِيَةٌ} [القارعة: 11].
- إذن، إذا استفهمت عن بعض الشيء ربما تجده متصلا في كلام الله سبحانه وتعالى، هذا المعنى الذي تبحث عنه، هذه الآية التي تريد تفسيرها، هذا المصطلح تجده قد ورد بيانه وتفسيره متصلاً بالكلمة التي تليه مباشرةً، فنقول مثل هذا يسمى بالتفسير المتصل للقرآن بالقرآن.
- بالمناسبة، قال ابن عباس رضي الله عنه فيما روي عنه: "كل شيء من القرآن من قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ} فقد أدراه -أي: للنبي صلى الله عليه وسلم-، وكل شيء من قوله: {وَمَا يُدْرِيكَ} فقد طُوِيَ عنه." [الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج19]، بمعنى أن كل ما جاء في القرآن {وَمَا أَدْرَاكَ} فإن الله بيّنه في كتابه، وكل ما جاء في القرآن {وَمَا يُدْرِيكَ} فإن الله جل وعلا استأثر به في علم الغيب عنده، مثل قول ربنا سبحانه وتعالى {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب: 63]، مع ذلك لم يكن ميقات الساعة معلوم لكل أحد.

(ب) التفسير المنفصل:

- تفسير القرآن بالقرآن المنفصل هو **ما تكون فيه الآية المفسَّرة في موضع، والآية المفسِّرة في موضع آخر**، كأن يكون الموضع في أول السورة وبيانه في آخر السورة، أو كأن يكون الموضع في سورة وبيانه في سورة أخرى. وأمثلته:
- قول الحق سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: 7]، قد يقول قائل من هم؟ ما هي صفتهم؟ ما هي أسماؤهم؟ يعني يبحث عن الذين أنعم الله عليهم يريد أن يلتحق بهذا الركب، فيقال بأن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم سمّى الله أوصافهم في آية النساء في قوله سبحانه وتعالى: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69]. إذن، الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون هؤلاء هم الذين سمّى الله جل وعلا في قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، هذا الإنعام لهؤلاء القدوات. من هم الذين أنعم الله عليهم؟ نقول أنعم الله على أهل الاقتداء: نبي، وصديق، وصالح، وشهيد، هؤلاء قدوات؛ ولهذا منزلة هؤلاء الأربعة منزلة عظيمة فوق كل مسلم وفوق كل صالح، وفي كل أمة تجد أن هذه الأوصاف لا يتقدم الأمم المسلمة إلا هم. فنقول بأن هؤلاء هم الذين سمى الله جل وعلا في قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، إذن ورودها في سورة الفاتحة وورود الآية الأخرى في سورة النساء نقول بأن هذا يسمى بالتفسير المنفصل للقرآن بالقرآن.

2. البيان القرآني الصريح وغير الصريح:

قد يكون البيان القرآني صريحاً، وأحياناً غير صريح. وأمثلة ذلك:

(أ) البيان القرآني الصريح:

النص الذي نريد البحث عنه قد يكون صريحا، ومثاله: مثل قوله تعالى: {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، وقوله تعالى: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، نقول هذا التفسير تفسير صريح.

(ب) البيان القرآني غير الصريح:

- أحيانا لا يكون الأمر صريحاً على وجه الدقة والمطابقة حتى في الألفاظ، مثلاً نستطيع أن نقول في أحكام الحج، قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97]، في هذه الآية ما ذكر الله جل وعلا بياناً لإحرام الحاج، ولا نية الحاج، ولا لأماكن الحاج، ولا لإفاضة الحاج، ولا بيّن الله جل وعلا ما يتصل بإحلال الحاج، هذا كله لم يتبين، لكن لما نأتي مثلا في سورة البقرة نجد أن هناك بياناً لهذا الفرض الذي أوجبه الله بهذه الآية، فنستطيع أن نقول مثلا أنه يفسر هذه الآية الأحكام التي جاءت في سورة البقرة في الحج، فتأتي مثلا على أحكام المحصر الذي يمنع من دخول مكة فتجد قول الله تعالى: {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} فنقول: نعم هذه الآية مفسِّرة لبعض أجزاء قول الحق سبحانه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}.
- وأحيانا قد يكون التفسير الذي لا يسمى صريحاً يتعلق ببعض جزئيات المفردات من جانب اللغة العربية وورودها هنا وورودها هنا، فربما يقول نأخذ ببعض هذه الأجزاء في التفسير فنتناوله على وجه التفريق ونقول هذا يراد به كذا، وهنا لا يراد به كذا، وإن اشتبهت في لفظها أو أنها تشتبه في بعض أجزائها أو تختلف. وعلى أية حال، سيأتي لجانب اللغة العربية كلام مستقل إن شاء الله.

ثانياً - أوجه بيان القرآن للقرآن:

هل تفسير القرآن بالقرآن جاء على منزلة واحدة ومرتبة واحدة بحيث نستطيع أن نقول بأن هذا يسمى تفسيراً للقرآن بالقرآن وغيره لا يسمى؟ لا، نقول بأن **تفسير القرآن بالقرآن جاء على أكثر من وجه**، ولا نقول بأنه على وجهٍ واحد وليس له إلا هذا، كأن نقول أن تفسير قول الله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} هو قوله تعالى: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}، وانتهى الأمر. لا، بل نقول بأن التفسير يختلف من مفسِّر إلى مفسِّرٍ آخر إلى يومنا هذا. وهذا يعني ألا نقول بأن هذا التفسير انتهى وانقضى أجله وختم عليه بطابع تفسير القرآن بالقرآن، لا، فإلى يومنا هذا قد يفتح الله جل وعلا على بعض المفسرين فيلتمس من آية كريمة تفسيراً يتصل بآية كريمة ربما لم يُسبق إلى هذا التفسير.

وهذا يجعلنا نأتي إلى مسألة مهمة أيضا وهي: **هل كل محاولة لتفسير القرآن بالقرآن تسمى تفسيراً للقرآن بالقرآن**، ونقطع بأن هذا هو الوحي يفسر الوحي؟ لا، وتفصيل ذلك:

* هناك تفسيرٌ صريح مبين، عندئذ نقول هذا تفسير للقرآن بالقرآن ولا خلاف فيه، مثل قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}، وقوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ}، هذا لا نختلف عليه ولا أحد يقول بأن هذا ليس بتفسيرٍ للقرآن بالقرآن. لا، هذا صريح وبيّن وواضح.
* وهناك الذي يُجَادَل فيه ويُختَلَف عليه، وهو التماس المفسر آية وارتباطها بآية أخرى، فهذا إن صح، عندئذ نقول نعم هو حملٌ للقرآن على القرآن وتفسير له إن شاء الله، لكن إن نُوزِع فيه، فنقول بأن هذه لا تعدو إلا أن تكون محاولة من هذا المفسر واجتهاداً منه أن يصل بالآية إلى تفسيرها. طيب، هل نقول على هذه المحاولة والاجتهاد بأنه تفسير للقرآن بالقرآن؟ نقول: لا، هو تفسير اجتهادي حتى وإن حمل بعض الآيات على بعض الآيات اجتهاداً منه في الربط. واضح؟ فلا يمكن أن نقطع بأن هذا تفسير للقرآن بالقرآن. وإذا نوزع فيه قيل للمنازع اتق الله فقد رددت أصلاً عظيما من أصول التفسير وطريقة عليا من طرقه وهي تفسير القرآن بالقرآن وأنّا لا نُسَلِّم لهذا المفسر بأنه يحمل هذه الآية على الآية الأخرى، وهنا الخلاف أننا لا نطعن في آيات الله، لكن نقول بأن هذه الآية لا تُحْمَل على هذه الآية ولا يمكن أن نقول بأن هذه المحاولة صحيحة، وإنما نقول هو تفسير للقرآن بالرأي قابل للأخذ وقابل للرد حتى وإن ربط بين الآيتين بكلام الله جل وعلا.

ما هي أوجه بيان القرآن للقرآن؟ ما هي التطبيقات التي نستطيع أن نقول بأنها تطبيقات في ميدان تفسير القرآن بالقرآن؟ نقول بأن تفسير القرآن الكريم بالقرآن يأخذ أكثر من طريقة وأكثر من وجه:

1. **ملاحظة السياق الذي وردت له الآية** يُفهم منه تقدير ما، ويكون هذا التقدير هو المقصود من الآية الكريمة ولو لم يُذكر، فيكون هذا التقدير الغير مذكور في الآية هو الذي تُفَسَّر به الآية، ومثال ذلك: قول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} [الرعد: 31]، هنا قول الحق سبحانه: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا }، القرآن قد يطلق على الكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، القرآن الكريم، وهذا هو الاصطلاح الذي يُجمع عليه المسلمون، وقد يطلق على ما نزل ويقرأ من قبله، فكتاب داوود عليه السلام سمي قرآنا لأنه يقرأ، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خُفِّفَ على داودَ عليه السلام القرآنُ، فكان يأمرُ بدوابِّه فتسرجُ، فيقرأُ القرآنَ قبل أن تسرجَ دوابُّه، ولا يأكلُ إلا من عملِ يدِه" [صحيح البخاري: 3417]. إذن، قرآن داوود عليه السلام الذي يقرأه هو كتابه الذي أنزل عليه.

ففي قول الله تعالى في فضل القرآن الكريم: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى}، بالرغم من أنه ما جاء بيان هذا الكتاب إلا أننا نقول بأن جواب "لو" - ولو لم يذكر- فهو مُقدَّر، وتقديره هو: القرآن الكريم. وتركه وعدم ذكره لوضوحه وبيانه وبيان أهميته ومنزلته، وهذا أسلوب لغوي رفيع معلوم عند العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، وجاء القرآن على أعلى وأجمل وأكبر ما يمكن أن يوصف به في جهة البلاغة القرآنية والأسلوب العربي.

إذن، نقول أن ملاحظة السياق الذي وردت له الآية تجعلنا نفهم المراد من هذا التقدير وهو كتاب الله سبحانه وتعالى، لما له من القيمة العالية المذكورة في كتاب الله سبحانه وتعالى وتفضيله على كل الكتب المقروءة، {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا} أعلاها وأكملها وأكثرها خيرا وبركة هو **القرآن الكريم** المذكور في هذه الآية

2. **ملاحظة سياق الآيات كاملة بما يليها وما قبلها**، هذا لا شك أنه يفسر القرآن بالقرآن ويحمل بعض آياته على بعض آياته كما سبق شرحه في قوله جل وعلا: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}.

3. **تأمُّل ورود التفسير للمصطلح في آية أخرى** يعتبر من أوجه تفسير القرآن بالقرآن، تأمل ورود التفسير للمصطلح في آية أخرى إذا كان على وجه البيان والتفصيل فإنه لا شك أنه هو المقصود بهذه الآية، إذا تمت المطابقة بين الوجهين، مثل ما سبق شرحه في قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} وتفسير الذين أنعم الله عليهم بآية سورة النساء.

ومثال آخر، في سورة الفاتحة قول الحق جل وعلا {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} فيوم الدين وتسميته بيوم الدين لو بحثناها ونحن نريد تفسير سورة الفاتحة لا تجد أحسن وأمثل من تفسيره بآية الانفطار بقول الحق سبحانه وتعالى: {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: 18-19].

4. أيضا، في قضية أوجه تفسير القرآن بالقرآن: أحيانا يكون من جهة **ملاحظة التكرار في القرآن**، تتكرر القصة، فنحمل بعض أجزائها على بعض، أو يتكرر الحكم، فنحمل بعض آياته وأحكامه على بعضها الآخر، فلا يمكن أن ينفك حكم ورد في سورة البقرة، ولو مجملا، عن حكم ورد بآية مثلا في سورة المزمل أو سورة الصافات أو نحوها، فهنا نقول بأن هذه الأحكام وهذه الآيات مرتبطة بعضها ببعض. وهذا يُمَثَّل له بقصة موسى عليه السلام، ويُمثَّل له بآية الحج مثل ما أسلفنا شرحه في قول الحق سبحانه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}، نتلمس أحكام الحج في سورة البقرة، وفي سورة الحج فتجد أن هذه الأحكام مشتملة مذكورة بأكثر من عنوان وبأكثر من وجه.

أختم هذا المنهج وهو تفسير القرآن بالقرآن بالتأكيد على أنه منهج أصيل من أصول التفسير، واعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سلكه، والدليل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الشهير فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود قال: "لمَّا نزلت {الَّذِينَ آمَنُوْا وَلَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}. قلنا :يا رسولَ اللهِ، أيُّنَا لا يظلمُ نفسَهُ؟ قال: ليس كما تقولونَ {لَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} بشِرْكٍ، أَوَ لم تسمعوا إلى قولِ لقمانَ لابنِه: { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}" [صحيح البخاري: 2092]. وبذلك يتضح أن النبي صلى الله عليه وسلم حمل آية على آية أخرى. إذن المفسر الذي يحمل الآية على الآية الأخرى يقال بأن هذا الطريق هو الذي سلكه إمام المفسرين صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة.

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا يا رب العالمين. أحمد الله الذي أنعم علينا بالانضمام إلى هذه المدرسة القرآنية المتصلة بتفسير القرآن الكريم، ولقاؤنا هذا على بركة الله هو العاشر من سلسلة هذه الحلقات العلمية على حسب ما فرقه المسئولون عن هذه الأكاديمية من منهج يتصل بهذا العلم الكبير، علم أصول التفسير.

توقفنا في اللقاء السابق عند الطريق الأول من **طرق التفسير**، وهو أشهرها وأعلاها وأكملها: **تفسير القرآن بالقرآن**، ونبدأ اليوم في الحديث عن الطريق الثاني من طرق التفسير وهو: تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة.

✓ الطريق الثاني: تفسير القرآن بالسنة

1. **أهمية تفسير القرآن بالسنة:**

(أ) السنة بمنزلة القرآن في الاستدلال:

ذكرنا في اللقاء السابق أن **تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة**، **يطلق على الجميع "تفسير القرآن بالوحي"**. ولا نقول بأن تفسير القرآن سابق لتفسير السنة النبوية أو هو أولى منها. لا نفاضل بين هذا وهذا، لماذا؟ لأن تفسير القرآن والسنة كلاهما من مصدر واحد. والله جل وعلا أمر بأخذ القرآن كما أمر بأخذ السنة. ((قال سبحانه وتعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: 44]، بيَّن الله في هذه الآية مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي بيان القرآن. ولما كانت هذه المهمة موكلة بالرسول صلى الله عليه وسلم، لزمنا أن نرجع إلى تفسيره لهذا القرآن، ومن المقومات التي تجعلنا نرجع إلى تفسيره صلى الله عليه وسلم أن السنة وحي من الله لقوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}، ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال، وهي أصل في فهم القرآن، لقوله تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ} وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي؛ لأنه لا أحد من الخلق أعلم بمراد الله من رسوله صلى الله عليه وسلم.))[8]

[8] فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار

إذن، إنزال السنة النبوية على النبي صلى الله عليه وسلم لأجل أن يبين عليه الصلاة والسلام لصحابته وأمته من بعدهم هذا الكتاب معنىً وعملاً، فهو في منزلة واحدة من تفسير القرآن بالقرآن، نطلق عليهما **تفسير القرآن بالوحي**.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه السائل من الصحابة رضي الله عنهم، كان يتغشى النبي صلى الله عليه وسلم الوحي، ثم يبين له صلى الله عليه وسلم ما يُصنع وما يُعمل. وهذا مما يؤكد على أن القضية هنا قضية وحي من الله جل وعلا، وهذا لا يجادل فيه إلا ملحد أو مكابر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطلق في بيان الشريعة من تلقاء نفسه ومن تلقاء اجتهاده صلى الله عليه وسلم. ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يرعون هذا حق الرعاية ويخافون أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالشيء، وهو من أمر الله قد أوحاه إليه.

((في غزوة بدر الكبرى، لما تحرك رسول الله إلى موقع ماء بدر، في موقع المعركة، نزل بالجيش عند أدنى بئر من آبار بدر من الجيش الإسلامي، وهنا قام الْحُبَاب بْنَ الْمُنْذِرِ وأشار على النبي بموقع آخر أفضل من هذا الموقع. روى ابن هشام في السيرة النبوية في غزوة بدر الكبرى: "قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَحُدِّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ: **بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ**. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ**. فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النَّاسِ، فَسَارَ حَتَّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقُلُبِ فَغُوِّرَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ، فَمُلِئَ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآنِيَةَ" انتهى. [السيرة النبوية لابن هشام - غزوة بدر الكبرى]))

الشاهد في القصة أنه لما أشار عليه الحباب بن المنذر بالانتقال إلى مكان آخر، علم بأن هذا النزول كان من اجتهاده صلى الله عليه وسلم، وليس هو بوحي من الله سبحانه وتعالى، وهذا مما يؤكد في النفوس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أرشد الصحابة، وعلّم الصحابة، ودلّ الصحابة، وسار بالصحابة وغزا بالصحابة، إنما يمتثل أمر الله سبحانه وتعالى.

ما أكثر ما جاء في كتاب الله نصاً صريحاً يتلى إلى يومنا هذا قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ..}، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ...}، كل هذه الآيات التي تستفتح بالأمر والتوجيه إنما تُشعر كل مسلم مؤمن أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما سار بنور الله ورعاية الله ووحي الله، وهذا مقتضى الإيمان بالرسالة. ما هو مقتضى إيمانك بأن النبي صلى

الله عليه وسلم رسول ونبي؟ هذا مقتضاه، أن تؤمن بأنه إنما سلك هذا المسلك لأمر الله سبحانه وتعالى، وأنه ما جاء إلا بالحق والصدق والنور والبيان.

إذا تأكد هذا في النفوس علمنا بأنه صلى الله عليه وسلم بلّغ أحكام كتاب الله تعالى لصحابته رضي الله عنهم، إما قولاً، وإما عملاً. فنزل عليه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ}، فحج بالبيت وقال صلى الله عليه وسلم: **"خذوا عني مناسككم"**. وأنزل الله عليه: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، فنادى في أصحابه **"صلوا كما رأيتموني أصلي"**. ويؤكد على هذا صلى الله عليه وسلم، ليكون هذا هو الشعار الذي ينطلق به كل مؤمن في أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم العملية إنما جاءت في بيان أمر الله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}. وقد قال ربنا سبحانه: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: 67]. وليس المقصود بقوله تعالى: {مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} أنه القرآن فحسب، بل القرآن والسنة النبوية.

(ب) تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية أصح طرق التفسير بعد القرآن الكريم فهي شارحة له، موضحة إياه [9]:

- قال الإمام أحمد: "إن السنة تفسر الكتاب وتبينه".
- يقول شيخ الإسلام رحمه الله في رسالته *مقدمة في أصول التفسير*: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا أُخْتُصِرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ. فَإِنْ أَعْيَاك ذَلِكَ - يعني تفسير القرآن بالقرآن - فَعَلَيْك بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ؛ بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنْ الْقُرْآنِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إنَّا أَنْزَلْنَا إلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَلَا إنِّي أُوتِيت الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ" يَعْنِي السُّنَّةَ.
وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ لَا أَنَّهَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى."

فإذا علمنا كل هذا، قلنا بأن الإشارة الثانية في تفسير القرآن بالوحي يأتي على موضوع تفسير القرآن بالسنة.

2. ما المراد بتفسير القرآن بالسنة؟

يقال أن المراد هو: النظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم المنقولة لبيان القرآن الكريم. وعندنا نص عظيم ذكرناه قبل قليل في سورة النحل وهو قول حق سبحانه وتعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

[9] تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]. فبيانه صلى الله عليه وسلم وحيٌ معصوم لا يساويه بيان غيره من البشر، وكونه وحي ومعصوم هذا دليل على أنه هو الذي يجب إليه المصير في بيان أحكام الله سبحانه وتعالى. قال ربنا جل وعلا: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 2-4].

3. أوجه بيان السنة للقرآن الكريم

تفسير القرآن بالسنة النبوية يأتي على عدة أوجه، لا نقول بأنه وجه واحد وبيان واحد، تفسير الكلمة ومعناها فقط كما قد يفهمه البعض أو يتوهمه البعض بأن يقول هذه الآية معناها كذا ... لا، وإنما يأتي على أوجه متعددة. ((هذه الأوجه هي:

- بيان المجمل في القرآن، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق.
- بيان معنى لفظ أو متعلقه.
- بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم.
- بيان النسخ.
- بيان التأكيد بأن تأتي السنة موافقة لما جاء به الكتاب.))[10]

فيما يلي نتناول الحديث عن بعض هذه الأوجه.

(أ) الوجه الأول: بيان معنى لفظ أو متعلقه:

نسمي هذا الوجه من البيان بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم **التفسير المباشر أو البيان المباشر**. كيف؟ بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم يذكر الآية ويذكر مرادها، يذكر معناها، يبين مفردة فيها.

مثال ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه في تفسير النبي لقول الله تعالى في سورة الشمس: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾: "أنَّهُ سمع النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يخطبُ وذكرَ الناقةَ والذي عَقَرَ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} انبعثَ لها رجلٌ عزيزٌ عارمٌ، منيعٌ في رَهْطِهِ، مثلَ أبي زَمْعَةَ"... الحديث، [الراوي: عبد الله بن زمعة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري رقم: 3377].

فقوله صلى الله عليه وسلم في هذا البيان أنه رجل عزيز عارم منيع في قومه مثل أبي زمعة، يبين صلى الله عليه وسلم مكانة هذا الشقي ومنزلته بين قومه. هو أبو زمعة المطلب بن الأسود المعروف بقوته وشراسته، والأسود بن المطلب وهو من أعمام الزبير بن العوام رضي الله عنه كان الرجل الذي اتصف بهذه الصفات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم: عزيز، ومنيع، وعارم، يعني فيه القسوة والشدة والغلظة والشراسة، فقال صلى الله

[10] التفسير والمفسرون، د. حسين الذهبي، ج1

عليه وسلم: كأن هذا الرجل أشبه ما يكون بالشقي الذي جاء إلى ناقة صالح عليه السلام فنحرها. نقول هذا تفسير مباشر من النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى الشقي الوارد في سورة الشمس.

أيضا من تفسيره عليه الصلاة والسلام المباشر قوله صلى الله عليه وسلم عند قول الحق سبحانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال: هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. جاء ذلك في حديث أبو سعيد بن المعلى قال: "مرَّ بي النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأنا أُصلِّي، فدَعاني فلم آتِهِ حتى صلَّيتُ، ثم أتَيتُ فقال: (ما منَعك أن تأتيَ). فقلتُ: كنتُ أُصلِّي، فقال: (ألم يقُلِ اللهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}. ثم قال: (ألا أُعَلِّمُك أعظمَ سورةٍ في القرآنِ قبلَ أن أخرُجَ منَ المسجدِ). فذهَب النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ليخرُجَ منَ المسجدِ فذَكَّرتُه، فقال: ({الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} هي السَّبعُ المَثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه)" [صحيح البخاري رقم 4703].

وكذلك في قول الله تعالى في سورة الحجر {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} قرأ النبي صلى الله عليه وسلم {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال: "هي السَّبعُ المَثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه".

هذا النوع البياني المباشر قليل؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يجد في أصحابه رضي الله عنهم الحاجة أن يبين كل مفردة وكل آية وذلك لأن العرب الخُلَّص نزل القرآن بلسانهم وعربيتهم وفصاحتهم فلا يحتاجون إلى هذا البيان التام لكل جزئية وكل مفردة. فالمخاطبون يومئذ يفهمون هذا الخطاب ويعملون به ولا يجدون إشكالا في فهمه، ما جاء منهم في إشكالات متعددة لا تساوي بالنسبة لعدد الآيات المنزلة شيئا، نسبته يسيرة. فنقول بأن الحاجة لم تكن ملحة ولم يكن هناك حاجة أن يبين صلى الله عليه وسلم كل مفردة لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون هذا.

إذن، هذا هو النوع الأول من أوجه تفسير القرآن بالسنة، وهو أن يكون تفسيره صلى الله عليه وسلم مباشرًا مبينًا لمفردة قرآنية.

(ب) الوجه الثاني: بيان المجمل في القرآن، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق [11]:

تأتي السنة النبوية فتفسر الإجمال الوارد في القرآن، وهذا يدل على أهمية حفظ السنة للمفسر. المفسر الذي لا يحفظ السنة النبوية ولا يعلم أحكامه صلى الله عليه وسلم في سنته، لا يستطيع أن يفسر القرآن؛ بل لا يجوز له أن يفسر القرآن وهو جاهل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. كيف تفسر أحكام الصلاة وأحكام

[11] تم الاستعانة بكتاب التفسير والمفسرون للدكتور حسين الذهبي، الجزء الأول، في كتابة هذا العنصر من المحاضرة.

الصيام وأحكام الزكاة وأحكام الحج المذكورة في كتاب الله في مواضع متعددة وأنت جاهلٌ بكيفية تطبيقها في سنته صلى الله عليه وسلم، جاهلٌ بأوامره صلى الله عليه وسلم؟!

هذا الوجه من بيان السنة للقرآن يرد في أبواب متعددة من أبواب الدين. ففي القرآن ما يكون مطلقاً فتأتي السنة وتقيده، وما يكون عاماً فتأتي السنة فتخصصه، ونحو ذلك. وبالمثال يتضح المقال.

- **من بيان المجمل:** بيانه صلى الله عليه وسلم لمواقيت الصلوات الخمس، عدد ركعاتها، وكيفيتها، وبيانه لمقادير الزكاة، وأوقاتها، وأنواعها، وبيانه لمناسك الحج، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني مناسككم" وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي".
- **من توضيح المشكل:** تفسيره صلى الله عليه وسلم للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة: 187] بأنه بياض النهار وسواد الليل.

وهنا بالمناسبة إذا قلنا المشكل في القرآن فلا نضيف هذا الإشكال للقرآن لأن القرآن لا يحمل مشكلاً؛ وإنما المشكل يكون في الأذهان. قد يشكل عليك أنت ما لا يشكل عليّ، وقد يشكل عليّ أمر هو عندك غير مشكل وواضح وبيّن. إذن، لماذا أشكل عندي ولم يشكل عندك؟ لأن عندك زيادة علم وعندي في الآية شيء من عدم الفهم، من الجهل، من تضييع بعض الأدلة، فيكون مشكلا عندي ولا يكون مشكلا عندك. إذن، الإشكال دائما نقول أنه قائم في الأذهان. فالسنة النبوية ترفع الإشكال الذي يرد في أذهان بعض الصحابة رضي الله عنهم.

ومثال ذلك: خرّج الشيخان في صحيحهما من حديث عائشة رضي الله عنها : (كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} قَالَتْ فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ") أي أن الله قال عن المؤمن { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } وأنت تقول يا رسول الله من حوسب عذب. إشكال. والنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن ينطق بوحيٍ يعارض وحياً آخر، لا يمكن أن ينطق بسنة تعارض قرآنا أو آية. فبين لها النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا ليس الحساب المذكور في حساب المؤمن، لأن الله في سورة الانشقاق ذكر حساب المؤمن فقال تعالى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: 8-9]. أما الكافر فسوف يحاسب حسابا عسيرا. قال تعالى في سورة المدثر {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}

فما المقصود إذن؟ قال عليه الصلاة السلام ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب فقد عُذِّب. يعني بالنسبة للمؤمن هو عرضٌ لأعماله، يُعرض عليه عمله ويقال عملت كذا وعملت كذا. ففي الصحيحين عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يدنو المؤمن (أي من ربه تعالى)

حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ."

أما بالنسبة للكافر فسيسأله الله عز وجل عن عمله، عملت كذا، لِمَ عملته؟ هذا السؤال حساب وهو بحد ذاته عذاب. المناقشة لما تكون -ولله المثل الأعلى- في شأن الدنيا من أرفع مسئول وهو يناقشك وينتظر جوابك سيكون هذا بحد ذاته عقاب وعذاب وحسرة، فكيف إذا كان من ملك الملوك؟

ولهذا لا يجد أولئك القوم أعني الكفار جواباً لله جل وعلا فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: 24-25]، إذن هذه الطريقة وهذه المحاسبة هي التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم عذاباً في قوله من نوقش الحساب يوم القيامة فقد عذب

- **من تخصيص العام:** تخصيصه صلى الله عليه وسلم الظلم في قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82] بالشرك، فإن بعض الصحابة فهم أن الظلم المراد منه العموم حتى قال: وأينا لم يظلم نفسه؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس بذلك؛ إنما هو الشرك".

مثال آخر للعام الذي خُصص بالسنة النبوية ما ورد في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى وهو قوله جل وعلا: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}، فهل كل ميتة حرام؟ لو جاء شخص لا يحفظ من السنة النبوية شيئا فتقول له: هل كل ميتة حرام؟ سيقول: نعم، هذا مذكور في كتاب الله. يقال بأن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه بعض أصحاب السنن، والإمام مالك رحمه الله في موطئه، قوله صلى الله عليه وسلم في البحر: "هو الطهور ماؤه الحِل ميتته"، فنقول لفظ الميتة جاء في القرآن لفظ عام مخصص بالسنة النبوية في مسألة ميتة البحر. وأيضا نحمله على حديث آخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "أُحِلَّتْ لَنا مَيْتَتَانِ ودَمانِ الحوتُ والجرادُ والكبدُ والطِّحالُ". [رواه أحمد، وابن ماجه، والبيهقي]

((ملاحظة: هذا الحديث لا يصح مرفوعاً، بل الصحيح أنه موقوف على ابن عمر، كما علق عليه الشيخ ماهر الفحل في تحقيقه لبلوغ المرام)).

لذلك نقول بأن هذا يدل على أهمية رعاية السنة وحفظها مع تفسير كتاب الله جل وعلا.

- **من تقييد المطلق:** تقييده صلى الله عليه وسلم اليد في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: 38] باليمين.

- **من بيان المبهم في آية معينة:** فمن بيان الإبهام في الآية المعينة ما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}" [سورة إبراهيم آية 27]. [البخاري: (4699) واللفظ له، مسلم: (2871)]. إذن، إذا قرأ القارئ هذه الآية في سورة إبراهيم سيجد أن قوله تعالى: {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} عام وقوله تعالى: {وَفِي الْآخِرَةِ} أيضا عام، فبيّن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذا في المنزلة بين الدنيا والآخرة إذا سئل العبد في القبر ثبَّته الله بهذه الشهادة، بقوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

نكمل إن شاء الله في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى الأوجه المتبقية في بيان السنة النبوية للقرآن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **نهى الخشن**

✍ قام بالمراجعة الأولى: **أخ في الله**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب ما قمت به من إعادة صياغة المحاضرة بالكامل وإضافة بعض المعلومات الإثرائية وتم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ثم أما بعد، نرحب بكم أيها الأخوة الكرام في هذه الحلقة، وهي الحلقة الحادية عشرة على بركة الله ضمن دروس أصول التفسير المرتبطة بمنهج أكاديمية تفسير في برنامج السعدي، ومن الله جل وعلا نستمد العون والتوفيق والسداد، وأرجو إن شاء الله أن يكون ما تقدم ذكره بينًا واضحًا، وهو الحمد لله موجود وملتمس في كتب أهل العلم، وإنما أنا وأمثالي في هذه الدروس نذكر ونختصر ونسطر وليس الأمر على وجه التمام والعصمة، وإنما هو من باب المشاركة العلمية التي تدل إن شاء الله على أصول هذا العلم، وعلى كلام أهل العلم بأوجز عبارة وأخصرها، وبين أيدكم ودونكم كتب أهل العلم التي سطرها أئمة يشار إليهم بالبنان في هذا الباب أعني «باب التفسير وأصوله» لا سيما والعناية بأمثل هذه الكتب وأحسنها طريقة هي التي إن شاء الله تعين طالب علم التفسير على أن يتخرج إن شاء الله متخصصا مفسرًا بعون الله جل وعلا وتوفيقه.

وقفنا في الدرس السابق عند بيان **أوجه تفسير السنة للقرآن الكريم**، وقلنا بأن السنة النبوية تأتي في تفسير القرآن على أكثر من اتجاه، إما أن يكون تفسيراً مباشراً من النبي عليه الصلاة والسلام، إمّا أن يكون بيانًا للمجمل في القرآن، تفسير للإجمال للذي يكون في القرآن، وإمّا أن يكون توضيحاً للمشكل في القرآن، ويكون هذا الإشكال رافعه هو النبي صلى الله عليه وسلم، وقلنا لكم بأن الإشكال يقوم في الذهن، ولا يجوز أن يقال بأن القرآن محتمل للإشكال، أو السنة تحتمل لهذا الإشكال. وسنكمل الحديث اليوم عن الوجه الثالث من أوجه تفسير السنة للقرآن الكريم: أن السنة النبوية تؤكد ما جاء في القرآن مع زيادة بيان، وذلك بأن تأتي السنة موافقة لما جاء به القرآن الكريم، وهذا يأتي على بعض الآيات، فالنبي صلى الله عليه وسلم يُقر الآية بتدبره وتأمله، ثم يزيدها بيانًا.

للتذكير نلخص **أوجه تفسير السنة للقرآن الكريم:**

(أ) الوجه الأول: بيان معنى لفظ أو متعلقه.

(ب) الوجه الثاني: بيان المجمل في القرآن، وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق.

(ج) الوجه الثالث: بيان التأكيد بأن تأتي السنة موافقة لما جاء به الكتاب

(د) الوجه الرابع: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن.

(هـ) الوجه الخامس: بيان النسخ.

نتابع في هذه المحاضرة إن شاء الله شرح باقي أوجه تفسير وبيان السنة للقرآن.

(ج) الوجه الثالث: بيان التأكيد، وذلك بأن تأتي السنة مو افقة لما جاء به الكتاب

ويكون القصد من ذلك، تأكيد الحكم وتقويته. وفيما يلي أمثلة توضح هذا الوجه من البيان:

- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا اللهَ في النِّساءِ، فإنكم أخذتموهن بأمانِ الله، واستحللتُم فروجهنَّ بكلمةِ اللهِ...." الحديث [صحيح مسلم: 1218]، هذا الحديث موافق لقوله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: 19].

- أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: "أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهو يقرأُ :{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قال: (يقولُ ابنُ آدمَ: مالي.. مالي)، قال: وهل لك يا ابنَ آدمَ من مالكَ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدقتَ فأمضيتَ؟" [صحيح مسلم: 2958].

فما المقصود بالتكاثر في قول الله تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر:1]؟ ممكن كل واحد منكم يستمع للآية الآن ويتأمل في لفظ "التكاثر" فيقول لقد وردت كلمة التكاثر في القرآن في قول الله تعالى: {وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد: 20]، وهذا لا شك أنه يحمل الآية على تفسيرها. سمع عبد الله بن الشخير رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر:1] فقال صلى الله عليه وسلم: (يقولُ ابنُ آدمَ: مالي.. مالي)، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وهل لك يا ابنَ آدمَ من مالكَ إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدقتَ فأمضيتَ؟). إذن، أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى **التكاثر بالأموال**، يقول ابن آدم: مالي.. مالي يتكاثر بها، والواقع أنه مالك هو الذي تأكله وتتزود به، وتلبسه، وتتصدق به، وأما الباقي فإنه لمن بعدك، لمن تركته في الدنيا ممن أوجب الله جل وعلا أن يقتسموا هذا المال، ويكون هذا المال لهم من أحل الحلال وأطيبه؛ لأن الله الذي قسمه لهم، حتى وإن كان هذا المال قد جاء بطرق لهذا المكتسب بعضها فيه شبهة، وبعضها يعتريه ما يعتريه فمات هذا الرجل ووجد في خزينته مئات الملايين، سيُسأل هذا الميت عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وهذه المئات الملايين لو أن كل واحد من أولاده أخذ منها مائة مليون فقيل له من أين اكتسبته؟ قال: من أبي تركةً أخذتها كما أمرت يا الله وعلى القسمة بالتي رضيتها في كتابك، فإن هذا من أطيب الحلال وأحسنه له. إذن مالك هو الذي أكلته وتصدقت به، وأما الذي تركته فهو لغيرك. إذن هذا من الأمثلة التي بيّن صلى الله عليه وسلم وزاد في قضية بيان التكاثر، وإن كان **التكاثر بالأولاد أيضا داخلٌ في معنى الآية** ومُبينٌ، ومُفسرٌ لها لأن الله جل وعلا سمّى ذلك أيضا بالتكاثر.

(د) الوجه الرابع: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن [12]

وذلك كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وصدقة الفطر، ورجم الزاني المحصن، ميراث الجدة، والحكم بشاهد ويمين، وغير هذا كثير يوجد في كتب الفروع.

(ه) الوجه الخامس: بيان النسخ

كأن يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آية كذا نُسخت بكذا، أو أن حكم كذا نُسخ بكذا.

فمن أوجه علاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم: قضية النسخ، وهذا أمر مهم جدًا، فمن المهم أن تعلم المُنسوخ من كتاب الله بالسنة النبوية. جاءت بعض السُنن النبوية دالةً على نسخ الآية الكريمة، فنسخُ هذه الآية الكريمة بالسنة النبوية لا شك أن هذا مما يُعين المفسر على أن يُفسر القرآن وهو مُطمئنٌ إليه، مُطمئنٌ إلى تفسيره. يقول هذه الآية وإن كانت متلوةً مقروءةً لا نجد في كتاب الله ما يرفعها إلا أن ناسخها إنّما هو في السنة النبوية، وربما مر معكم أو سيمر معكم في علوم القرآن المراد بالنسخ، وأن له اصطلاح عند المتقدمين، واصطلاح عند المتأخرين، وأن اصطلاحه الأول أوسع من اصطلاحه المتأخر؛ لكن نحن هنا نريد أن نقول حتى على اصطلاحه المتأخر الذي يقول بأن النسخ هو رفع الحكم بالكلية؛ **فإنه قد يرِد في السنة النبوية ما يرفع الحكم كاملًا من القرآن الكريم، وقد يرفع بعض أجزائه.**

(مثال ذلك: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُذوا عني. خُذوا عني. قد جَعَل الله لهنّ سبيلا .البكْر بالبِكْر جَلْدُ مائة ونَفْيُ سَنَة والثّيّبُ بالثّيّبِ، جَلْدُ مائة والرّجْم" [صحيح مسلم: 1690]. بيان منه صلى الله عليه وسلم لنسخ حكم الآية (15) من سورة النساء في قول الله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ... })[13]

(و) الوجه السادس: أسباب النزول

أيضا من الأمور المهمة في تفسير القرآن بالسنة وهو وجه من الأوجه: أن يأتي في سنة النبي صلى الله عليه وسلم مناسبة يتنزل القرآن لأجلها وهذا ما يسمى **بأسباب النزول**، فإذا عُلِم سبب النزول عُلِم معنى الآية الكريمة، وكذلك بعض القَصص والشواهد التي يَمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها على بعض المواقف فيستدل بآية من كتاب الله، وهذا وإن كان يدخل فيه ربما في الوجه الأول، وقد لا يدخل فيه، مثل ما مر على فاطمة رضي

[12] التفسير والمفسرون، د. حسين الذهبي، ج1

[13] التفسير والمفسرون، د. حسين الذهبي، ج1

الله عنها، وعلى علي رضي الله عنهما، ثم خرج عليه الصلاة والسلام ثم قال: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف: 54].

ولما خرج بعض الصحابة رضي الله عنهم فأصابت أحدهم جنابة، فأراد التيمم فقالوا له: اغتسل فاغتسل فهلك وهذا في قوله: ألا سألوا حيث لم يعلموا. في حديث آخر عن عبد الله بن عمرو أنه رضي الله عنه لما أصابته جنابة فتيمم قال: تذكرت قول الله جل وعلا: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: 29]، فتيممت، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على عمله ذلك. ومثل هذه الإقرارات النبوية في بعض الحوادث والمناسبات هذه كلها تُبين، وتُفسر القرآن وتعين مفسر القرآن على أن يُفسر القرآن بالسنة النبوية الصحيحة.

هذا ما يتصل بتفسير القرآن بالسنة النبوية والأوجه المتصلة به، ولا شك أن هذا الطريق كما قلت لكم في أول اللقاء، أو في الحلقة الماضية أن تفسير القرآن بالوحي يأخذ المرتبة الأولى، إما بالقرآن، أو بالسنة النبوية.

✔ الطريق الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

هذا يكون بالنظر إلى الثابت من آثار الصحابة رضي الله عنهم في تفسير القرآن الكريم، ذلك أنهم قد أوتوا رضي الله عنهم من فهم القرآن من جانب، ومن مباشرة نزوله ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم على أحوال نزوله، ومعرفة الوقائع التي مر بها صلى الله عليه وسلم، من جانب آخر. فكل هذ كفيل لهم رضي الله عنهم بأنهم يعلمون المعنى المراد من كتاب الله سبحانه وتعالى؛ لا سيما وقد كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم يُصبحهم، ويُمسيهم ويُصلي بهم، وينام معهم صلى الله عليه وسلم في أسفارهم وغزواتهم، كل هذا يدل على أن لهذا الجمع الكريم، صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، منزلة عُليا في تفسير القرآن خاصة وهم الذين نقلوا القرآن إلينا، إلى الأجيال التي جاءت بعدهم، فما نقله إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، نقلوه رواية ونقلوه دراية، وكانوا أفهم الأمة بكتاب الله، وهم على درجات في التفسير لا نقول بأنهم على مرتبة واحدة، فهم على مراتب هم على مراتب رضي الله عنهم في تفسير القرآن الكريم.

اختلف العلماء في أي الصحابة رضي الله عنهم أعلم بالقرآن، فعند النظر إلى مجموعهم نقول: أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجمع من أصحابه رضي الله عنهم، كأنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، كل هؤلاء علماء رضي الله عنهم.

لكن أيهم أخص علما؟

القول الأول: علي بن أبي طالب

- من أهل العلم من قال: إنه **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، فقد نُقل عنه أنه قال: "سلوني عما تشاؤون سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل"، ونُقل نحوه أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه.
- إذن، من العلماء من قال بأنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقدموه على ابن عباس، وقالوا إنه أكبر سنا رضي الله عنه، وكل ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه فإنما تلقاه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنه حين موت النبي صلى الله عليه وسلم كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كبيرًا، تزوج فاطمة وولد له الحسن والحسين.
- وأما **عبد الله ابن عباس** رضي الله عنه، لما مات النبي صلى الله عليه وسلم كان عمره في الثالثة عشرة، أو في الرابعة عشرة لا يتجاوزها رضي الله عنه، ولهذا قال أئمة الحديث بأنه رضي الله عنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً إلا أحاديث قليلة قيل: دون العشرة، وقيل: نحوها، قيل: خمسة، ستة، ثمانية، هذه أحاديث صريحة رواها من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرةً لأن كان سنه صغيرا، ومن هذه الأحاديث: حديث نزول الآيات العشر من سورة آل عمران: روى ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: "أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ خَالَتُهُ قَالَ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ثُمَّ **قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ** ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ". الحديث في صحيح مسلم،
- أما رواياته الأخرى، الآلاف التي تملأ دواوين السنة النبوية، هذه أخذها عن الصحابة رضي الله عنهم، يأخذ عن علي، ويأخذ عن أبي بكر، وهذا عن عمر، وهذا عن ابن مسعود وهكذا، ممن سبقوه رضي الله عنه وأرضاه؛
- ولأجل هذا لا نقول بأن الصحابي رضي الله عنه يعتري ما يعتري غيره من الرواة فيمن دونه، **فلا نقول بأن الصحابي إذا أرسل الحديث نقول: بأن هذا الحديث مُرسل**، والمُرسل نوع من أنواع الضعيف، لا يُقال هذا، ولا يجوز لأن الصحابي رضي الله عنه وأرضاه مُصدقٌ من عند الله بقول الله، ومُزكى من عند الله، قال تعالى

فيهم: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}، والنبي صلى الله عليه وسلم زكّاهم وعدّلهم؛ ولأجل هذا لا يجوز أن يُجرح في عدالة صحابيّ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا روى الصحابيّ عن الصحابيّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولو لم يسمِّ الواسطة نقول: بأن روايته صحيحة وهم رضي الله عنهم أجلّ من أن يكذبوا على رسول الله، أو على أحد من أصحاب رسول الله في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والقول الثاني: عبد الله بن عباس

- قيل: أنه **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له، فإنه عليه الصلاة والسلام دعا له فقال: "اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ"،
- وكان عمر رضي الله عنه يُدني عبد الله بن عباس رضي الله منه، ويُقدمه مع أهل الشورى رغم حداثة سنه، "عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رأيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فَتْحُ مَكَّةَ فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}، قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ" [صحيح البخاري: 4294].
- كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: "ابْنُ عَبَّاسٍ فَتَى الْكُهُولِ لَهُ لِسَانٌ سَؤولٌ، وَقَلْبٌ عَقُولٌ "، رضي الله عنه وأرضاه، فقدمه جمعٌ من العلماء على علي رضي الله عنه في التفسير.
- وبأية حال فهم رضي الله عنهم، والجمع الآخر الذي ذُكر في عِلمه ومعرفته في التفسير كابن مسعود، وأبي هريرة رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء العلماء لا يُقال: بأنهم أقل، وإنما الكلام عن المُقدم في التفسير، والأكثر رواية والأكثر علمًا وفَهمًا **فقيل: إن ابن عباس ببركة هذه الدعوة قد نال رضي الله عنه السَّبق في التفسير رضي الله عنه وأرضاه.**

حكم التفسير بقول الصحابي[14]:

نأتي إلى مسألة مهمة في التفسير بأقوال الصحابة رضي الله عنهم وهي: حكم التفسير بقول الصحابي، أو حكم تفسير الصحابي رضي الله عنه. **تفسير الصحابي يأتي على أقسام:**

---

[14] تم الاستعانة بكتاب "تفسير القرآن أصوله وضوابطه"، للدكتور علي سليمان العبيد، ص66-76، في إعادة صياغة هذا العنصر من المحاضرة.

1. **إذا كان تفسير الصحابي لا مجال للاجتهاد فيه**، أن يكون قوله حكايةً عما وقع في عهد وزمن النبي صلى الله عليه وسلم، كبيانه لسبب نزول آية، أو إخباره عن الأمور الغيبية، والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار.... ونحو ذلك، **فحكمه: الرفع، ويُقبل إذا صح السند فيه**، والمقصود برفعه من حيث الاستدلال والاحتجاج به. و**أمثلة ذلك:**

- ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في قول الله جل وعلا: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} [الأحزاب: 10]، قالت: رضي الله عنها: "كان ذلك يوم الخندق" [صحيح البخاري: 4103]. ما أحد يُجادل في قول عائشة رضي الله عنها في أن نزول هذه الآية كان يوم الخندق، فالصحابة هم أعلم الناس بكتاب الله سبحانه وتعالى، فإذا كان حكاية عمّا وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهم قوم صدق لا يُخالج نفس مؤمن في صدقهم شيئًا فنقول: تفسيرهم في هذا حجة وله حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- ومما لا مجال للاجتهاد والرأي فيه، هو إخبارهم رضي الله عنهم عن **الأمور الغيبية**، فما يمكن أن تقطع بشيء غيبي إلا وعندك فيه حجة من النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا قطع الصحابي بشيءٍ غيبيٍ فإنا نقول بأن هذا لا يمكن أن يقوله الصحابي من تلقاء نفسه، **فله حكم المرفوع**. وأمثلة ذلك:
- ما روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه في **قصة بناء البيت**، كيف بنى إبراهيم عليه السلام البيت، وأكثر المفسرين يتناول هذا الحديث في تفسير قول الحق سبحانه: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]، فذكر ابن عباس رضي الله عنه لهذه القصة الطويلة التي رواها البخاري في صحيحه، (صحيح البخاري: 3364)، نقول: هذه لا يمكن أن يقولها ابن عباس، أو يطَّلع عليها إلا بخبر من النبي صلى الله عليه وسلم وبوحيٍ جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا الحديث حكمه حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- ومثل قول عبد الله بن عباس رضي الله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليسَ في الجنَّةِ شيءٌ مِمَّا في الدُّنيا إلَّا الأسماءُ" [صححه الألباني]، فهذا القول لا يمكن أن يطَّلع عليه ابن عباس من تلقاء نفسه، لذلك نقول أن هذا الحديث له حكم المرفوع لأنه كلام عن شيء غيبي.
- أيضاً، مما له حكم الرفع، مثل ما جاء في تفسير القرطبي لسورة القصص في تفسير قول الله تعالى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} [القصص:46] أي كما لم تحضر جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين. واستدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) قال: "نودوا يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعوني،

وأعطيتكم قبل أن تسألوني" (الحديث في المستدرك على الصحيحين ص 178 قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.) فنقول: إن هذا أيضا مما له حكم الرفع، ومثله لا يُقال من باب الاجتهاد فهذه الأمور هي مما يؤكد عليه في حكم تفسير الصحابي.

- هذا القسم من تفسير الصحابي له حكم المرفوع وهو حجة.

2. **إذا كان تفسير الصحابي من باب الإسرائيليات، فإنه يأخذ حكم الإسرائيليات قبولاً ورداً** (انظر مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص100).

3. **أن يكون تفسير للصحابي من قِبَل استخدام اللغة العربية، فيقال: بأن هذا حجة من الصحابي**، إذا أخذ الصحابي مثلًا في تفسير آية من الآيات بقول عربي في بيت فصيح استدل به، فنقول: بأن هذا التفسير وهذا الاستعمال حُجة من الصحابي يؤخذ في الآية وبه تفسر؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم من أعلم الناس باللغة العربية، وقولهم مُقدم على أئمة اللغة "كأبي عبيدة، والنحاس، والخليل بن أحمد" وغيرهم. (وهذا النوع من تفسير الصحابي يدخل في اجتهاد الصحابي في التفسير)

4. **إذا كان تفسير الصحابي محلاً للاجتهاد** كبيانه لحكم شرعي، أو توضيح لفظة مفردة ونحو ذلك، **فإن اتفقوا فله حكم الرفع والقبول إذا صح السند، وإن لم يتفقوا فلا يجزم برفعه فيكون موقوفاً على الصحابي**، لأنه لم يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن يترجح الاعتماد عليه في البيان. وذهب الزركشي وغيره إلى اعتماد موقوف الصحابي حيث قال: "ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه" (البرهان في علوم القرآن، ج2 ص 172).

وهذا القسم الأخير، أن يكون التفسير باجتهاد الصحابي خالصًا، وهو ما سوى الأقسام المتقدمة، يجتهد الصحابي في فهم الآية فيفسرها، وقد يخالفه صحابي آخر، وقد يخالفه هناك آخر، فاجتهاده الخالص هذا، هذا الذي نقول: بأنه **ليس بحجة مُلزمة في التفسير إذا وقع الخلاف فيه بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم**، مثل ما فسر ابن مسعود رضي الله عنه الدخان {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان:10]، بأنه مثل الدخان الذي أصاب قريش، وأنه الموعود به وأنه من علامات الساعة. ذكر ابن كثير في تفسيره هذا القول لابن مسعود: ((إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان - وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد - قال: قال الله تعالى: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم}، فأتي

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت. فاستسقى لهم فسقوا فأنزل الله: {إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون}، قال: ابن مسعود: فيكشف العذاب عنهم يوم القيامة، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله: {يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون}، قال: يعني يوم بدر .....)) [منقول من تفسير ابن كثير للآية].

هذا الحديث ورد واستدركه ابن كثير رحمه الله على ابن مسعود رضي الله عنه وردّه في كتابه *تفسير القرآن العظيم* المشهور بتفسير ابن كثير وكذلك في كتابه *البداية والنهاية*، وقال ابن كثير: " وهذا القول غريب جدا بل منكر". فهذا النوع من تفسير الصحابة نقول بأنه اجتهاد صحابي وهو ليس بحجة مُلزمة، بل يناقش وينظر ويجمع معه الأقوال الأخرى من أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فإن كان جمهورهم يقول به قيل به، وإلا يقال بأنه تفسير باجتهاد وليس بحجة ملزمة.

وبهذا نكون قد انتهينا من تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

من أهم مصادر تفسير الصحابة: الكتب المسندة، كتفسير الإمام الطبري، وابن أبي حاتم، وأيضا دواوين السنة التي نقلت تفاسير الصحابة رضي الله عنهم، وهناك أيضا من المفسرين وإن كان متأخرًا من اهتم بالمأثور في التفسير، كالدر المنثور للسيوطي رحمه الله. فهذه من أهم المصادر التي يؤخذ منها تفسير الصحابي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**
- قام بالمراجعة الأولى: **إيمان عثمان**
- المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
- **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الثانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. ثم أما بعد، أرحب بكم في مطلع هذه الحلقة ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم علما نافعا وعملا صالحا.

انتهى الحديث بنا في ذكر **طرق التفسير** إلى: تفسير القرآن بأقوال التابعين، وقد تقدم الحديث عن تفسير القرآن بالوحي، والوحي هو الكتاب والسنة، فتكلمنا أولاً عن تفسير القرآن بالقرآن، وثانياً عن تفسير القرآن بالسنة النبوية وهو تفسير القرآن بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لقول الحق سبحانه: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} والذكر هنا هو السنة النبوية.

والنبي صلى الله عليه وسلم بيّن القرآن قولاً وعملاً، وقوله صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم محفوظ في دواوين السنة النبوية المطهرة، وإن كان تفسيره صلى الله عليه وسلم لا يعم القرآن كله، ولا نصفه ولا أقل من ذلك؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يحتاجون إلى البيان التام والكامل كما هو الحال اليوم، وقد سبق الحديث عن هذه المسألة. وبيّنه صلى الله عليه وسلم عملياً مثل بيانه للحج في قول الله تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}، وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ}، فحج صلى الله عليه وسلم وقال في الحج: "خذوا عني مناسككم"، وبيّن كيفية الصلاة وأحكامها في قول الله تعالى: {وأقيموا الصلاة} فصلّى صلى الله عليه وسلم بالناس وقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، وهكذا، فكان يعمل ما ألزم القرآن به وأمر به.

ثم ذكرنا تفسير القرآن بأقوال الصحابة وهو مصدر أكيد في تفسير القرآن لأنهم هم نقلة القرآن إلينا، وفي عهدهم جُمِع القرآن، وكذلك كثير من مسائل علوم القرآن ترجع إلى ذلك الزمن وهو عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم. يأتي بعدهم التابعون، فما هو تفسير القرآن بأقوال التابعين؟ هذا ما سنتناول الحديث عنه اليوم بإذن الله تعالى.

✓ الطريق الثالث: تفسير القرآن بأقوال التابعين

الطريق الثالث من طرق تفسير القرآن الكريم هو تفسير القرآن بأقوال التابعين. وتفسير التابعين رحمهم الله تعالى له خصائصه وميزاته ومصادره، ولكن نبدأ أولاً بتعريف من هم التابعون.

أولاً- تعريف التابعي:

- التابعون هم الذين جاءوا بعد عصر النبوة فلم يلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما صحبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. من تعريفات أعلام المحدثين للتابعي قولهم: **التابعي هو من لقي الصحابي مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومات على الإسلام**. والتابعون منهم المتقدم ومنهم المتأخر، فالمتقدم هو من لقي كبار الصحابة وعاش معهم، ومنهم المتأخر الذي لقي أواخر الصحابة رضي الله عنهم أو لقي واحداً منهم.

ثانياً- خصائص تفسير التابعين:

- **إن زمن التابعين رحمهم الله زمنٌ ذهبي للتفسير وذلك لأن علم التفسير توسع في زمنهم أوسع مما كان عليه في زمن الصحابة**؛ لوجود الحاجة لهذا التوسع في التفسير بسبب فتح الأمصار ونشر الإسلام فيها، فزاد عدد الداخلين في الإسلام مما دعا معه إلى زيادة البيان والتوضيح والتفسير لكلام الله عز وجل. فاشتغل الموفقون من التابعين من ذلك الجيل بتفسير كلام الله سبحانه، وامتاز عدد منهم، وربما سنذكر بعضا من أخبارهم.
- يجب أن نشير إلى إشارة مهمة وهو أن **التفسير في زمن التابعين كان يو افق زمن الاحتجاج باللغة العربية**، وذلك أنهم في أصالتهم اللغوية كانوا على حد رفيع، فإذا جاءنا تفسير عن تابعي يستعمل اللغة العربية في بيان المفردة من كتاب الله كان هذا مما يُحتج به لأن زمنهم زمن الاحتجاج باللغة العربية.

ثالثاً- مصادر التابعين في التفسير:

اعتمد المفسرون من التابعين رحمهم الله في تفسيرهم للقرآن الكريم على ما جاء في القرآن الكريم نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ما رووه عن الصحابة، وعلى ما أخذوه عن أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما أداه إليه فهمهم واجتهادهم. ويعتبر نقلهم عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الحلقة الذهبية التي تربطهم بما أخذه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن تفسيرهم كان مصدراً للتفسير لمن جاء بعدهم. إذن يمكن تلخيص مصادر التابعين في التفسير في النقاط التالية:

* القرآن الكريم.
* السنة النبوية.
* الصحابة.
* اللغة.
* أهل الكتاب.
* الفهم والاجتهاد.

وفيما يلي شرح مختصر لكل من هذه المصادر:

1. **القرآن الكريم:** اجتهد التابعون رحمهم الله في بيان القرآن بالقرآن وقد كان لهم في هذا أمثلة وتطبيقات عالية، من ذلك تفسير **عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمه الله، ولعله كان من أكثرهم عناية بهذا الطريق**، ومن أمثلة ذلك تفسيره لقول الحق سبحانه وتعالى: {قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا} [الطلاق:10]، فسّر الذكر هنا بالقرآن قال: "القرآن روح الله" واستدل عليه بقول الله تعالى: {وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ}[ص: 1]، وقرأ {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى: 52] إلى آخر الآية، وقرأ {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} [فصلت: 41] قال بالقرآن، وقرأ { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9] قال: القرآن، قال: وهو الذكر، وهو الروح.

2. **السنة النبوية:** اعتنى التابعين رحمهم الله بالسنة النبوية في التفسير ولهم في ذلك طريقان:

* **الأول** - أن يذكروا السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويَعُدُّ بعض الباحثين هذا النوع من تفسير التابعين، والصحيح أنه من التفسير النبوي لأن التابعي ذكر ما بلغه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفسر. (أي: أنهم كانوا يرفعون الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأما ما أسقطوا فيه واسطة، فهذا لا يصح أن يُرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي يُسمى بالمقطوع وأما ما ذكر فيه الإسناد، وهذا اعتنى فيه جمع كبير منهم، فهذا هو المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم)
* **الثاني** - أن يذكر ما بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر السند، وهذا وإن كان مرسلاً إلا أنه يدل على اعتماد التابعين التفسير النبوي في تفسيرهم. إذا أرسل التابعي الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا الإرسال يُستفاد منه وإن لم نقطع بصحة الحديث، يستفاد منه في معنى الآية الكريمة، وذلك أنه يدل على أنه مذهب المفسر من التابعين رحمهم الله. ومن ذلك ما أخرجه الطبري عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقّ} [المائدة: 27]، قال الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلا، فخذوا من خيرهم ودعوا الشر". وقال في قول الحق سبحانه: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: 17]، قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). بعيدا عن الحكم على هذه الروايات بالأحكام الحديثية المعتبرة نقول بأن هذا مذهب التابعي رحمه الله في تفسير الآية وسنأتي إن شاء الله على إشارة إن شاء الله فيما يتصل بالتحقيق في الروايات التي تنقل في تفسير كتاب الله جل وعلا.

3. **الصحابة:** التابعون تتلمذوا على يد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واشتُهرت أسماء في باب التفسير أخذت عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمن أولئك:

* **مدرسة مكة، وزعيمها هو الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:** وأبرز تلاميذه هم مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس بن كيسان.
* **مدرسة المدينة المنورة، وزعيمها هو الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه:** وأبرز تلاميذه هم محمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم.
* **مدرسة العراق، وزعيمها هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:** وأبرز تلاميذه هم مسروق بن الأجدع، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومرة الهمذاني.
* وغيرهم مثل: سعيد بن المسيب، وعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد، وعامر الشعبي، وإسماعيل السدّي، وإبراهيم النخعي، ومحمد ابن سيرين، والربيع بن أنس.
* فأولئك رضي الله عنهم ورحمهم كانوا هم من أكثر من نقل التفسير من التابعين واعتنوا به واعتمدوا رحمهم الله على مدارسهم التي تلقوا منها فأهل مكة تلقوا عن ابن عباس، وأهل المدينة عن أبي بن كعب، وعن أبي هريرة وعن بقية الصحابة في المدينة، والذين ذهبوا إلى العراقين نجد أنهم تلقوا عن علي بن أبي طالب، وعن عبد الله بن مسعود، وممن ارتحل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى العراق، فأولئك تلقوا ونشروا التفسير وتوسع التفسير وزاد في بعض البلاد عن بعضها الآخر.

4. **اللغة:** أشرنا قبل قليل إلى أن التابعين رحمهم الله كانوا في زمن الاحتجاج باللغة، ولهذا نقول بأن طبقة الصحابة والتابعين، الذين هم أهل لغةٍ عربية فصحى وأهل علم شرعي مسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوح وصفاء، أولئك قولهم مقدم على الأقوال التي جاءت متأخرة من أئمة اللغة، كالذي ينقل مثلا عن الفراء وعن الزجّاج، وعن مجموعة الأئمة اللغويون، فنقول بأن الصحابة والتابعين أقدم وألصق وأعلم وبالتالي قولهم يكون مقدماً.

ولا يصح -والله أعلم- أن نقول بأن أولئك هم قادة التفسير اللغوي لكتاب الله جل وعلا؛ بل إنه مما يؤخذ على بعضهم أنه كان يأخذ مفردة لغوية ولا يراعي فيها سياقا ولا نظرة شرعية، لأنه أحيانا تكون اللفظة في اللغة بمعنى وفي الشرع بمعنى آخر، مثل "الصلاة" أصلها في اللغة الدعاء، إلا أنك تقدم المعنى الشرعي الذي تدل عليه في الآية، وذلك كما في قول الحق سبحانه وتعالى {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا} [التوبة: 84]، فالمعنى اللغوي هو الدعاء ولكن المعنى المقصود في الآية هو صلاة الجنازة. بينما "الصلاة" في قوله جل وعلا {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} [التوبة: 103]، {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} هنا المقصود بها هو الدعاء على

المعنى اللغوي للفظ، لقوله صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى: "كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذا أتاه قومٌ بصدقتِهم، قال: اللهمَّ صلِّ عليهم فأتاه أبي، أبو أَوْفى بصدقتِه، فقال : اللهمَّ صَلِّ على آلِ أبي أَوْفَى. وفي رواية: "صلِّ عليهم" [صحيح مسلم: 5904].

من اعتماد التابعين رحمهم الله على اللغة، واستعمالهم اللغة في تفاسيرهم، ما جاء عن قتادة، وابن زيد، ومجاهد في تفسير "الباسقات" في قول الله تعالى: {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} [ق: 10]، قالوا: "الباسقات" بمعنى الطوال، النخل الطوال.

5. **أهل الكتاب:** ومن مصادر التابعين رحمهم الله في التفسير: الأخذ عن أهل الكتاب، وهذا توسَّعَ في زمن التابعين أكثر مما كان عليه في زمن الصحابة رضي الله عنهم، ولكن يبقي الأمر في أن ما روي عنهم من أخبار إسرائيلية فهو في حكم الإسرائيليات، ولعلهم كانوا يذكرونه من باب العلم والرواية لا من باب التفسير -والله أعلم- وتظهر كثرة مروياتهم عن بني إسرائيل من خلال تفاسيرهم، ومن ذلك ما رواه الطبري عن بعض من التابعين في مائدة النصارى التي أنزلها الله من السماء، قال تعالى: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ} [المائدة: 114]، قال أبو عبد الرحمن السلمي بأن المائدة كانت خبزا وسمكا، وقال عطية: المائدة سمكة فيها طعم كل الطعام،

6. **الفهم والاجتهاد:** أيضا من مصادر التابعين في التفسير: الفهم والاجتهاد في معنى الآية والمراد أنهم إذا فهموا واجتهدوا لا يخرجون عن نور الله جل وعلا في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيجتهدون في معنى الآية وكلٌ منهم في غالب الأمر لا يخرج عن مسارٍ يبتعد فيه عن قول الصحابة رضي الله عنهم ورحمهم.

وكان بينهم في ذلك الأمر اختلاف، نظرا لأن مرجع ذلك هو عقولهم وعلومهم، وهي تختلف باختلاف أشخاصهم، ولذا فقد يكون لهم في فهم الآية أكثر من معنى، وكل معنى مبني على ما سبق من المصادر المذكورة سابقا؛ كاختلافهم في إنزال المائدة، واختلافهم في القرء، والبروج، والعاديات، وغيرها.

ومن أمثلة ذلك: تفسيرهم لقول الحق جل وعلا: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس: 20]، قال مجاهد، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يسر سبيل الخير والشر، وذلك والله أعلم تفسيره بآية سورة الإنسان، السبيل المذكور في سورة الإنسان {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}، هذا أخذ به بعضهم، وقال السدي، وقتادة: يسّر خروجه من بطن أمه.

رابعاً - حكم تفسير التابعي:

- اختلف العلماء في حكم الأخذ بقول التابعي في تفسير الآية إذا لم يوجد تفسير لها في القرآن أو السنة أو قول عن أحد الصحابة، ولذا لا يحكم عليه بالعموم من حيث القبول والرد، وإنما لتفسير التابعي أقسام هي:
- ما له حكم الرفع، وهذا يشمل أسباب النزول والمغيبات؛ كتفسير مجاهد لقول الله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: 79]، قال: إقعاده على العرش. فمثل هذا القول لا يقبل لأنه من قبيل المراسيل، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف، والمراسيل لا تقبل في مثل هذا الانفراد، أما إذا أجمعوا عليها فإنها في حكم ما أجمعوا عليه. ويُؤكد على أنه إذا وجدنا حديثاً مرسلا من قتادة أو من الحسن أن ننظر في ذلك الحديث لعله وُصِل عند غيره من الأئمة، فلعل راوياً آخر رفعه إلي النبي صلى الله عليه وسلم بإسناده وذكر الواسطة من الصحابة رضي الله عنهم.
- ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، تابعي يفسر الحديث بما ذكر عند أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.
- ما أجمع عليه التابعون رحمهم الله (وهذا مهم)، نقول هذا حجة في باب التفسير ويُقبل ولا إشكال في قبوله إن شاء الله، وأن المخالف محجوج بهذا الإجماع.
- ما اختلفوا فيه، فلا يمكن أن يكون قول أحدهم حجة على الآخر وإنما هنا نستعمل المرجحات التي نقدم فيها قولا على قول آخر وفقا لقواعد الترجيح.
- أن يَرِد عن أحدهم قول ولا يُعلم لهذا القول مخالف، فهذا يُؤخذ بقوله وان كان أقل رتبة من الوارد عن الصحابة رضي الله عنهم الذين لا يُعلم لهم مخالف ولكنه أيضا أعلى من قول من جاء بعدهم.

خامساً - تنبيهات حول تفسير الصحابة والتابعين:

- عند النظر في تفسير التابعين يجب ألا نأخذ بكل ما رفعوه إلي النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الصحة؛ بل يُدقق في هذا، ويُنظر في الحديث المرفوع إلي النبي صلى الله عليه وسلم الذي له شروطه وله أحكامه عند أهل الحديث، فلا يجوز أن ننقل الأقوال هكذا من دون تمحيص ولا نظر، خاصة ما اتصل بأحكام الله جل وعلا.
- مما يجب التنبيه عليه، أنه إذا اختلف التفسير بين الصحابة وبين التابعين، فنقول بأنه يلزم أن نحتكم إلى الدليل الشرعي. لو جاءنا قول للصحابي وقول للتابعي في التفسير فنقول بأنه واجب علينا كدارسين وممحصين أن ننظر إلى أقرب القولين إلى الدليل الشرعي، وأن نعتبر قول هذا وقول هذا، حتى يتبين لنا ما هو الراجح منهما.
- من الأمور التي يُنبه عليها أنه لا بد من العناية بالجمع بين أقوال الصحابة وبين أقوال التابعين في المسألة لا سيما المسائل المُشكلة، حتى لا يُنسب الخلاف إلى ذلك الزمن الأول، وهو مصدر التفسير الأول.

- يُنبه إلى قضية أنه ليس كل خلاف في التفسير يكون خلافاً موجباً للجمع والترجيح، لأن بعض الخلاف إنما يكون لفظياً أو ما نسميه: "خلاف التنوع".
- هل يجوز أن يكون هناك قولا زائدا على أقوال التابعين أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم؟ إذا كان القول الذي سنضيفه يخالف أقوالهم فهذا مردود، أما إذا كان لا يخالف القول وإنما يجتمع معه بأي صورة من الصور فهذا إن شاء الله لا يضر وهو مما يزيد أقوالهم بياناً وتوضيحاً وتفسيراً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **إسراء الزعيم.**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب ما قمت به من إعادة صياغة الكثير من عناصر المحاضرة وإضافة بعض المعلومات الإثرائية بالاستعانة بكتاب "فصول في أصول التفسير"، للدكتور مساعد الطيار، وكتاب "تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه"، للدكتور علي سليمان العبيد.

رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فتوقفنا في الدرس السابق عند تفسير القرآن بأقوال التابعين، واستكمالاً لهذا الموضوع، نبدأ لقاءنا اليوم بالتعليق على مسألتين وهما:

1. نقد الروايات في التفسير سواءٌ كانت المنقولة عن الصحابة أو عن التابعين.
2. الإسرائيليات.

مسألة (1): نقد الروايات في التفسير سواءٌ كانت المنقولة عن الصحابة أو عن التابعين:

- بعض العلماء يشيرون إلى مسألة مهمة وهي أن أسانيد التفسير لا يُشدّدُ فيها، وذلك أنها تأتي بالمعنى وتجتمع عليه. فالضّعفُ اليَسيرُ فيها مقبول، والمعنى إذا لم يكن مُعارَضا أو مُخالَفا من جهة النَّقل، أقصد النَّقل النبوي، ومن جهة سياق الآية الكريمة، فإنه لهذا الاعتبار لا يُشدّدُ في أسانيدها. فإذا كانت الرواية المنقولة تتصل بعظة أو بعبرة أو نحو ذلك، يكون هنا التيسير أو عدم التشدد في نقد الإسناد وذِكْر أنّ فلاناً ضعيفٌ ولا يُحتَجُّ بحديثه مما يجعل روايته باطلة ومردودة، وإنما يقال بأنه إذا كان هذا الضعف في الإسناد وأمثاله مما لا يُعارضُ القول الذي اتفقَ عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو نُقِل عن التابعين رحمهم الله فلا يضرُّ هذا الضَّعف الذي يذكر في الإسناد.

- أما إذا كان الإسناد متَّصلا بحُكم من أحكام الآية التي فرض الله جل وعلا على أمة محمد صلى الله وسلم العمل بها، فإنّا نقول بأنّا نرجع هنا إلى الشروط التي يشترطها أهل الحديث في قَبول الرواية، مثل إذا اتصلت بحُكم في الصلاة، أو في الزكاة، أو في الطلاق، أو في النكاح، أو في العقد والبيع، ونحو ذلك من الأحكام الشرعية، فهنا نقول بأن هذه الأدلة التي تُساق يجب أن نشترط فيها ما يشترطه أهل الحديث. فإذا نُقل حديثٌ فيه ضَعف فإنه يُضَعَّفُ ولا يُؤخَذ به في تفسير الآية الكريمة.

- وعلى هذا المعنى يُحمَل قول الإمام أحمد -رحمه الله-. قال الإمام أحمد: "ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير والملاحم والمغازي"، ويُروى: "ليس لها أصل" أي: إسناد، فالمقصود على ما نبَّهنا إليه قبل قليل. أما بالنسبة للأحكام حتى الإمام أحمد-رحمه الله- لا يقبل أن يكون هناك حديثاً موضوعاً أو ضعيفاً ضعفاً شديدا يُضاف إلى أحكام الله جل وعلا في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

مسألة (2): الأخذ عن بني إسرائيل وحكمه:

- أشرنا في اللقاء السابق أن من المصادر المهمة التي اعتمد عليها التابعون في تفسيرهم للقرآن الكريم: الأخذ عن أهل الكتاب، أي: الإسرائيليات. فما معنى الإسرائيليات؟ **المراد بالإسرائيليات أخبار بني إسرائيل**، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، الذي قال الله فيه: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. [آل عمران: 93].
- فيقال: الإسرائيليات هي الأخبار المنقولة عن أهل الكتاب من غير طريق القرآن والسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، كالذي يُحكى عن كعب الأحبار، وكان من أحبار اليهود ثم أسلم، ووَهْب بن المُنَبّه، وغيرهما.
- **وأخبار بني إسرائيل المذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة، فهذه لا يجوز أن نقول بأنها من الإسرائيليات** التي تدخل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ".... لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ}.. الآية" [صحيح البخاري: 7362]؛ وإنما نقول بأن هذا نص ثابت ويدخل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "...وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج.." الحديث.
- ومثال ذلك: حديث الثلاثة من بني إسرائيل الثابت في الصحيحين: عن أبي هريرة أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ....." الحديث، [صحيح البخاري: 3464]، فهذا نقطع بصحته ولا نقول بأننا نتوقف فيه، لماذا؟ لأنه جاءنا عن طريق نبينا صلى الله عليه وسلم.
- أما ما جاءنا من غير طريق نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن غير الكتاب الذي أنزله إلينا ربنا سبحانه وتعالى، مثل ما جاء عن كعب الأحبار، أو عن وهب بن منبه، أو غيرهما ممن أُخِذَ عنهم الإسرائيليات، فإنّا نقول فيه بالقاعدة التي سنذكرها إن شاء الله تعالى.
- وكتب التفسير في واقع الأمر لم تَخلُ من هذه الأخبار الإسرائيلية، وبعضها متصل ببعض الآيات التي فيها ذِكر خبر بني إسرائيل، مثل قصة موسى عليه السلام والبقرة: قال الله جل وعلا: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} [البقرة: 67]، وقصة العجل الذي له خوار: قال تعالى: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [الأعراف: 148]، أو غير ذلك. ما تجد كتاباً من كتب التفسير إلا ويأخذ من هذه المصادر أو ينقل عنها، أو من نقل عنها من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله.
- **أصل هذه المسألة يرجع إلى**: الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بلِّغوا عني ولو آية، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج، ومن كذب عليّ متعمدا

فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه من النار" [البخاري: 3461]. كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ".... لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ}.. الآية" [صحيح البخاري: 7362]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "......ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بَالله ورسله، فإن كان بَاطلا لم تصدقوهم وإن كان حقا لم تكذبوهم" الحديث. [سنن أبي داوود: 3644].

- هذه الأخبار التي وردت عنه صلى الله عليه وسلم هي أصل ما يُذكر في باب الاسرائيليات.

- **حكم العمل بالإسرائيليات في التفسير[15]:**

ما موقفنا مع هذه الأخبار إذا وجدناها في كتب التفسير؟ هذه الأخبار لا تخلو من ثلاثة أحوال:

1. خبرٌ جاء في القرآن والسنة ما يُصدِّقه ويَعضُدُه ويُكَمِّله، فنقول هذا حقٌ والتكذيب به تكذيب بالقرآن، **وحكمه:** هذا الخبر لا حرج من روايته.
2. خبرٌ جاء في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُكذِّبُه ويُبْطِله، فهذا باطلٌ والتصديق به تكذيب للقرآن، **وحكمه:** هذا الخبر نردّه ولا تجوز حكايته.
3. خبرٌ لم يأت في القرآن ما يُصدِّقُه ولا ما يُكذّبه، فهذا لا يوصف بكونه حقٌ ولا باطل، وإنما يُؤخذُ به ويُحَدَّثُ به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج"، ولكن لا نقول بأنه حق نقطع به، كما لا نقطع بأنه باطل، لأنه قد يكون حقاً وقد يكون باطلا. **وحكمه:** هذا الخبر لا حرج من روايته ومن ذِكره، دون أن نصدقه أو نكذبه.

- يقول ابن كثير رحمه الله في بيان تلك الأخبار، حتى ما نُقل عن الصحابة منها وفيه ضَعف وفيه إدخال وفيه ما لا يصح، يقول رحمه الله: "ليُعلَمَ أنّ أكثر ما يتحدثون به غَالِبهُ كذبٌ وبهتان، لأنه قد دَخَله تحريفٌ وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقلّ الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثيرٍ منه لو كان صحيحا".

- ولأجل هذا يُؤكَّد على موضوع مهم وهو أن بعض الصحابة حدَّث عن بني إسرائيل: **أبو هريرة** حدّث عن بني إسرائيل، و**ابن عباس** حدّث عن بني إسرائيل، و**ابن عمرو** حدّث عن بني إسرائيل، يجب علينا قبل أن نُضيف تلك الأخبار إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (رضي الله عنهم أجمعين) أن نتأكد من صحة الإسناد إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الإسناد ربما يكون هالكاً ولا يَصِح، فكيف تجعل الصحابي الكريم ينقل هذا الخبر، والإسناد إليه لا يصح! وهذا أمرٌ مهم؛ لأن أحيانا في كتب التفسير يُقال: (وقد حدّث عبد الله بن

---

[15] تم الاستعانة في كتابة هذا العنصر من المحاضرة بكتاب ابن تيمية "مقدمة في أصول التفسير"، وكذلك بما تم دراسته بمقرر "تاريخ التفسير" الذي تم دراسته بأكاديمية تفسير، برنامج السعدي، المستوى الأول.

عباس - رضي الله عنه - عن بني إسرائيل كذا وكذا)، ثم يُذكر خبرٌ وَاهِيٌ أو لا يطيقه عقل مؤمن ولا يصدّقه، فنتساءل: كيف يُحدّث ابن عباس هذا الخبر؟! هنا يجب على المفسِّر التأكد من الإسناد الذي نَقل هذه الحكاية عن عبد الله ابن عباس أو عن أبي هريرة؛ لأن هذا الإسناد ربما يكون إسنادًا باطلاً وضعيفًا ولا يصح أن يُسَلَّم به.

- يعلق العلماء على هذا الأمر فيقولون بأن الصحابي لما يورد إسرائيليات؛ فالذي يُظَنُّ به أنه لا يورد من الإسرائيليات ما يخالف شرع الله، إنما يُورد من الإسرائيليات ما يوافق شرعنا أو ما لا يُخالف ولا يوافق، ولا حرج في إيراده للترخيص النبوي، ذلك أنه لا ينبغي أن نتجرأ على ما جاء عن الصحابة فنقول: إنه من الإسرائيليات قبل النظر والتأمل؛ بل نقول: الأصل أن ما يأتي من الصحابة أنه ليس من الإسرائيليات حتى تقوم قرينة دالة على هذا. وإن ثبت أنه من الإسرائيليات فهو مما تجوز حكايته، لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج".
- وفي هذا الشأن يقول ابن تيمية -رحمه الله- في مقدمته: "وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَنْقُلُ عَنْهُمْ مَا يَحْكُونَهُ مِنْ أَقَاوِيلِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّتِي أَبَاحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَيْثُ قَالَ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو".
- وعليه، فحكم الإسرائيليات لا يخرج عن هذه القسمة التي يذكرها أهل العلم، والتي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه *مقدمة في أصول التفسير*، حيث قال أن الأحاديث الإسرائيلية على ثلاثة أقسام:
"أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ.
والثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.
والثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْــكُوتٌ عَنْهُ لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَلَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نُكَذِّبُهُ وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ".

ننتقل الآن للحديث عن الطريق الأخير من طرق تفسير القرآن الكريم هو: تفسير القرآن باللغة العربية.

✓ الطريق الخامس: تفسير القرآن باللغة

والمقصود به تفسير القرآن بلغة العرب، وسبب اعتبار هذا طريقاً من طرق التفسير هو: نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب.[16]

[16] فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار.

أولاً - أهمية تفسير القرآن باللغة العربية:

- من المعلوم أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} [الشعراء: 192-195]، لهذا لا يجوز لغير العالِم بها المتمكن منها أن يفسر كلام الله تعالى دون أن يعرف أسبارها وأغوارها. قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب" [17]

- نحن نعلم جميعاً أن كتاب الله أُنزل بهذه اللغة الفصيحة العظيمة، وأنزله الله جل وعلا بلسان قوم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا أهل لغة عربية فصحى يُمَجِّدونها ويُعَظِّمونها ويُقَدِّمون أهل الشعر الذين يتميز قولهم وشِعْرهم بمزيد من الفصاحة والإعجاز البلاغي، فجاءت حكاية المُعلَّقات وما كان يُذكَر من شأنها وتكريم أهلها وذِكر أخبارهم وانتشار أشعارهم.

- فجاء القرآن الكريم بِأبْلَغِ وأفْصَح ما نطق به أولئك العرب ولذلك احتاروا فيه، بعض كفرتهم احتاروا في هذا القرآن؛ وجدوا أنه ليس بشعر الشعراء وليس بنثر البُلغَاء؛ ولأجل هذا آمنوا في قلوبهم ولكنهم جحدوا بألسنتهم كما قال الله جل وعلا: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: 14].

- ولأجل هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعمَّد أن يتلوَ القرآن في مُنتَدياتهم وفي مجالسهم، وإذا أتاه الآتي منهم، قرأ عليه فواتح بعض السُّور، فبعضهم يؤمن ويُسلِم ويَطْمَئِن إلى هذا القول الفصيح.

- وكلنا يعلم ما جاء في قصة إسلام جُبير بن مُطْعِم، رضي الله عنه، لما كان من الأسرى الذين أسرهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فسمع النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطُّور حتى مرَّ على قول الحق جل وعلا: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: 35]، عن جُبير بن مُطعِم قال: "سمعتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقرأُ في المغربِ بالطُّورِ، فلمَّا بلغَ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ. أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ} كادَ قلبي أنْ يطيرَ...." الحديث [صحيح البخاري: 4854]. وفي رواية "كاد قلبي أن ينْخَلِع"، من شدة ما سمع من استفهام هذه الآية الكريمة. إذن، كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يتعمَّد أن يجعل بعض الأسرى في المسجد حتى يسمع كلام الله.

- أيضاً، قال تعالى في سورة التوبة: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة: 6]، وهذا مما يُدلِّلُ على أن الداعية إلى الله يتلو كلام الله جل وعلا لعلَّه أن يخاطب هذه الأفئدة، فتؤمن بالله جل وعلا.

---

[17] تفسير القرآن الكريم، أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد.

- هذه اللغة العربية الأصيلة مُفَسِّرةٌ للقرآن من جهة ما يَعلَمُه العرب في أشعارهم وفي كلامهم، فيأخذون ببعض المصطلحات يستعينون بها على فَهْم كلام الله سبحانه وتعالى، وقد مرَّ معنا في لقاء سابق قول عبد الله ابن عباس رضي الله عنه: "كنتُ لا أدري ما فاطرُ السَّمواتِ والأرضِ حتَّى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئرٍ، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها، أنا ابتدأتُها"، فعلم ابن عباس رضي الله عنهما من كلام هذين العَرَبِيّين أنّ المعنى يزيدُ بما عَلِمَه من لغتهما.

ثانياً - تعدد ألسنة العرب:

- كلنا يعلم أن لغة العرب لم تكن واحدةً ولساناً واحداً؛ بل كان لقريش لسانٌ؛ وكان لتميم لسانٌ؛ وكان لثقيف لسانٌ؛ وكان لهوازن لسانٌ، واللسان وإن اتّحد في لغته إلّا أنّه يختلف في بعض مفرداته، وعلى هذا حَمَل بعض العلماء قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أُنزل القرآنُ على سبعةِ أحرفٍ، كلُّها شافٍ كافٍ" [المصدر: تفسير الطبري].

- وقد وسّع الله سبحانه وتعالى على الأمة وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في حديث آخر عن أبي بن كعب قال: "أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان عند أضاةِ بني غِفارٍ. قال فأتاه جبريلُ عليه السلامُ. فقال: إنَّ اللهَ يأمرك أن تُقرأَ أُمَّتَك القرآنَ على حرفٍ. فقال " أسأل اللهَ معافاتَه ومغفرتَه. وإنَّ أُمَّتِي لا تُطيقُ ذلك". ثم أتاه الثانيةَ. فقال: إنَّ اللهَ يأمرك أن تُقرأ أمَّتَك القرآنَ على حرفَين. فقال " أسألُ اللهَ معافاتِه ومغفرتَه. وإنَّ أُمَّتي لا تطيق ذلك". ثم جاءه الثالثةَ فقال: إنَّ اللهَ يأمرك أن تُقرأ أمَّتَك القرآنَ على ثلاثةِ أحرفٍ. فقال " أسألُ اللهَ معافاتَه ومغفرتَه. وإنَّ أمَّتي لا تُطيق ذلك". ثم جاءه الرابعةَ فقال: إنَّ اللهَ يأمرُك أن تُقرئَ أمَّتَك القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، فأيُّما حرفٍ قرأوا عليه فقد أصابوا " [صحيح مسلم: 821].

- **فهذه الألسن التي تَعَدَّدت في اللغة العربية كلُّها مما يزيد القرآن بياناً ولغة؛ ويزيدها إعجازا وفصاحة؛ ويُستعان ببعضها على بعض في البيان**. ولأجل هذا يقال أن القراءات والأحرف النازلة على النبي صلى الله عليه وسلم بعضها يُفسّر بعضا؛ وأن بعض القراءات يزيد القراءة الأخرى بياناً وتفسيرا.

ثالثاً - زمن الاحتجاج باللغة العربية في التفسير:

- يجب أن نعلم أن الاحتجاج باللغة العربية في التفسير خُتِم بالقرن الثالث الهجري أو في أوائله يعني **بانتهاء زمن التابعين** رحمهم الله، لأن اللسان العربي بعدها دَخَله شيء من العُجْمَة بسبب الفتوح الإسلامية ودخول بعض المسلمين الذين هم أعاجِم في أصْلِهم.

- فمن هنا يقال بأنه لا يُحتَجُّ بأهل ذلك الزمان لأن اللسان فيه قد تعَثَّر وأصابه بُعْدٌ عن الأصالة التي كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

- فإذا قلنا بأن زَمَن النبي صلى الله عليه وسلم، وزَمَن الصحابة، وزَمَن التابعين، كان هذا زَمَن الاحتجاج باللغة العربية، فإنّا لا نُجَوّزُ أن نُدخِل الأشعار المتأخرة بعد ذلك والكلمات المنقولة، لا يجوز أن نُدخِلَها لبيان القرآن؛ ونحتجُّ بها على بيان مفردة من مفردات القرآن.

- نبهنا سابقا وأعيد هنا إلى أن **أعظم ما يكون في زمن الاحتجاج اللغوي هو في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصر أصحابه رضي الله عنهم**، وذلك أن أئمة اللغة بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم أصحابه رضي الله عنهم، فكانوا على عِلْم عظيم بلغتهم التي تَنزَّلَ القرآن بها.

- ولهذا ربّما يُخطِئ البعض حينما يجعل بعض الأئمة المتأخرين في طبقتهم كالزَّجَّاج والفَرَّاء وغيرهم من أوائل أئمة اللغة الذين تكلموا في القرآن أو صنَّفوا في القرآن. لا؛ بل يُقال بأن الطبقة الأولى هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وبعدهم التابعون الذين نُقل عنهم في كلام الله عز وجل الشيء الكثير من بيان المفردات اللغوية.

رابعاً - من ضوابط التفسير باللغة العربية:

- يُؤكِّدُ على جانب مهم في هذا الباب وهو: أنه **يجب عند ذِكر بيان المفردات باللغة العربية أن نُراعي السِّياق الكريم فيها**؛ ولا نأخذ اللفظة القرآنية على وجه البيان ونترك السِّياق القرآني بمنأى عن البيان والتوضيح والتفسير، لأن المفردة ربما تكون متأثّرة بالسِّياق. **وهذا تميز فيه الرّاغِب الأصفهاني** -رحمه الله- كما يَذكُر الزَّركشي -رحمه الله - في مفرداته يقول بأنه تميز في بيان المفردات من عدم الغفلة عن السِّياق القرآني.

- وقد أشرت في لقاء سابق في ذِكْرِ لفظ مثل "الصلاة" في القرآن، فإن الحقيقة اللغوية للصلاة بمعنى الدعاء؛ لكن في قوله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا} [التوبة:84]، ذكرنا أن المُرادَ هو صلاة الجِنازة، فالحقيقة الشرعية مُقدَّمة. بينما "الصلاة" في قوله جل وعلا: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} [التوبة: 103]، فقول الله عز وجل: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} المقصود بها هنا هو الدعاء، على المعنى اللغوي للفظ، لقوله صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى: "كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذا أتاه قومٌ بصدقتِهم، قال: اللهمَّ صلِّ عليهم فأتاه أبي، أبو أَوْفى بصدقتِه، فقال :اللهمَّ صَلِّ على آلِ أبي أَوْفَى. وفي رواية: "صلِّ عليهم" [صحيح مسلم: 5904].

- وكذلك من الأمثلة قوله جل وعلا: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} [التوبة: 37]، فلا نقول بأن النَّسيء مثلا هو التأخير

فحسب؛ وإنما يجب علينا أن نأخذ بالحُكم الشرعي والمعنى التام في فعل المشركين، قال **السعدي** رحمه الله في تفسير هذه الآية: "النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال، في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا .بآرائهم الفاسدة .أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حرامًا، فهذا .كما أخبر الله عنهم .أنه زيادة في كفرهم وضلالهم" ، فعلى المفسر أن يُبَيّن أن هذا هو المقصود بهذه الآية الكريمة.

- فيُقال بأن هذه الأمثلة مما يُوجِبُ على المُفَسِّر أن يَستَشعِرَها؛ وهي قضية مراعاة السِّياق القرآني عند البيان والتفسير لكلام الله عز وجل.

- مثال آخر، قول الحق سبحانه وتعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} [الأنفال: 11]، تجد أن البعض من المفسرين المتقدمين مَن يقول بأن المراد بتثبيت الأقدام هنا مَجازُهُ إفراغ الصبر وأنه يثَبِّتُهم أمام عدوهم، وهذا منقول عن بعض أئمة اللغة في بيانهم لهذه الآية الكريمة. وعندما نُراجع سبب النزول نجد أن المراد هو تثبيت الأرض الرملية بالماء حتى لا تَنْزلِق أقدامهم، أو يعني تَنْزَلِق خيولهم في تلك الأرض، وجعلها الله رملية ولم يجعلها طينِيَّة، وأنّ هذا مقصودٌ وذلك كان في غزوة بدر. **فاستِصْحَابُ سبب النزول، واستِصْحاب السِّياق القرآني مهم في بيان المفردات اللغوية**، بينما ما ينقله بعضهم كأبي عبيدة هنا في هذه الآية الكريمة، وأن المراد مَجازُهُ تثبيت القلوب ونحو ذلك أنّ هذا ليس بصحيح وهذا مما أُنكِرَ عليه.

- وذلك أن بعض أئمتهم -كما أشرت- يأخذون المفردة ويُبَيِّنُونَها بيانا لُغويا عارٍ عن السِّياق وعن سبب النزول، وهذا مما يخالف بين طريقة أولئك المتأخرين وبين طريقة أئمة اللغة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن التابعين.

- يُعلِّق الإمام الطبري - رحمه الله - على قول أبي عبيدة في تفسير قول الحق سبحانه: {وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} في الآية السابقة [الأنفال: 11]، يقول: "وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة، أن مجاز قوله {وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} مَجازُهُ يُفْرِغ عليهم الصَّبر ويُنْزِلُه عليهم فيَثْبُتونَ لعدوهم. وذلك قولٌ خلافٌ لقول جميع أهل التَّأويل من الصحابة والتابعين، وحَسْبُ قولٍ خطأ أن يكون خلافاً لقول من ذكرنا، وقد بَيَّنَّا أقوالهم فيه، وأن معناه: ويثَبِّت أقدام المؤمنين بتَلْبيدِ المطرِ الرَّملَ حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحَوافِرُ دَوابِّهم" انتهى كلامه. فالطبري أنكر قول أبي عبيدة في الآية وأنه ذكر مَجازُهُ من دون ذكر لقضية سبب النزول.

- إذن، علينا أن نعتني بهذا الأمر وندرك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان، هم حملة التفسير اللغوي وهم أوائل من يُقدَّم في هذه المرتبة والطريقة من طرق التفسير، ثم بعد ذلك ننتقل إلى الأئمة الذين بدأوا بالتصنيف كأبي عبيدة، والزَّجَّاج، ومن جاء في تلك الطبقة.

وبهذا نكون أشرنا إلى الطرق الخمسة من طرق تفسير القرآن: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين، ثم تفسيره باللغة العربية.

وأسأل الله بمَنِّه وكرمه أن ينفعنا وإياكم بما قلنا وما سمعنا.

نصيحة: **أفضَل و أنْجَح طريقة للوصول إلى تطبيقات هذه الطرق في التفسير هي**: أن تأخذ كتابا في التفسير فتقرأه، وأُرَشِّح لكم - من شاء منكم بعد أن يسمع هذه الطرق - أن يأخذ **تفسير الطبري** فيقرأ فيه؛ أو يأخذ ت**فسير ابن كثير** فيقرأ فيه؛ سيستنتج بإذن الله طرق التفسير الخمسة من هذين التفسيرين. خذ التفسير اقرأ؛ رشِّح آية من الآيات التي تُشْكِلُ عليك ثم اقرأ في تفسير الآية، وقل هذا تفسير القرآن بالقرآن، وهذا تفسير بالسنة، وهذا تفسير بآثار الصحابة، وهذا بأقوال التابعين، وهو كثير، هذا مثلا تفسير باللغة العربية، ونحو ذلك، وستجد إن شاء الله خيرا كثيرا، وأفضل ما تجده من العلوم إذا طبَّقتَها ومارستها.

وفقني الله وإياكم لكل خير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله.**

قام بالمراجعة الأولى: **رغد.**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين. أرحب بكم أيها الأكارم المنتظمون على بركة الله في هذه الأكاديمية المباركة، أكاديمية تفسير، وفي برنامج السعدي منها. نسأل الله بمنّه وكرمه أن يتقبل منا ومنكم صالح القول والعمل، وأن يدلنا وإياكم على العلم الصحيح النافع، وأن يرزقنا العلم به والعمل به، إنه جواد كريم. ثم أما بعد. نكمل على بركة الله ما توقفنا عنده في اللقاء السابق، وقد توقفنا عند مسألة مهمة من مسائل أصول التفسير، وهي:

✓ الإجماع في التفسير

- الإجماع في اصطلاح الأصوليين: هو **اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي في واقعة.**[18]
- الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر الأدلة الشرعية بعد القرآن والسنة.
- وعليه، يقال بأن الإجماع حجة، فهو الأصل الثالث من أصول الشريعة بعد الكتاب والسنة. فإذا اتفق أئمة العلم في عصر من العصور على حكم ما أو نازلة ما على أنها حرام أو أنها جائزة، فيجب المصير إلى هذا القول ولا يجوز مخالفته. وإذا نُوزِعَ قول أحد من الأقوال بالإجماع، وجب ترك ذلك القول عند التحقق من صحة الإجماع، ثم الأخذ بالإجماع. وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]، وهذا الدليل من الأدلة التي أخذ بها أهل العلم في وجوب اللجوء إلى الإجماع؛ لأنه سبيل المؤمنين.
- أما الإجماع عند المفسرين؛ فيصِحّ أن يقال بأن الإجماع في التفسير يراد به **إجماع المفسرين -ممن يعتبر في التفسير قولهم - على معنى من المعاني في تفسير آية من كتاب الله.**
- فإذا حصل أن آية من الآيات نوزعت في أيامنا هذه بنزاع أو أتى - كما يصنع البعض اليوم - أتى بعضهم بحادثة أو اختراع جديد أو مكتشف حديث فقالوا بأن الآية الفلانية تدل عليه، ثم رجعنا إلى أقوال أهل العلم عبر القرون المتقدمة كلها فوجدناهم أجمعوا إجماعا يناقض ويضاد هذا القول ولا يجتمع معه بحال، فإن الحالة تكون بترك هذا القول وعدّه شاذا أو نشازا على أقوال أهل العلم، وهو محجوج بالإجماع، مع وجوب ملاحظة

---

[18] علم أصول الفقه، د. عبد الوهاب خلاف.

أنا إذا تحققنا من صحة الاستدلال بهذا المكتشف الحديث مع الآية الكريمة، ثم مع أقوال أهل العلم، ووجدنا أنها تجتمع ولا تتناقض، فحينها لا يقال بأن هذا يضاد الأقوال المتقدمة أو يناقضها.

لدينا عدد من المسائل في هذا الباب، الإجماع في التفسير، سنذكر ما يتيسر وما يهم منها إن شاء الله:

أولاً- ما هي أهمية الإجماع في التفسير، وما فائدته؟

لماذا ندعو إلى أن نتحقق أحيانا من إجماع الأمة، من قول المفسرين في الآية؟ أنت الآن وقفت على قول من الأقوال، هذا القول ستبحث هل قال به أحد بحيث يوافق قول جمهور الأئمة في التفسير؟ أم إنه قول شاذ ولم يتابع عليه قائله، حتى وإن كان القائل متقدما، فلماذا نبحث في فائدة الإجماع في التفسير؟
الفائدة من جمع إجماعات الأئمة في التفسير هي:

1. **حمل كلام الله تعالى على أصح الأقوال في التفسيرو أقواها ثبوتاً**، فالتثبت مطلب المفسر، وسلوك الأصح والثابت من أقوال المفسرين، فهذا هو الواجب على طالب العلم. والطريق إلى هذا الأمر هو أن تعرف قول الجمهور أو قول الأئمة، إما بالإجماع أو بالأكثرية، فتميز به القول الآخر، وهو القول الضعيف.
2. من فوائد البحث في الإجماعات، **أن تعرف مسالك الضعف في الأقوال الشاذة**. فالشاذ والبسيط، والقول الذي نقول بأنه لا يعضد لا بدليل ولا برأي، تجد أنه يتميز بهذا الشذوذ، بهذا الانفراد، فأنت إذا تتبعت الإجماعات علمت أن الذي يخالف النصوص الصريحة يخالف العقول الصحيحة، هذا لا يؤخذ به في التفسير، وهذه ملكة قد يتملكها الإنسان بعدما يمارس وبكثرة البحث في الإجماعات، البحث في الأقوال التي عليها أكثر الأئمة وما يقابلها.
3. من الفوائد: **أن تعرف إجماعات المفسرين فلا يكون هناك جرأة على نقضها أو معارضتها**. وهذا أمر مهم؛ لأن البعض ربما يكون عنده جرأة على أن يحمل القرآن على ما يريد، وهذا للأسف تفشى في وقتنا هذا - وقد أشرنا إليه ربما في لقاء سابق - مع كثرة الوسائل التقنية الحديثة وثورة الإعلام وامتلاك كل شخص وسيلة إعلامية، تجد أنه يجترئ فيفسر، وتأتي حادثة فيقول هذه من الأخبار التي دلتنا عليها نصوص الكتاب والسنة، ثم يتكلف في الربط. نحن لم نُكلَّف بأن نتكلف ونطوِّع الأدلة من الكتاب والسنة على واقعنا المعاصر؛ لأن أكثر الخلل الحاصل اليوم في تفسير القرآن هو بربط الواقع المعاصر - إما اكتشاف، أو حدث من الأحداث - بالأدلة من الكتاب والسنة، وهنا يقع الخلل.

ثانياً - كيف نصل إلى إجماعات المفسرين؟

بمعنى، كيف نصل إلى تلك الأقوال التي يطلق عليها أو تعطى وصف الإجماع؟ لمعرفة إجماعات المفسرين طريقان وكلاهما يعتمد على الاستقراء[19]:

1. **الطريق الأول:** أن ينص أحد المحققين (كابن جرير، وابن عطية، وغيرهما) على حكاية الإجماع بقوله: "هذا قول الجمهور من الأئمة"، أو كما يعبر ابن جرير الطبري: "قول الحجة من المفسرين". فإذا نص عليه، فلا شك أن هذا صريح وواضح. وحكمهم على مسألة في التفسير بالإجماع يدل على استقرائهم لأقوال السالفين لهم. ثم دور الباحث بعدهم التأكد من عدم وجود المخالف، وهذا لا يكون إلا بالاستقراء كذلك.
2. **الطريق الثاني:** أن تستقرئ أقوال المفسرين وتستنبط الإجماع من أقوالهم إذا لم يكن بينهم خلاف في الآية.

عندك مسألة من المسائل في التفسير، مثلا قول الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} [الدخان: 10]، فأنت تبحث، فتجد أن قول الأئمة، حتى من الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم، على أنه الشَرَط العظيم الذي هو من أشراط الساعة، خلافاً لمن قال بأنه الدخان الذي أصاب قريش. (طبعا مفرد "أشراط" في أشراط الساعة هو شَرَط كما نبّه عليه أئمة اللغة ولا يقال شَرْط؛ لأن أشراط مفردها شَرَط، وشروط مفردها شَرْط). فإذن، استقراء الأقوال عند الخلاف يجعلك تتحقق من المسألة وتبحث، ثم تقول أنا لم أجد من قال بهذا القول إلا فلان، إما متقدم أو متأخر، وهنا تعلم بأن قول الجمهور أو قول الأكثر الذين لم ينفرد منهم إلا هذا، هو إجماع على معنى الآية وتخرج بهذه النتيجة.

ثالثاً - قلة مسائل الإجماع في التفسير:

من المسائل التي تتصل بباب الإجماع، نستطيع أن نقول: بأن الإجماع له صيغ كثيرة. ليس بالضرورة أن ينص المفسر على أن هذه الآية فيها إجماع، وهذا ليس من عمل المفسرين في الغالب كما نجده عند الفقهاء؛ لأنه أحيانا عند الفقهاء ما تمر مسألة من المسائل إلا وتجد أن الأصول الأربعة في الأدلة مستعملة، (الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس)، ولهذا تجد ذكر الإجماع حتى مع ذكر الكتاب والسنة، فتجد من الفقهاء من يقول: "أجمعت عليه الأمة"، أو: "لا نعلم فيه خلافاً". هذه كلها تدل على ضرورة البحث في إجماع الأئمة في فروع الدين.

أما في التفسير، الحقيقة أنك لا تجد هذا كثيراً إلا في مسائل ربما يقع فيها أحيانا التوجيه، وهو الذي يسمى أحيانا في الخلاف (التناقض)؛ الخلاف الذي لا تستطيع أن تجمع فيه قولاً مع قول آخر. فالتعبير هنا ليس على طريقة واحدة، وإنما يحتاج أن يتلمسه المفسر بشكل واضح، وهو ربما يكون أوضح في بعض الكتب، كجامع البيان عند

[19] فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار.

ابن جرير الطبري، وتفسير ابن عطية، وبعض التفاسير التي من قرأ فيها وجد نقلا لهذا الإجماع، وإن كنت أقول أنه أقل بكثير مما تجده في كتب الفقه.

رابعاً - الإجماع في التفسير قد يكون إجماعاً على لفظٍ، أو إجماعاً على معنى:

من مسائل الإجماع في التفسير، أن **الإجماع قد يكون على لفظ من الألفاظ، أو قد يكون على معنى من المعاني**.

1. أمثلة **الإجماع على لفظ:**

* قال الله جل وعلا: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: 64]، قال ابن عطية: "أما بشرى الآخرة فهي الجنة قولاً واحداً". وهذا أيضا من طرق تعبير المفسرين على الإجماع، جملة: "قولاً واحداً".
* قال ابن عطية في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} [فصلت: 41]، قال: "والذكر: القرآن بإجماع".

2. أما **الإجماع على المعنى:** قد تختلف عبارات المفسرين في بيان هذا المعنى. وقد أشار شيخ الاسلام رحمه الله في مقدمته الى هذا النوع. ومثاله: "الصراط المستقيم" في قوله جل وعلا: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6]، تجد أن الكلام عن معنى الصراط المستقيم متنوع؛ منهم من يقول هو الإسلام، ومنهم من يقول هو معالم الدين، ومن يقول هو طريق الجنة، ومن يقول هو ما كان عليه الصحابة... إلى آخره من العبارات التي في واقعها تتفق ولا تختلف، فإذا وجدنا أن هذا المعنى متفقٌ عليه وأنه لم يأت أحدٌ بقول، مثلاً بأن الصراط هو الصراط المنصوب على جسر جهنم، فحينها تعلم بأن الإسلام، شرائع الاسلام، ما يتصل بأركانه، بفروعه، بعمومه، هذه كلها يراد بها الصراط المستقيم، سبيل المؤمنين الذي عليه أنبياء الله ورسل الله، فما دام أن الأقوال كلها تهدف وتنصب في معنى واحد، فنقول أن هذا إجماع على المعنى.

خامساً - تنبيهات حول الإجماع في التفسير:

من المسائل المهمة التي ينبه عليها في باب الإجماع:

1. **يحكي بعض المفسرين إجماعاً في لفظ من الآية لا يتوقع فيه خلاف**، وذلك لشدة ظهور المعنى؛

* كقوله تعالى: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [الأنعام: 154]، قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "الكتاب هو التوراة بالإجماع"؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك، مثلا، قول بأن الكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام هو القرآن. فهنا يقطع مثل هذا القول على بعض المتأولين والمتربصين بنصوص القرآن، كالشيعة مثلاً الذين يأتون ببعض المعاني فيفرضون فيها قولاً هو في واقع الأمر بعيد كل البعد عن مشكاة النبوة، فعلى سبيل المثال، يقولون مثلاً - مع أن هذا لم أطلع عليه ولم أقف عليه - فيقولون {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ}، مثلاً، لو

قالوا بأنه علم علي رضي الله عنه، هذا فعل الشيعة كثيراً في نصوص الكتاب والسنة، فمثل هذا القول من هذا الإمام رحمه الله قاطعٌ على أولئك المتأولين.

* وفي قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ} [البقرة: 127]، قال ابن عطية: "البيت: الكعبة بالإجماع".

فإذن، حكاية الإجماع أحيانا، في مثل هذه الآيات التي لا يُتَوَقَع فيها خلاف إطلاقًا.

2. **يذكر بعض المفسرين إجماعات غير داخلة في تأويل الآية وتفسيرها**؛ كالإجماعات الفقهية، أو الإجماع على مسألة من مسائل علوم القرآن، فمثلا يقول هذه السورة مكية بالإجماع، أو هذه الآية مكية بالإجماع، مثلاً في آية من آيات الحج يقول: وهذا حكمه أنه ركن في الطواف مثلاً، أو ركن من أركان الحج بلا خلاف. فمثل هذه الإجماعات يجب أن ننظر فيها، هل هي إجماعات متعلقة بالتفسير، أم بعلوم القرآن، أم بالفقه وفروعه؟ فلا نخلط الأمور، حتى وإن وجدت في كتب التفسير، فنضيف كل إجماع إلى بابه؛ فإن كان يتصل بالمعنى، إن كان يتصل بالمفردة واللفظة، فهذا متصل بالتفسير. لكن بمكية الآية، بمدنيتها، باسمها، فهذا يتصل بعلوم القران.

وهذا عند التفصيل الذي نراه اليوم واقعاً في علوم الشريعة، وإلا فنحن نعلم بأن الشريعة الكريمة إنما كانت جملة واحدة وكلية، كما يعبر الشاطبي رحمه الله، كلية واحدة، ولهذا لا يمكن أن ينفع طالب العلم إلا إذا كان عنده حظ من هذه العلوم وحسن نظر في الأدلة فيفيد ويستفيد.

3. يجدر التنبيه أيضاً على أن **الإجماع عند بعضهم هو اتفاق الأكثر**، فابن جرير إذا قال مثلا: "قول الحجة من المفسرين"، إنما يريد به الأكثر من الأئمة. ولذا ينتبه لمذهب حاكي الإجماع في الإجماع.

سادساً - بعض الإجماعات في التفسير:

نسوق هنا بعض الأمثلة على الإجماعات المتصلة بالتفسير على وجه التحديد، لا بغيره:

- في قول الله جل وعلا: {لَا رَيْبَ فِيهِ}، قال ابن ابي حاتم: "الريب: الشك، وليس في هذا الحرف اختلاف بين المفسرين".
- في قوله تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ} [البقرة: 268] قال ابن القيم: "الفحشاء هو البخل إجماعاً"، وهذا مهم في مثل هذه الآيات لأن الفحشاء وردت القرآن في مواضع كثيرة، ما فحش من القول، ما غلظ منه، أحياناً في الزنى، فالقول هنا بأنه البخل إجماعا هذا مهم جداً للمفسّر.
- في قوله تعالى {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق: 1]، قال الإمام الماوردي: "يعني الرجعة في قول الجميع".

- في قوله تعالى {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} [النجم: 57] قال ابن عطية: "عبارةٌ عن يوم القيامة بإجماع المفسرين".
- في قوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا} [البقرة: 143]، قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "الخطاب له صلى الله عليه وسلم إجماعا".

هذه بعض الأمثلة التي تدل على عناية المفسرين بالإجماع. وكما قلت لكم أنها إما أن تتصل بالمفردة، أو بالمعنى، وهذا هو المقصود بما يسمى بإجماع المفسرين وإيراده في باب الإجماع في التفسير. وسيأتي معنا إن شاء الله درس قادم يقابل هذا الباب، وهو "الاختلاف في التفسير"، عندنا خلاف في التفسير وعندنا إجماع في التفسير، يتقابلان؛ هذا فيه مسائل وهذا فيه مسائل.

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخ في الله.**
✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
✍ **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الخامسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. ثم أما بعد، فأرحب بكم في هذا اللقاء الخامس عشر من سلسلة حلقات أصول التفسير والتي تنتظم في برنامج السعدي، وهو أحد البرامج التي كلفتم بها في أكاديمية تفسير. أسأل الله أن يورثنا وإياكم علمًا نافعًا وعملاً صالحًا. الحديث المتقدم كان عن الإجماع في التفسير، وربما أشرنا إلى ثمراته، إلى طرق الوصول إليه، إلى وسائل التعبير عنه، إلى بعض الأمثلة والنماذج الدالة عليه. الإجماع يقابله الاختلاف في التفسير. حديثنا اليوم إن شاء الله سيكون على هذا الباب: **الاختلاف في التفسير**.

✓ اختلاف السلف في التفسير

ما هي حقيقة اختلاف السلف في التفسير؟ هل هو على درجة واحدة؟ هل يصح إذا قرأت مثلاً قولاً لقتادة وقولاً لعطاء وقولاً لسعيد بن جبير وقولاً لعكرمة وقولاً لمجاهد والحسن البصري ومحمد بن سيرين، هل كل هذه الأقوال تتفق أم تختلف؟ يقينًا لن يتفقوا على لفظٍ واحد. هل هذه الأقوال المنقولة التي نجدها عند ابن جرير بكثرة، والتي يختصرها ابن كثير، هل نسمي هذا اختلافًا واقعيًا؟ أم أن هناك كلامًا آخر لتوجيه تعدد هذه الأقوال؟

أولاً- أنواع الاختلاف في التفسير:

يمكن تقسيم الاختلاف في التفسير إلى قسمين، وهذا أمر مهم جدًا وضروري وأصل من أصول التفسير يجب الانتباه إليه ومما يجب أن يُحكِمه طالب علم التفسير.، وهما:

- الأول: اختلاف التنوع
- الثاني: اختلاف التضاد

وقد وقع هذان القسمان في تفسير السلف إلا أن **اختلاف التنوع هو الأكثر واختلاف التضاد قليل**. نريد أن نلقي الضوء بشكل أوسع على هاتين المسألتين، فنبدأ بآراء العلماء في هذه المسألة:

- ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه *مقدمة في أصول التفسير* مسألة اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف للقرآن الكريم، وأشار في باب التضاد إلى أنه أقل من اختلاف التنوع. وقال رحمه الله: "وَجَمْعُ عِبَارَاتِ السَّلَفِ فِي مِثْلِ هَذَا نَافِعٌ جِدًّا؛ فَإِنَّ مَجْمُوعَ عِبَارَاتِهِمْ أَدَلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ عِبَارَةٍ أَوْ عِبَارَتَيْنِ وَمَعَ هَذَا فَلَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَافٍ مُحَقَّقٍ بَيْنَهُمْ كَمَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْأَحْكَامِ".

- وقد أشار إلى وجود اختلاف التنوع عند السلف: إسحاق، وسفيان بن عيينة، والحسن، نقل ذلك عنهم الإمام محمد بن نصر المروزي. وقد أشار الإمام محمد بن نصر إلى أوجه التفسير في قول الله تعالى: {وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} معلقا: "لأن الآية الواحدة يفسرها العلماء على أوجه، وليس ذلك باختلاف."
- قال سفيان بن عيينة: "ليس في تفسير القرآن اختلاف إذا صح القول في ذلك."
- وقال رحمه الله: "أيكون شيءٌ أظهر خلافًا في الظاهر من الخَنَس". قال عبد الله بن مسعود: هي بقر الوحش. وقال علي: هي النجوم. قال سفيان: وكلاهما واحد؛ لأن النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إنسيا خنست في الغيطان وغيرها، وإذا لم تر إنسيا ظهرت. قال سفيان: فكل خنس.

ثانياً - تعريف اختلاف التنوع واختلاف التضاد:

1. **اختلاف التنوع: هو أن تُحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معانٍ صحيحة غير متعارضة.**
اختلاف التنوع معناه باختصار أننا نستطيع أن نحمل هذه الأقوال وإن تعددت في بابٍ واحد. بالإمكان أن تجمع عشرين قولاً في بابٍ واحدٍ وكلها لا تتناقض، ذلك أنه ربما يفسر المفسر هذا بأسلوبه، بلغته، والآخر يأتي بلغة أخرى، بطريقة أخرى، فلا يمتنع أن نحمل القولين على باب واحد. كما جاء في تفسير قول الله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6].

2. **اختلاف التضاد: هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر.** فاختلاف التضاد يعني أن يتقابل قول مع قول آخر لا أستطيع أن أجمع بينهما في مسألة واحدة.

ثالثاً - أنواع اختلاف التنوع:

يظهر من تقسيم شيخ الإسلام لاختلاف التنوع في التفسير أنه أربعة أقسام:

1. أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى. يعني يتفقون وإن اختلفت العبارات.
2. أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال. مثل تفسيرهم لقول الله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6]: الإسلام، القرآن، ما كان عليه الصحابة، ... كل منهم يفسره بنوع من أنواعه.
3. أن يكون اللفظ محتملاً لأمرين، إما لأنه مشترَك في اللغة، أو لأنه متواطئ.
4. أن يعبروا عن المعنى بألفاظ متقاربة.

قد وضَّح شيخ الإسلام رحمه الله في مقدمته هذه الأنواع بالأمثلة، ولعلنا نذكر بعضاً منها.

1. **النوع الأول: أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى. يعني يتفقون وإن اختلفت العبارات.**

- قال شيخ الإسلام: أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

- وقال الشاطبي نحوًا منه، حيث قال: أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى بحيث ترجع إلى معنى واحد، فيكون التفسير فيها على قول واحد، ويوهم نقلها على اختلاف اللفظ يظن أنه خلاف محقق.

- فيقول شيخ الإسلام أن هذا النوع يأتي فيما يكون له أكثر من وصف دال عليه، وهذا وارد في اللغة؛ مثل كلمة **"السيف"** إذا أنت نظرت إلى معنى السيف في اللغة تجد أنه يُسمى بالمهند، والصارم، فالتعبيران وإن اختلفا فإنهما يدلان على ذات واحدة. وكذلك مثلاً كلمة "الأسد" تجد له أكثر من اسم، فهذا التنوع لا يدل على خلاف في الاسم الذي هو "الأسد". ولكن هذا موجود في اللغة العربية، وكل ذلك لا يتعارض ولا يتناقض.

- مثَّلَ شيخ الإسلام لهذا النوع باختلاف عبارة المفسرين في قوله تعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [الفاتحة: 6]، فقد قال بعضهم "القرآن"، يعني اتّباعه، وقال بعضهم " هو الإسلام". قال شيخ الإسلام: ((فَهَذَانِ الْقَوْلَانِ مُتَّفِقَانِ؛ لِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ هُوَ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ كُلٌّ مِنْهُمَا نَبَّهَ عَلَى وَصْفٍ غَيْرِ الْوَصْفِ الْآخَرِ، كَمَا أَنَّ لَفْظَ "صِرَاطٍ" يُشْعِرُ بِوَصْفٍ ثَالِثٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ " السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ ". وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: "هُوَ طَرِيقُ الْعُبُودِيَّةِ". وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: "هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" صلى الله عليه وسلم. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَشَارُوا إلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ؛ لَكِنْ وَصَفَهَا كُلٌّ مِنْهُمْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا.)) انتهى كلامه.

- ومن أمثلة هذا النوع أيضاً ما جاء في تفسير قول الله تعالى: **{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}** [الطور: 9]، "**المور**" لفظ يدل على تردد ويكون بذهاب ومجيء سريع على وجه الاضطراب. هذا من جهة النظر في المعنى اللغوي للكلمة. وجاء في تفسير السلف قولهم: تدور السماء دورًا، مورها: تحريكها، مورها: استدارتها وتحريكها لأمر الله، ومورها: موج بعضها في بعض، ومورها: تشققها. عندنا الآن أكثر من تعبير عن هذا اللفظ وهو "المور". يقول ابن عطية رحمه الله: "وهذه كلها تفاسير بالمعنى؛ لأن السماء العالية يعتريها هذا كله". ولعلك لاحظت أن في هذه الأقوال ما لا يدل عليه اللفظ مباشرة، لكن المفسر عبر شيء سيقع للسماء وإن لم تدل عليه هذه اللفظة. وهذا مذكور في القرآن: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ}، وفي آية أخرى: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}، {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ}، يعني كأن الكون كله يعتريه ما عبر عنه السلف بهذه العبارات. فيقول ابن عطية بأن كل هذه الأمور واردة، التعابير التي عبر عنها السلف واردة لأن السماء يعتريها ما يعتريها كما أخبر الله تعالى.

- ومن أمثلة اختلاف التنوع أيضاً تفسيرهم لقول الله تعالى: {وَكَأْسًا دِهَاقًا} [النبأ: 34]، فقد قيل في معنى **"دهاقًا"** ثلاث عبارات: قال بعضهم: ممتلئة، وقال بعضهم: متتابعة، قال بعضهم: صافية. طيب، لا يمتنع في نعيم الجنة أن تكون صافيةً وأن تكون ممتلئةً. هذا لا يمتنع لأن أهل الجنة يستحقون هذا كله.

2. النوع الثاني: أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال.

- وهذا يسمى عند المفسرين **"تفسير بالمثال"**.
- يقول الشاطبي: "أن يُذكر في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء، أو عن أحد من أصحابه أو غيرهم، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، ثم يذكر غير ذلك القائل أشياء أخرى مما يشمله اللفظ أيضاً، فيَنُصهما المفسرون على نصهما، فيظن أنه خلاف".
- أحيانًا تجد أن التفسير بالمثال يأخذ طرفاً مما يصح تطبيقه في الآية.
- قول الله جل وعلا: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60]، جاء في صحيح مسلم: عن عقبة ابن عامر قال: "سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وهو على المنبرِ، يقول: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. ألا إنَّ القوةَ الرميُ. ألا إنَّ القوةَ الرميُ. ألا إنَّ القوةَ الرميُ". قد يأتي قائل اليوم فيقول مثلاً أن القوة هي الطيران الحربي الذي يجب أن يُهتدى إليه وإلى طرقه وإلى وسائل التعامل معه عبر هذه الكليات والانضمام فيها حتى إذا طرأ طارئ واعتدى علينا العدو تكون عندنا هذه القوة ونكون أيضًا ممن أعد لهم واستعد. ويقول قائل آخر: كيف يتم تفسير القوة بالطيران؟ وهل هذا خلاف تفسير السلف؟ نقول: لا، ليس خلاف قول السلف، لأنه فرد من أفراده، والنبي صلى الله عليه وسلم لما قال القوة، ما حشر المعنى كله في هذه القوة فقط، فالرمي، والجري، حتى الصعود والتسلق على الجبال قوة، كل هذه المعاني تدخل في القوة. والنبي صلى الله عليه وسلم إنما عبّر عنها بالمثال.
- في قوله تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: 8]، قيل في **"النعيم"** هنا أقوال منها: الأمن والصحة والأكل والشرب، وقال آخرون: تخفيف الشرائع، وقال آخرون: الإدراك بحواس السمع والبصر. ومثَّلَ له الشاطبي رحمه الله بالمنّ فقال: ((كما نقلوا في المنّ أنه خبز رقاق، وقيل: زنجبيل وقيل: شراب مزجوه بالماء، وقيل غير ذلك. فهذا كله يشمله اللفظ لأن الله منّ به عليهم، ولذلك جاء في الحديث: "الكمأة من المنّ الذي أنزله الله على بني إسرائيل" - من تبعيضية - فيكون المنّ جملة نِعَم ذكر الناس منها آحادًا)). إذًا، النعيم نقول بأنه يشمل هذا وغيره مما أشار إليه المفسرون. ومن هنا نعلم طريقة المفسر في محاولة جمع الأقوال في معنى واحد.

هذان النوعان السابقان، الأول والثاني، هما الغالبان على تفسير سلف الأمة، كما قال شيخ الإسلام.

3. النوع الثالث: أن يكون اللفظ محتملاً لأمرين، إما لأنه مشترك في اللغة، أو لأنه متواطئ.

- إذا احتمل اللفظ معنيين بسبب أن هذا اللفظ من قبيل المشترك اللفظي أو من الألفاظ المتواطئة، فيُقال بأن تفسير السلف لهذا اللفظ هو من اختلاف التنوع. فما المقصود بالمشترك وبالمتواطئ؟

((الألفاظ في اللغة على أنواع، ومنها:

* الألفاظ التي هي من قبيل **المشتَرَك اللفظي**: هو ما اتحد فيه اللفظ واختلف المعنى. وهي أن يأتي لفظ واحد وله أكثر من معنى، مثل: كلمة **(عَسْعَسَ)** بمعنى: أقبل وأدبر، وكلمة **(قَسْوَرَةٍ)** بمعنى: الأسد والرامي، وكلمة (قُرْء) بمعنى: حيض وطهر.
* **والألفاظ المتواطئة**، وهي: أن يوجد اللفظ له معنى واحد، وهذا المعنى له أفراد كثيرون. مثل: كلمة **(إنسان)**، فإنها تصدق على زيد وعلى صالح، وعلى ناصر، وعلى محمد، وعلى هند وعلى علياء، وعلى زينب، وغير ذلك، هذا اسمه متواطئ لفظي. تأتي لفظة واحدة تصدق على أفراد كثيرين، ومثل: كلمة **(بلد)** تطلق على مكة وجدة والمدينة والرياض، ومثلها كلمة **(مدينة)** أيضاً فهي متواطئ لفظي. إذاً اللفظ الذي يصدق معناه على أفراد كثيرين يسمى متواطئ لفظي. وعليه فالضمير أيضا من الألفاظ المتواطئة لأنه يصدق على كثيرين.))[20]

◆ من أمثلة المشترك اللفظي في القرآن:

* لفظ "**قسورة**" في قول الله تعالى: **{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}** [المدثر: 51]، قيل: الرامي، وقيل: الأسد، وقيل: النبل.
* لفظ "**عسعس**" في قول الله تعالى: **{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}** [التكوير: 17]، قيل: أدبر، وقيل: أقبل.

◆ من أمثلة المتواطئ في القرآن: ويشمل المتواطئ:

(أ) الضمير الذي يحتمل عوده إلى شيئين، مثال ذلك:

* قوله تعالى: **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}** [النجم: 8-9]، قول من أقوال أهل التفسير: أن الضمير يعود إلى جبريل عليه السلام، وقول آخر يقول: إن الضمير يعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الضمير من قبيل الألفاظ المتواطئة، وهو اللفظ الذي يصدق على كثيرين. فتفسير الضمير بجبريل عليه السلام، أو بمحمد صلى الله عليه وسلم، مما يحتمله اللفظ؛ لأن اللفظ من قبيل الألفاظ المتواطئة.

---

[20] منقول من دروس الشيخ الدكتور عمر بازمول في شرحه لكتاب "مقدمة في أصول التفسير" لابن تيمية.

* ومثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: 6]، فالضمير في قوله "فَمُلَاقِيهِ" يحتمل عوده إلى الكدح وإلى الرب.

(ب) أسماء الأجناس: مثل تفسير لفظ "**الفجر**" في قوله تعالى: {وَالْفَجْرِ} [الفجر: 1]، قيل: عام في كل فجر، وقيل: أول فجر في ذي الحجة، وقيل: أول فجر من أيام السنة.

(ج) الأوصاف: مثل لفظ "**الخنس**" في قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ} [التكوير: 15]، فقيل: هو بقر الوحش والظبأ، وقيل: هو الكواكب والنجوم.

- وفي هذا النوع يمكن أن تكون هذه الأقوال داخلة ضمن معاني الآية، فتحمل عليها جميعا، كما قال شيخ الإسلام في مقدمته، ويمكن أن يكون أحدها راجحاً فيكون هو المختار وما عداه فهو مرجوح.

4. النوع الرابع: أن يعبر المفسرون عن المعنى بألفاظ متقاربة:

- مثل قول الله جل وعلا: {أَنْ تُبْسَلَ} [الأنعام: 70]، قيل: تحبس وقيل: ترتهن.
- وقوله تعالى: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: 38]، قيل: نَصَب، وقيل: عناء، وقيل: سَأَم.
- هذا كله مما يدخل في تفسير التنوع ولا يضر معه هذا الاختلاف.

رابعاً - أسباب الاختلاف في التفسير:[21]

- من المسائل المهمة في هذا الباب: مسألة: ما هي أسباب الاختلاف في تفسير كلام الله جل وعلا؟ لماذا اختلف المفسرون في تفسير كلام الله جل وعلا؟
- نحن نعلم أن الاختلاف سنة من السنن التي شاءها الله جل وعلا وأرادها في عباده، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. وقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام. وهذا الاختلاف له أسباب وعلل، فكل عالِم له وجهة هو موليها في الاستنباط من الآية، وفي الحديث عن الآية؛ ولهذا يتعدد الاختلاف في التفسير. ربما يكون اختلافًا في تفسير آية تتصل بذات الله، وربما يكون اختلافًا يتصل بالأحكام الفقهية، وربما يكون اختلافًا يتصل بلغة القرآن وهي اللغة العربية، ربما يكون الاختلاف متصلاً بالرواية والنقل، هل صح أو لم يصح الأثر أو الحديث فيقع الاختلاف بسببه.

[21] يرجع إلى كتاب "فصول في أصول التفسير" للدكتور مساعد الطيار (ص63 – ص69) لمزيد من التفاصيل والأمثلة حول هذا الموضوع.

- يُقال أن **أهم الأسباب التي دعت إلى الاختلاف ترجع إلى:**

1. الأول: اختلاف فهوم المجتهدين من العلماء
2. والثاني: أن يكون النص محتملاً لأكثر من معنى.

إذًا الاختلاف في تفسير السلف منه ما يرجع إلى المجتهد، ومنه ما يرجع إلى النص.

فيما يلي نذكر **بعض أسباب الاختلاف بين مفسري السلف**، ونمثِّل لها بأمثلة يسيرة.

1. **الاشتراك:** (**المشترك اللفظي**) وهو اللفظ الدال على أكثر من معنى في لغة العرب، وقد أشرنا إلى ذلك السبب قبل قليل، وهذا موجود في كتب التفسير. وتفصيلاً لما سبق ذكره نقول بأن:

* المشترك قد يكون من أحرف التضاد، وقد لا يكون.
* وإذا كان من أحرف التضاد فقد يجوز حمل الآية على المعنيين المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية ويكون هذا إذا اختلف المحل.
* وقد يمتنع حمل الآية عليهما معاً، ويلزم القول بأحدهما نفي الآخر. وبالمثال يتضح المقال:

(أ) من المشترك المتضاد الذي يجوز حمل الآية على معنييه المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية:

* لفظ "**عَسْعَسَ**" في قول الله تعالى: **{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}** [التكوير: 17]، قيل: أدبر، وقيل: أقبل. بالأول "الإقبال"، قال ابن عباس، وقتادة، وابن جبير. وبالثاني "الإدبار"، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأيضا قيل في رواية أخرى عن عبد الله ابن عباس. ومثل هذا يجوز حمل الآية فيه على المعنيين المتضادين ولا يقال إن هذا خلاف يؤثر في المعني. فسواء أقبل الليل أو أدبر، فالمراد أن الله سبحانه وتعالى عليم ومحيط به. فيكون لفظ "عسعس" دالاً على أن الإقسام مراد به أول الليل وآخره، فدل على هذين المعنيين بلفظة واحدة.
* ومن المشترك الذي من أحرف التضاد، وهو كثير:

لفظ "**العتيق**" في قول الله تعالى: **{وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}** [الحج: 29]، قيل العتيق بمعنى: القديم، وهو قول الحسن، وابن زيد. وقيل العتيق: المعتق من الجبابرة، بمعنى أنه محرر لا يملكه أحد، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن الزبير. وهذا مما يجوز حمل الآية على معنييه.

(ب) من المشترك المتضاد الذي يمتنع حمل الآية على معنييه، بل يلزم من القول بأحدهما نفي الآخر:

* لفظ "**القرء**" في قول الله تعالى: **{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}** [البقرة: 228]، فقد ورد في لغة العرب بمعنى **الطهر**، وهو قول زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري.

وورد بمعنى **الحيض**، وهو قول عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، وسفيان الثوري، والسدي، وغيرهم.

فمع أن هذه الكلمة وإن كان فيها اشتراك لفظي إلا أن هناك أثرًا سيترتب على هذا الاختلاف في المعنى. هذا الأثر هو من المنظور الفقهي سيترتب عليه اختلاف موعد انتهاء عدة المرأة المطلقة إذا أخذنا القرء بمعنى الطهر، عن هذه العدة إذا أخذنا القرء بمعنى الحيض.

وفي هذا المثال يمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي الآخر، فالمطلوب من المرأة أن تتربص إما ثلاثة أطهار، أو ثلاث حِيَض.

(ج) الاشتراك قد يكون في الأسماء، وقد يكون في الأفعال، ومنه:

* من أمثلة الأسماء: **"قسورة"**: بمعنى: الأسد، وبمعنى: والرامي. و**"الصريم"**: بمعنى: النهار، وبمعنى: الليل.
* ومن أمثلة الأفعال: **"ظن"**: بمعنى: الشك، وبمعنى: اليقين.

2. **أن يدور حكم للآية بين الإحكام والنسخ**، فيحكم أحدهم بالنسخ، ويحكم الآخر بالإحكام، ومن أمثلته:

قول الله تعالى: **{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ}** [البقرة: 221]، قيل هي منسوخة بقوله تعالى: **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ}** [المائدة: 5]. وهذا مروي عن الحسن، وعكرمة، والزهري. وقيل هي محكمة لا نسخ فيها.

3. **أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص**، ومن أمثلته:

قول الله تعالى: **{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ}** [البقرة: 221]، هنا خلاف بين العلماء في هل حكم هذه الآية عام أم خاص. قيل هذه الآية حكمها عام، ثم خصصها قوله تعالى: **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ}** [المائدة: 5]، وهذا مروي عن عثمان، وحذيفة، وجابر، وابن عباس، وقتادة، وابن الجبير. وقيل إنها ليست مخصصة بل المشركات هنَّ عابدات الأوثان من العرب وغيرهم ممن ليس لهم كتاب، وهذا مروي عن قتادة، وسعيد بن جبير.

4. **أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف، ولا يحدد موصوفه في الآية**، فيحمل كل مفسر هذا الوصف على ما يحتمله من الموصوفات، ومن أمثلته:

قول الله جل وعلا: **{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا}** [النازعات: 1-2]، قيل في هذه الأوصاف: هي للملائكة، وقيل بأنها للأنجم، وقيل للموت... الخ. وهذه كلها مما تجعل الأمر لا يمكن أن يجتمع في باب واحد، وذلك لأن هذه اللفظة تحتمل صلتها بهذه الأقوال التي ستجدونها إذا راجعتم كتب التفسير.

وهناك أسباب أخرى للاختلاف في التفسير، منها:

5. الاختلاف في مفسر الضمير (ذكرنا له بعض الأمثلة في أثناء شرحنا للألفاظ المتواطئة)
6. أن يكون في الجملة حذف ويحتمل في تقديره أكثر من معنى.
7. أن تحتمل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة.
8. تنوع الاستعمال العربي للفظة في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة.
9. أن يكون في الآية حرف له قراءتان.

مما ينبه عليه في مسألة الاختلاف في التفسير، والحقيقة أن الكلام فيه ربما يطول، ينبه إلى أن هذه المسائل وأمثالها هي التي تورث عند العلماء الاختلاف في تفسير الآية الكريمة. مما أيضا أحاول أن أختصره لكم في باب اختلاف التناقض، أن يقال بأن مسألة الاختلاف تحتاج إلى تمحيص وعلم بدلالة الألفاظ، علم بالناسخ والمنسوخ، علم باللغة العربية، لأن كل هذه الأمور تؤثر في دلالة الآية وتؤثر في معناها.

ولعلنا في اللقاء القادم نُعَرِّج على تمثيل لما يرد عند المفسرين من الاختلاف العقدي، أو الاختلاف الفقهي. وأيضًا نذكر ما هو واجب طالب العلم إذا نظر في هذه التفاسير ورأى هذه الاختلافات المذكورة فيها، علمًا بأن النظر في الاختلافات في التفسير تحتاج إلى مستوى متقدم في علم التفسير حتى لا يقع عنده اللبس فيما يقرأ، وذلك أن يبني بناءً صحيحًا صالحًا ليطوره في القراءة في كتب التفسير المتقدمة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **مروة الماحي**.

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي:
رئيفة درويش

✍ تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب ما قمت به من إعادة صياغة المحاضرة بالكامل، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية معتمدة في ذلك على كتاب "مقدمة في أصول التفسير" لابن تيمية، وكتاب "فصول في أصول التفسير" للدكتور مساعد الطيار، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.
رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة السادسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. ثم أما بعد، فأرحب بكم أيها الإخوة الأكارم المنتظمون في أكاديمية تفسير في برنامج الإمام السعدي رحمه الله، وفي هذه المادة مادة أصول التفسير، سبق حديث طويل في حلقات متفرقة عن أهم المسائل المرتبطة بهذا العلم، وقد انتهى بنا المطاف عند قضية **الاختلاف في التفسير**، وأشرنا إلى أنواع الاختلاف وأنه ينقسم إلى قسمين: خلاف تنوع وخلاف تضاد، وأن خلاف التنوع هو الأكثر والأشهر وهو الذي تمتلئ به كتب التفسير، وأما خلاف التضاد فهو قليل ومحصور بالنسبة لخلاف التنوع.

وخلاف التضاد هو الذي نستطيع أن نقول بأنه لا يجتمع فيه القول الأول بالقول الثاني إطلاقا؛ فلا بد أن نختار أحد القولين بمرجّحٍ ونذكر هذا المرجح، يعني إذا اخترنا القول الثاني على القول الأول قلنا بأن هذا الاختيار له مسوّغ، وهذا المسوغ يُذكر، كأن يكون مثلا القول الأول لم يطلع فيه أهله وأصحابه على أدلة القول الثاني، كأن يكون أحد الحديثين الذين يستدل بهما أصحاب القول الأول أو الثاني ضعيفاً، فيُرَدّ بحديث صحيح أو بإجماع ينقله أحد كبار أئمة العلم، فهنا نقول بأن هذه مسوغات للترجيح .وعلى أية حال فإن الذي توقفنا عنده من خلال حديثنا السابق هو في **أشهر أسباب الاختلاف في التفسير** .

✔ أشهر أسباب الاختلاف في التفسير

يمكن أن نجمعها في ثلاثة أسباب وهي:

1. الاختلاف العقدي.
2. الاختلاف الفقهي.
3. الاختلاف العائد إلى الرواية والنقل.

أولاً - الاختلاف العقدي

في تعليقه على نشأة التفسير بالرأي المذموم أو تفسير الفرق المبتدعة قال الدكتور محمد حسين الذهبي: "ظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة، وكان القرآن هو هدفهم الأول الذي يقصدون إليه جميعاً، كلٌ يبحث في القرآن ليجد فيه ما يقوي رأيه ويؤيد مذهبه، وكلٌ واجد ما يبحث عنه ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية لمذهبه والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما

يصادمه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضة معه، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يتسعون في حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم، بما أخرجوه للناس من تفاسير حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم ومقتضى نزعاتهم ونِحلهم!!"[22]

ومن هنا ظهرت الاختلافات بين المفسرين في تفسيرهم لآيات العقيدة، ما يتصل بالاعتقاد، اعتقادنا في الله جل وعلا. وإذا قلنا الاعتقاد في الله جل وعلا فهو على ما نعلمه فيما يلزمنا من توحيد الله سبحانه وتعالى في:

* **توحيد الربوبية:** وهذا قليل النزاع فيه، بل لا يكاد يذكر فيه نزاع، حتى مع المشركين؛ لأن المشركين كما قال الله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر: 38].
* **توحيد الألوهية:** وهو صرف العبادة لله وحده سبحانه، وهذا الذي فيه النزاع، والخلاف.
* **توحيد الأسماء والصفات:** وهذا الذي اتسع فيه الخلاف ممن دخل في دائرة الإسلام فجادل في بعض مدلولات الكتاب والسنة إما تحريفًا أو تعطيلًا.

وعلى أية حال، مَن تأَوّل النص عن الله تعالى على غير مراد الله سبحانه وتعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه قد عطّل النص، حتى وإن قال: المراد به كذا، أو المراد به كذا، فإن مراده هذا حتى وإن لم ينفِ الآية، أو يقول بأنها ليست بصحيحة أو هي مردودة، فنقول: بأن رد دلالة الآية هو ردٌ لها. والحقيقة أن الأمثلة كثيرة جدًا في كتب التفسير والعقائد والأحكام في قضية الاختلاف المتعلق بالاعتقاد.

من الفرق المبتدعة التي أوَّلت النصوص القرآنية وفق معتقداتها الضالة: **المعتزلة**، وخاصة في أهم أصل وهو التوحيد الذي هو لب مذهبهم، وقد بنوا على هذا الأصل استحالة رؤية الله تعالى يوم القيامة، وأن الصفات ليست شيئا غير الذات وأن القرآن مخلوق لله تعالى. بالإضافة لباقي أصول ومبادئ مذهبهم الضال المنحرف، والتي لا تتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة.

من أمثلة ما يختلف فيه المعتزلة مع أهل السنة والجماعة:

(1) مسألة إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى:

- مما خالف فيه أهل الاعتزال أهل السنة والجماعة: قضية الكلام، فنفوه عن الله سبحانه وتعالى، وقالوا بأنه محال في حقه سبحانه وتعالى، وجعلوا الكلام مخلوقاً في أشياء أخرى، وتكلفوا في تأويل هذه الصفة حتى يردوا هذا الاعتقاد. نقول هذا من أسباب الخلاف الذي يجري أحيانا فيمن ينتسب إلى دائرة الإسلام.

[22] التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 309.

- ((ينظر بعض المعتزلة إلى قوله تعالى في الآية 164 من سورة النساء: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} فيرى أن مذهبه لا يتفق وهذا اللفظ القرآني حيث جاء المصدر مؤكدا للفعل، رافعا لاحتمال المجاز، فيبادر إلى تحويل هذا النص إلى ما يتفق ومذهبه فيقرؤه هكذا (وكلم اللهَ موسى تكليما) بنصب لفظ الجلالة على أنه مفعول، ورفع موسى على أنه فاعل، وبعض المعتزلة يبقي اللفظ القرآني على وضعه المتواتر ولكنه يحمله على معنى بعيد فيقول: إن كَلَّمَ من الكَلْم بمعنى الجرح، فالمعنى: وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن؛ وهذا ليفر من ظاهر النظم الذي يصادم عقيدته ويخالف هواه. وهذا تعرض له الزمخشري في كشافه، فرواه عمن قال به عندما تكلم عن هذه الآية. وقد عاب الزمخشري هذا التأويل وقال عنه أنه من بدع التفاسير.)) [23]

- عند قول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: 143]، يقول الزمخشري في الكشاف: "قالوا: "وكلَّمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح، وروي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة". هذا قولٌ مردود لا يعتقده أهل الحق في صفة ربنا سبحانه وتعالى.

- ونحن نتساءل: لماذا يعتقد أهل الاعتزال استحالة أن يكون الكمال والجمال في تكليم الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى؟! ما الذي يدفعهم إلى أن يجعلوا الكلام ينطلق من كل اتجاه مخلوق في الجبل والشجر والحصى والتراب، ولا يكون على وجه التمام والكمال من ربنا سبحانه وتعالى؟!

- فهذا التأوّل الباطل الذي يزعمونه في تفسيرهم للآية هو من التأولات التي نقول بأنها تؤدي إلى الاختلاف في التفسير، ويأتي أهل الحق، أهل السنة والجماعة، بالرد على من يعتقد هذا الاعتقاد ونقول بأنه مخالف لنصوص كثيرة تقابل قولكم هنا بأن الله سبحانه وتعالى لم يتكلم. موسى عليه السلام نبي الله التصق باسمه عليه الصلاة والسلام تسميته بكليم الرحمن، كليم الله.

- ونحن أهل السنة والجماعة نؤمن بما أخبرنا الله به سبحانه وتعالى، وعندنا تساؤل نطرحه دائما على من يخالفنا، وهو: أليس الله سبحانه وتعالى أعلم بذاته؟ والجواب: بلى، هو أعلم بذاته سبحانه وتعالى. ألم يخبرنا جل وعلا في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما له سبحانه وتعالى من الصفات؟ والجواب: بلى، أخبرنا سبحانه وتعالى بما اتصف به من الصفات وذكر لنا أسماء، فما بَلَغَنا عن الله عز وجل من وحيه فإننا نؤمن به على مراد الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن نقول بأن هذه الأخبار لا معنى لها، كما هو مذهب المفوّضة.

---

[23] التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 320.

- وهذا الأمر يختلط فيه التصور عند بعض من يذهب إلى أن أهل السنة مفوّضة، أهل السنة ليسوا مفوّضة في الأسماء والصفات هكذا كما يعتقد البعض؛ وإنما هم مفوّضة في الكيفية، وهذا الذي أمرنا الله به، فالكيفية لا نتكلم فيها؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا كيف هي صفته. استوى سبحانه على العرش، كيف استوى؟ لم يخبرنا سبحانه بأنه استوى بكيفية معينة؛ لكنه أخبرنا بأنه استوى، ونحن في لغتنا التي خاطبنا الله جل وعلا بها في كتابه، نعلم بأن الاستواء له معاني من العلو وأمثالها، ولا يختلط هذا على عربي ولو كان هذا مختلطا على عربي لما كان في إخبار الله جل وعلا لنا به أدنى فائدة، وهذا لا يقول به مؤمن. لا نقول بأن الله أخبرنا بأخبار نحن لا نعلمها، لا، أخبرنا بأخبار نحن نعلمها، نعلم معانيها، ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وهو معلوم في لغة العرب، معلومة معانيه؛ ولكن الكيف مجهول، وإيماننا بهذه الصفات، نحن نقول بأنه على وجه الكمال والتمام في حق الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يليق بالله سبحانه وتعالى إلا التمام والكمال، وهذا الذي يمتلأ به قلب العبد المؤمن تجاه ربه سبحانه وتعالى. فإذا قلنا بأن هذه الصفة لا نعلم منها أدنى شيء، فلماذا إذن خاطبنا الله جل وعلا بها؟!

- وجاءنا في نصوص الكتاب والسنة أدلة كثيرة تدل على ما يتصف به ربنا سبحانه وتعالى من الصفات، فنرجع مرة أخرى ونقول بأن الكيفية التي عليها حقيقة الصفة، وهيأتها، وطريقتها، هذه لم نُخبر بها، أما بالنسبة للمعنى نعم نحن ندرك بأن الله جل وعلا له أعظم ما يكون من المعاني في التمام والكمال والجمال التي نحن نعلمها من خلال لغتنا العربية.

(2) مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة:

- قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ} [الأعراف: 143]، وهنا أيضا قضية أخرى خالف فيها أولئك القوم وهي قضية الرؤية، رؤية الله سبحانه وتعالى، وقضوا بأنها مستحيلة في حق الله جل وعلا، اعترضوا على ما أثبته أهل السنة في هذه المسألة وتعسفوا وتأولوا.
- من ذلك قولهم: أن المراد بالنظر في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: 22-23] هو انتظار الثواب لا النظر بالأبصار.
- واعترض نفاة الرؤية على الاستدلال بقوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26] بأنه ليس في الآية تصريح بالرؤية، والزيادة يمكن تفسيرها بأوجه مختلفة كمن فسرها بمضاعفة الحسنات، أو المغفرة والرضوان، وعليه فلا يصح حملها على الرؤية، وإلا أصبح ذلك تكلفا وقولا على الله بغير علم.

أردنا الإشارة فحسب لهذا السبب من أسباب الاختلاف في التفسير، وتفاصيل الموضوع تراجع إن شاء الله في مظانها، والمؤمن لا يتعصب لا لمذهب فقهي، ولا لمذهب عقدي، ذلك أن المؤمن ينتمي إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الأمة القابلة للحق الذي جاءها عن ربها سبحانه وتعالى وعن نبيها صلى الله عليه وسلم، فنؤمن بهذا على مراد الله عز وجل وعلى مراد رسوله صلى الله عليه وسلم دون تعصب لمذهب حنفي، أو شافعي، أو مالكي، أو حنبلي، أو طائفة في الاعتقاد إما معتزلة، وإما أشاعرة، وإنما نقول بقول أهل الحق الذي يدلل عليه أهله بالكتاب والسنة متفقا مع مراد الله سبحانه وتعالى.

ثانياً - الاختلاف الفقهي:

من أسباب الاختلاف والخلاف في التفسير: **الاختلاف في المسائل الفقهية** التي تدل عليها آيات الكتاب، ويتنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية.

يقول الدكتور حسين الذهبي تعليقا على هذا الأمر: "وإذا تتبعنا التفسير الفقهي في جميع مراحله وجدناه يسير بعيداً عن الأهواء والأعراض، من مبدأ نزول القرآن إلى وقت قيام المذاهب المختلفة، ثم بعد ذلك يسير تبعاً للمذاهب، ويتنوع بتنوعها، فلأهل السنة تفسير فقهي متنوع بدأ نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به كما أسلفنا، وللظاهرية تفسير فقهي يقوم على الوقوف عند ظواهر القرآن دون أن يحيد عنها، وللخوارج تفسير فقهي يخصهم، وللشيعة تفسير فقهي يخالفون به من عداهم... وكل فريق من هؤلاء يجتهد فيتأول النصوص القرآنية حتى تشهد له أو لا تعارضه على الأقل.. مما أدى ببعضهم إلى التعسف في التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلولاتها."[24]

إذن، نقول بأن الخلاف في التفسير الفقهي وإن كان يرد فيه -حقيقةً- بعض الأقوال المعارضة لنصوص الكتاب والسنة ولا يُقبل بها، وأسبابها أيضا قد ترجع إلى بعض المتعصبة؛ لكن نستطيع أن نقول بأنه أخف مما هو قبله (العقدي)، وبأنه ربما يقع في بعض الآيات على خلافٍ سائغ مقبول بين العلماء.

من أمثلة الاختلاف بين المفسرين في آيات الأحكام:

- **اختلافهم في تفسير قول الله جل وعلا: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}** [البقرة: 196]، حيث اختلفوا هل العمرة واجبة أم سنة. وهذا المثال أيضا يندرج تحت قضية الاختلاف في اللغة والإعراب، فيجتمع في هذا المثال سببان من أسباب الاختلاف في التفسير: الاختلاف الفقهي، والاختلاف في اللغة والإعراب.

[24] التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، ج2، ص 382.

- لفظ "العمرة" منصوب، وهي قراءة الجمهور، وذكر بعض المفسرين قراءة أخرى بالرفع، وأيضا نسبوها إلى بعض الصحابة، وتقرأ هكذا: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ}، ويقف القارئ ثم يستأنف: {وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ}، على أن الواو استئنافية هنا. فحصل في هذه القراءة خلاف بين القُراء وبين الفقهاء، أما القُراء كما قلت لكم على الرفع والنصب، وهذا له أثره إعرابًا وفقهًا، وأيضا بعض الفقهاء أخذوا بأن "العمرة" مرفوعة وأنها مستأنفة، فيكون حكم الوجوب في هذه الحالة للحج فقط والعمرة تطوع.
- ولهذا يقول الماوردي رحمه الله بعد أن ذكر أقوالا في المراد بإتمام الحج والعمرة، قال: **"إتمامها واجب بالدخول فيهما"**، إذن الإتمام بالدخول فيهما، بدأت بالحج تتمه، بدأت بالعمرة تُتمها بالدخول فيهما. قاله الشعبي، وأبو بردة، وابن زيد، ومسروق. **"فإن لم يدخل فيهما، وجب الحج ولم تجب العمرة"**، وهذا مذهب، قول قوي لبعض العلماء بأن العمرة ليست بواجبة وإنما الواجب والذي هو ركن هو الحج، قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97]، وما ذكر الله جل وعلا العمرة. هذا قول شيخ الإسلام.
- وهناك قول آخر بأن العمرة واجبة بنصوص أخرى منها: قوله صلى الله عليه وسلم في رواية الدارقطني: "وأن تحج البيت وتعتمر"، جاء ذلك في حديث أركان الإسلام، (وهذه رواية مصححة، ومن أخذ بها أوجب العمرة كما يجب الحج).
- فقال الماوردي: فإن لم يدخل فيهما وجب الحج، ولم تجب العمرة، وكان الشعبي يقرأ {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةُ لِلَّهِ} برفع العمرة ويُفرق بينهما في الإعراب إذ الفرق بينهما في الوجوب، قال: وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وإن خالف فيه الشافعي. مذهب مالك، وأبي حنيفة عدم وجوب العمرة. نعم، قال مكي ابن أبي طالب: والآية محكمة تدل على أن من دخل في طاعة وعقدها على نفسه أن عليه إتمامها.
- إذن، هذه مسألة تدل على الخلاف الإعرابي وأثره فيما يتصل بالجوانب الفقهية.
- من الخلافات الفقهية، **اختلافهم في تفسير قوله تعالى: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}** [التوبة: 28]، حيث اختلفوا في أيّ المساجد يحرم دخولها على غير المسلمين.
- **اختلافهم في تفسير آية القصاص في قول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى}** [البقرة: 178]، حيث اختلفوا أيقتل الحرّ بالعبد والرجل بالمرأة والمسلم بغيره؟

وهناك أمثلة أخرى كثيرة متعلقة بالخلاف الفقهي بين العلماء المفسرين، ومن شاء أن ينظر في هذا الأمر فليراجع الكتب التي اعتنت بتفسير آيات الأحكام، مثل:

- **من المذهب الحنفي:** تفسير أحكام القرآن لأبي بكر الرازي، المعروف بالجصاص.

- **من المذهب المالكي:** تفسير أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي، وتفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي.
- **من المذهب الشافعي:** كتاب أحكام القرآن وجمعه أبو بكر البيهقي من نصوص الإمام الشافعي، وأحكام القرآن للكيا الهراسي، وكتاب الإكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطي.

وننبه إلى أنه قد يوجد في كتاب الجصاص رحمه الله، وغيره من الكتب بعض الآثار التي ربما ترتبط بالتعصب المذهبي.

ثالثاً - الاختلاف العائد إلى الرو اية والنقل:

- فيما يتصل بالاختلاف في التفسير بسبب الرواية والنقل، نجد ذلك مثلاً في تفسير قول الله جل وعلا: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: 4]، هذا في شأن عدة المطلقة، وفيما يتصل بعدة المتوفى عنها زوجها قال الله جل وعلا: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة: 234] فالمطلقة لها عدة، والمتوفى عنها زوجها لها عدة، طيب، ماذا عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل، ما هي عدتها؟ هل تأخذ بالأربعة أشهر وعشرا، أم أنها تأخذ بوضع الحمل؟
- جرى هنا خلاف بين العلماء في هذه المسألة فبعض الصحابة رحمهم الله كانوا يرون أن الحامل عدتها عند وضع الحمل على ما جاء في نص الآية، سواء زادت المدة أو قصرت، يعني سواء توفي زوجها وهي في اليوم الأول من الحمل تتربص تسعة أشهر، أو أنها بقي على ولادتها يوم واحد فتوفي زوجها فولدت من يومه، أو من غده؛ فحينها تنتهي من عدتها. وقال آخرون: بل تتربص بأطول الأجلين، وهذا مذهب علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس، فأطول الأجلين هو عدتها.
- هنا نقول: بأن القضية تحتاج إلى مرجّح، وعندنا مرجح في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث سبيعة الأسلمية: "عَنْ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ -وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا - فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَهِيَ حَامِلٌ . فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا: تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنِ بَعْكَكٍ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ -فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكِ تُرَجِّينَ لِلنِّكَاحِ، وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى يَمُرَّ عَلَيْك أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ. قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ: جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوِيجِ إِنْ بَدَا لِي"، [صحيح مسلم: 1484].
- فنحن نقول في هذه المسألة أن هذا الحديث غائب عن ابن عباس وعن علي رضي الله عنهما، وهو في صحيح مسلم، وما كان لهما أن يدعا هذا الحديث لأجل هذه النظرة، وهي نظرة الأطول في الأجلين.

هذه ربما تكون أشهر أسباب الاختلاف في التفسير، وهي ما بين خلاف قوي معارَض لا يمكن أن يجتمع، وخلاف أقل من ذلك وإن كان فيه راجح ومرجوح.

أما موقفنا من الخلاف فيقال بأن: الخلاف سنة إلهية وأن الله سبحانه وتعالى شاءه وأراده، وأن به يتمحص الحق ويدافع به أهل الحق عن الحق، ويجتمع على مواجهة الباطل، وأيضا لابد أن نلتمس أو نتعرف على أسباب هذا الخلاف حتى يمكن لنا علاجه ودواؤه، وإذا كان المخالف خلافه سائغ، وليس ببعيد عن الحق، وإن كان مرجوحا، فإنه يُعتذر له ولا يُسارع إلى تكفيره، أو تبديعه؛ وإنما يُقال بأن قوله بعيد عن الحق ولا يقوم له في الحق قائمة، وهو معذور في هذا الاجتهاد، وممن أخذه تعصبا وعن هوى وقلة علم، فهذا يجب على الحاكم أن يؤدبه وأن يردعه عن الانطلاق في هذه الأقوال الشاذة، والبعيدة عن ضياء الحق.

ويجب أن نعلم بأن هذه الخلافات والاختلافات تعين طالب العلم على أن يتوسع في البحث عن الحقائق، وأن يتقصى بكل ما يستطيع من وسائل وأدوات إلى الوصول إلي الحق وإحقاقه، ويجب أن نعلم أن هذه الآثار هي آثار ايجابية تزيد المكتبات بحثًا وعلمًا وتحقيقًا، وأما إذا كان الانطلاق في هذه الخلافات تعصبًا وهوى، فلا شك أن هذه توقع الناس في الحيرة، وتلزمهم بالأخذ والتمسك بالتعصب؛ ولأجل هذا يُنهى عن مجادلة أهل الباطل الذين لا يريدون الهداية؛ وإنما ينطلقون في مخاصمة العلماء ومجادلتهم بالباطل، فهؤلاء يُحذّر من شرهم، ويكف الناس عن الاجتماع عنهم، ويلزم الحاكم أن يؤدبهم، وأن لا يعرضوا نفوس الحق إلى الاضطراب والخلاف، عياذاً بالله.

أسأل الله جل وعلا أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى والنور، وأن يُرينا جميعًا الحق حقًا ويرزقنا إتباعه وأن يُرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **إسراء الزعيم**.

قام بالمراجعة الأولى: **إيمان عثمان**.

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة السابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ثم أما بعد. أرحب بكم أيها الإخوة الأكارم المنتظمون في برنامج الإمام السعدي في أكاديمية تفسير، وقد توقف الحديث بنا في لقاء سابق حول قضية الاختلاف في التفسير، وذكرنا أنواعه، والموقف الذي يجب على متلقي علم التفسير من هذه الخلافيات، ثم تعرضنا في ختام تلك الحلقة إلى بعض الأسباب التي أدت إلى هذا الاختلاف، وفرقنا بين الاختلاف السائغ الذي يُقبل، والاختلاف الذي لا يمكن أن يُقبل، بل يجب رد القول الباطل وإحقاق الحق بقول أهل الحق وأهل العلم.

حلقتنا هذه هي الحلقة السابعة عشر، وحديثنا اليوم في **دلالات الألفاظ**. موضوع دلالات الألفاظ قد رأيتموه عندكم في المنهج المقرر وهو مقسم من اللجنة العلمية في هذه الأكاديمية المباركة إلى: الحقيقة والمجاز، والمنطوق والمفهوم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين. ونحن إن شاء الله سنتعرض إلى هذه الأقسام بإلماحاتٍ سريعة تبين ما المراد بها عند أهل العلم، **فهي ولا شك من صميم علوم القرآن**[25]، وعلى أية حال فإن هذه العلوم مرتبطة بعضها ببعض، ولا غنى لقارئ في أصول التفسير أن ينعزل عن علوم القرآن، ولا لقارئ في علوم القرآن أن ينعزل عن علم أصول الفقه، إذ الجميع يبحث في مسألة الاستدلال من الكتاب، وآلية الاستدلال وأدوات الاستدلال، وهذه كلها في حقيقة الأمر ترجع بأدواتها وبطرقها بين المفسر والفقيه، كيف ينتزع هذا وينتزع الآخر، وكلاهما يصبان في بابٍ واحد ونهرٍ واحد، وهو التعبد لله جل وعلا بتلقي هذا الكتاب علمًا وعملًا.

✓ دلالات الألفاظ

أولاً- الحقيقة والمجاز:

((يقول الشيخ ابن عثيمين في كتابه *شرح الأصول في علم الأصول*:

"ينقسم الكلام من حيث الاستعمال إلى حقيقةٍ ومجازٍ.

فالحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له، مثل أسد، للحيوان المفترس.

والمجازهو: اللفظ المستعمل في غيرما وضع له، مثل أسد، للرجل الشجاع."

[25] أيضاً، من المعلوم أن مبحث "دلالات الألفاظ" هو من صميم ومن أهم مباحث علوم اللغة، وعلم أصول الفقه.

الشرح: فإن كان اللفظ قد استعمل فيما وضع له كان حقيقة، وإن كان استعمل في غير ما وضع له كان مجازاً، مثال ذلك: لفظ "الأسد"، وضع في الحيوان المفترس المعروف، فإذا استعملنا لفظ الأسد في الحيوان المفترس فإنه يسمى حقيقة، وقد يستعمل الأسد في الرجل الشجاع فيكون مجازاً. والأصل أن تفسر الألفاظ بالحقائق لا بالمجازات، ولا يجوز أن نحمل اللفظ على مجازه إلا بشرطين: الأول، وجود دليل يدل على صرف اللفظ من حقيقته إلى مجازو، ويسمى: القرينة. الثاني، أن يوجد ارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ويسمى: العلاقة.))[26]

((قال السيوطي في كتابه *الاتقان في علوم القرآن*: " لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، وهي: كل لفظٍ بقي على موضوعِه، ولا تقديم فيه ولا تأخير، وهذا أكثر الكلام. وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه، وأنكره جماعة، منهم الظاهرية وابن القاصِّ من الشافعية، وابن خُوَيْز منْداد من المالكية. وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى.
وهذه شبهة باطلة. ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحُسْن، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها."))[27]

- أما **الحقيقة** فهي الأصل في كل شيء، في الأخبار خاصة هي الأصل فيه، ووقوعها في القرآن لا خلاف فيه، والحقيقة يقول أهل العلم في معناها: هي كل لفظ بقي على أصله. فظاهره له دلالة فنبقى على هذا الظاهر لا نتجاوزه، وهذا هو الأصل في كل الأخبار.

- وأما **المجاز** فقيل فيه خلاف هذا القول، قيل: هو كل لفظ يستعمل في غير موضوعه، فيحصل من وراء هذا تركيب معين يستعمل فيه. لو قلنا مثلًا: إن فلان أسد بمعنى أنه شجاع، فكونه أسد في ظاهر الخبر إلا أنه غير مراد. إذًا، كل لفظ يستعمل في غير بابه أو في غير موضوعه، على خلاف ظاهره فإنَّ هذا هو الذي يسمى المجاز.

- وقد وقع خلاف بين أهل العلم، هل في كتاب الله سبحانه وتعالى مجاز، أو ليس فيه مجاز. وهذه حقيقةً قضية ربما عرضها يطول، وحصل خلاف بين أئمةٍ من العلماء ومحققين في مذهب أهل السنة والجماعة، وذلك أن القول بأن القرآن فيه مجاز بوابة دخل من ورائها المبتدعة بإنكار بعض صفات الله سبحانه وتعالى، وعلى أية حال، **وإن كان قول الجمهور: أن المجاز يقع في القرآن إلا أنه مشروط بأن يكون هناك علاقة ظاهرة بينة بين الحقيقة والمجاز، كذلك مشروط بوجود قرينة تصرفه عن ظاهره.**

---

[26] شرح الأصول في علم الأصول لابن عثيمين، شرح الدكتور سعد بن ناصر الشثري.

[27] الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي. ج4، ص 1507.

- مثال ذلك: قول الحق سبحانه وتعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [يُوسُفَ: 82]، المراد: اسأل أهل القرية؛ لا يمكن لهذه القرية بمبانيها ومكانها وجدرانها وترابها أن تُسأل، فإذًا المقصود من يجيب، وهم أهل القرية. فلا بد من قرينة ظاهرة تصرف هذا المجاز عن الأخذ بحقيقته.

- ثم، وهو شرطٌ أكيد ومهم، أن **يُمنع القول بالمجاز في صفات الله سبحانه وتعالى**؛ ولهذا أهل السنة والجماعة يردُّون على من تأول قول الله جل وعلا: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [الْمَائِدَةِ: 64]، فعندنا صفة اليد لله سبحانه وتعالى مذكورة في قوله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75]، لو جاء من يقول بأن هذه اليد المراد بها ليس على حقيقة ظاهر اللفظ، بل المراد بها كرمه سبحانه وتعالى، أو المراد بها قوته، نقول: هذا خلاف التأويل؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه في مواضع بالكرم، ووصف نفسه في مواضع بأنه الرازق، وأنه الباسط؛ فإذًا لا يمكن أن نحمل لفظًا يدل على أن له سبحانه وتعالى صفة ظاهرة من خلال دلالتها، نصرفها عن ظاهرها لأجل وقوع المجاز، نقول: هذا قول مردود.

- إذن، نكرر فنقول:

1. **الحقيقة: هي اللفظ المستعمل فيما وضع له.**
2. **والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له.**

- مثَّل الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه *الاتقان في علوم القرآن* للمجاز بأمثلةٍ، منها:

- قول الله جل وعلا في حق فرعون: {يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ} [الْقَصَصِ: 4]، وفي قوله تعالى: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} [غَافِرٍ: 36]، قال السيوطي رحمه الله: "نُسِب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون، والبناء وهو فعل العَمَلة إلى هامان، لكونهما آمرَيْن به." هامان ليس هو الذي باشر البناء ولكنه أمر به، فإذًا يقال بأن المراد أمره. وأمثلة أخرى كثيرة ساقها رحمه الله مع تقسيمات ربما أن التوسع فيها يكون في دراسة علوم القرآن.

- والمراد هنا أن نعلم بأن القرآن ينقسم إلى هذين القسمين، وهي قسمة الجمهور. وهناك من خالف من بعض العلماء وأخذ بأن الحق في القرآن أنه لا يأتي إلا بالحقيقة، وأن القول بأن فيه مجاز أن هذا ربما يكون فيه كذب، وهذه حجتهم في المنع، مع أن القول بأن القرآن فيه مجاز بوابة -كما سبق أن ذكرنا- لأهل الابتداع الذين يتأولون الصفات. ورُدَّ عليهم بأنه لو قيل بأن القرآن ليس فيه مجازٌ لذهب شطر الحسن فيه، وهو نازل باللغة العربية، والتي تحتمل هذا وتحتمل ذاك، وهناك بعض الألفاظ في ظاهرها لا يمكن أن تُحمل على حقيقتها، كما سبق وأن أشرنا.

- هذا ما يُجْمَلُ ذكره في قضية الحقيقة والمجاز من جهة التعريف، ونختم بقول الشيخ محمد ابن عثيمين، رحمه الله، في كتابه *شرح الأصول من علم الأصول*، حيث قال: "تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز هو المشهور عند أكثر المتأخرين في القرآن وغيره. وقال بعض أهل العلم: لا مجاز في القرآن. وقال آخرون: لا مجاز في القرآن ولا في غيره، وبه قال أبو إسحاق الإسفراييني، ومن المتأخرين محمد الأمين الشنقيطي. وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أنه اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ونصره بأدلة قوية كثيرة تبين لمن اطلع عليها أن هذا القول هو الصواب".

ثانياً - المنطوق والمفهوم: [28]

يقول الدكتور منَّاع القطان: "دلالة الألفاظ على المعاني قد يكون مأخذها من منطوق الكلام الملفوظ به نصاً أو احتمالاً بتقدير أو غير تقدير، وقد يكون مأخذها من مفهوم الكلام سواء وافق حكمها حكم المنطوق أو خالفه، وهذا هو ما يسمى: بالمنطوق والمفهوم."

1. **المنطوق هو: ما دل عليه اللفظ في محل النطق.**
2. **المفهوم هو: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق.**

فيما يلي شرح لتعريف المنطوق والمفهوم وأقسام كل منهما بالأمثلة.

1. **المنطوق و أقسامه:** المنطوق هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق – أي دلالته تكون من مادة الحروف التي يُنطق بها. ومنه: النص، والظاهر، والمؤوَّل.

(أ) النص: هو ما يفيد بنفسه معنى صريحا لا يحتمل غيره، كقول الله سبحانه وتعالى: {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ} [الْبَقَرَةِ: 196]، فإن وصف عشرة بـ"كاملة" قطع احتمال العشرة لما دونها مجازاً، وهذا هو الغرض من النص. إذن، هذه دلالة منطوقة مرادة، والدليل لا نحتاج فيه إلى أن ننظر إلى تأويل أو ترجيح أو إلى مفهوم آخر، بل النص فيه ظاهرٌ، والدلالة في محل النطق.

(ب) الظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، فهو يشترك مع النص في أن دلالته في محل النطق، ويختلف عنه في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره، والظاهر يفيد معنى عند الإطلاق مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً. فإن كانت الدلالة تحتمل معنيين لكن أحدهما راجح وظاهر وبيّن، فنقول بأن هذه أيضًا تسمى دلالة المنطوق، حتى وإن كان هناك ربما احتمال يسير لمفهوم

[28] تم الاستعانة بكتاب "مباحث في علوم القرآن" للدكتور مناع القطان، في إعادة صياغة وكتابة هذا العنصر من المحاضرة.

آخر، لكن ما دام الاحتمال المراد والظاهر هو الراجح، فيبقى هذا منطوقًا. وذلك كقول الله سبحانه وتعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} [البقرة: 173]، فهنا يقال بأن الباغي يُطلق على الجاهل، ويُطلق على الظالم، ولكن إطلاقه على الظالم، أظهر وأغلب فهو إطلاق راجح، والأول مرجوح.

وأيضًا كقول الله سبحانه وتعالى: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [الْبَقَرَةِ: 222]، فانقطاع الحيض يقال فيه طُهر، والوضوء والغسل يقال فيهما طُهر، ودلالة الطهر على الثاني أظهر، فهي دلالة راجحة والأولى مرجوحة. والدلالة الواردة في الآية أيضًا تؤيد هذا؛ لأن الله قال: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} [الْبَقَرَةِ: 222]، فهناك طُهرٌ وهناك تَطهرٌ، فالمراد: التطهر، فإن حُمِل المعنى على المرجوح من القولين فهذا يسمى تأويلًا، إذًا الأول يسمى: ظاهر، والذي نحمله على المرجوح يسمى: تأويلًا.

(ج) المؤول: هو ما حُمِلَ لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، وإن كان كل منهما يدل عليه اللفظ في محل النطق، كقوله سبحانه وتعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الْإِسْرَاءِ: 24]، فإنه محمول على الخضوع والتواضع وحسن معاملة الوالدين لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة إذن يستحيل حمله على الظاهر.

2. **المفهوم و أقسامه:** المفهوم هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق.

وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة.

(أ) مفهوم الموافقة: هو ما يوافق حكمه المنطوق، وهو نوعان:

* **فحوى الخطاب: وهو ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق**، كفهم تحريم الشتم والضرب من قوله تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الْإِسْرَاءِ: 23]، لأن منطوق الآية تحريم التأفف، فيكون تحريم الشتم والضرب أولى لأنهما أشد. يعني الله جل وعلا قال: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} [الْإِسْرَاءِ: 23] هذه درجة في المعصية، لو أتينا بمعصية أشد وهي الطرد مثلًا أو الضرب، فنقول: لا شك أن هذا أولى، وهذه تسمى عند الأصوليين بـ "دلالة فحوى الخطاب".

* **لحن الخطاب: وهو ما ثبت الحكم فيه للمفهوم كثبوته للمنطوق على السواء**، كدلالة قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} [النِّسَاءِ: 10]، على تحريم إحراق أموال اليتامى أو إضاعتها بأي نوع من أنواع التلف لأن هذا مساوٍ للأكل في الإتلاف.

(ب) مفهوم المخالفة: هو ما يخالف حكمه المنطوق:

يقول السيوطي رحمه الله: منه ما هو مفهوم صفةً، نعتًا كان أو حالًا أو ظرفًا أو عددًا، ومفهوم شرط، ومفهوم غاية، ومفهوم حصر، ومن أمثلة كل نوع:

* **مفهوم صفة: والمراد بها الصفة المعنوية**، كالمشتق، في قوله تعالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ} [الْحُجُرَاتِ: 6]، فمفهوم التعبير بـ"فاسق" أن غير الفاسق لا يجب التَثبت في خبره، ومعنى هذا قبولُ خبرِ الواحدِ العدلِ ما دام أن الله أخرج الفاسق، فإذًا العدل الثقة هذا يقبل قوله.

وقوله تعالى: {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [الْبَقَرَةِ: 187]، نفهم منه أنه أخرج جواز مباشرتهن في الليل لمن لم يكن داخلًا في المساجد ومعتكفًا بها.

وقوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} [الْبَقَرَةِ: 197]، مفهومه أن الإحرام بالحج في غير أشهر الحج لا يصح.

* **مفهوم شرط**: مثل قول الله جل وعلا: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ} [الطَّلَاقِ: 6]، إن شرطية، يعني هذه تدل بالمفهوم على أن غير ذوات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن، وهذا في شأن المطلقات.

* **مفهوم غاية**: قد يكون المفهوم مفهوم غاية كقوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [الْبَقَرَةِ: 230]، فمفهوم هذا أنها تحل للأول إذا نكحت غيره بشروط النكاح. هذه المطلقة طلاقًا بائنًا، إذا نكحت زوجًا غيره وطلقها، فإنها تحل لزوجها الأول، أما إن لم تنكح هذا الزوج فخرجت من عدتها وبقيت سنة وسنتين وثلاث، ثم جاء يخطبها، فنقول: لا، هناك غاية كلفنا الله بها، فإذًا مفهوم هذه الغاية أن الآخر إذا طلقها حلت للأول.

* **مفهوم حصر**: مثل قول الحق سبحانه وتعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [مُحَمَّدٍ: 19]، وقوله تعالى: {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ} [طه: 98]، يعني غيره ليس بإله، ما دام أن الله حصره في هذا، فهو دليل على أن غيره ليس بإله.

هذا ما يتصل بمعنى المنطوق ومعنى المفهوم في دلالات آيات الله سبحانه وتعالى. إذًا المنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق، والمفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، فنأتي عليه بمفهوم الموافقة أو مفهوم المخالفة.

وعلى أية حال فالتوسع في هذا ربما نجده في أبواب علوم القرآن، وكذلك في كتب أصول الفقه؛ لأنها تعتني بدلالات الكتاب. هذا ما تيسر إيراده في هذه الحلقة، وإن شاء الله تعالى نكمل في الحلقة القادمة الحديث عن دلالات الألفاظ، ولعلنا إن شاء الله نبدأ من العام والخاص. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله.**

✍ قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن.**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش.

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة الثامنة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فأحييكم أيها الأكارم في هذه الحلقة الجديدة وهي الحلقة الثامنة عشرة من سلسلة حلقات مقرر أصول التفسير، ضمن برنامج السعدي في مستواه الثاني بأكاديمية تفسير. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يستعملنا وإياكم في طاعته. تقدم الحديث أيها الأكارم في الحلقة السابقة عن **دلالات الألفاظ**، وذكرنا منها: الحقيقة والمجاز، ثم ذكرنا المنطوق والمفهوم، واليوم نشير على وجه الإجمال إلى مباحث ثلاثة مهمة أيضاً في دلالات الألفاظ، وهي: العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمُبيَّن، مع ملاحظة أن هذه مجرد تعريفات وإشارات سريعة وبدون الدخول في تفاصيل هذه المباحث من دلالات الألفاظ لأن مجال دراستها يكون في علم أصول الفقه، وعلوم القرآن، وعلوم اللغة.

✓ تابع دلالات الألفاظ [29]

ثالثاً - العام والخاص:

- ((للنظم التشريعية والأحكام الدينية مقاصد تهدف إليها، وقد يجتمع للحكم التشريعي خصائص تجعله عاماً يشمل كل الأفراد، أو ينطبق على جميع الحالات، وقد يكون لذلك القصد غاية خاصة فالتعبير عنه يتناول بعمومه الحكم ثم يأتي ما يبين حده أو يحصر نطاقه)).[30]
- مبحث العام والخاص من المباحث المهمة في علوم القرآن وعلم أصول الفقه، فهي تساعدنا على فهم القرآن والسنة، وتوضح لنا المعاني التي أرادها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.
- من دلالات الألفاظ ما هو عام فيكون حكمه عاماً، وما هو خاص أي خارج عن ذلك العام بشيءٍ خصصه.

---

[29] في إعادة صياغة وكتابة هذا الموضوع من المقرر، تم الاستعانة بكتاب "شرح الأصول في علم الأصول"، لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، شرح معالي الشيخ الدكتور سعد بن ناصر الشثري.

[30] مباحث في علوم القرآن، د. منّاع القطان، ص 212.

1. العام

تعريف العام لغةً واصطلاحاً:

العام لغةً هو: الشامل.

العام اصطلاحاً هو: اللفظ المستغرق لجميع أفراده بلا حصر.

فالمراد بالعام: اللفظ الذي يستغرق جميع أفراد الجنس بحيث إذا ورد لفظ عام فإنك تطبقه على جميع الأفراد، كل فرد لوحده، من أمثلة ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} [البقرة: 278] كأنه يخاطب كل مؤمن لوحده، فلا يقول إنسان: هذا خطاب لمجموع المؤمنين، وبالتالي إذا وجدت التقوى في العموم يكفي؛ بل نقول هذا خطاب عام، وبالتالي كل شخص من أهل الإيمان مخاطب بهذا الخطاب.

وكقول الله جلّ وعلا: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [الانفطار: 13]، هل نفهم أن بعض الأبرار ليسوا في هذا النعيم؟ خارجون منه؟ لا، نقول يستغرق هذا اللفظ كل أفراده الذين هم في الآية - أي الأبرار- يستغرقهم كلهم في ذلك النعيم، وهذا هو المقصود باللفظ المستغرق لجميع أفراده بلا حصر.

صيغ العموم:

هناك ألفاظ إذا وردت في القرآن والسنة فإننا نفهم أنها للعموم بمجرد ورودها ولا نحتاج إلى قرينة. تتبع العلماء هذه الصيغ ووجدوا أنها سبع صيغ:

1. ما كان دالاً على العموم بصيغته

* مثل لفظ "**كل**"؛ كما في قول الله تعالى: {إِنَّا **كُلَّ** شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49]، وقوله تعالى: {**كُلُّ** مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: 26]، المخلوقات كلها تفنى: الشمس والقمر، والسماء والأرض والجبال،...، كل شيء يفنى.
* ولفظ "**جميع**"؛ كما في قوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ **جَمِيعًا** أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: 31].
* ولفظ "**كافة**"؛ كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ **كَافَّةً**} [البقرة: 208].
* كذلك الألفاظ: "**قاطبة**" و"**عامة**" بحيث إذا وردت في شيء من النصوص فإنها تفيد العموم بحيث يكون كل فرد محكوماً عليه بهذا الحكم.

2. أسماء الشرط

* العموم مستفاد من أسماء الشرط فحروف الشرط لا تفيد العموم، وهنا لا بد أن نلحظ أن أسماء الشرط لا بد أن تكون معرفة، أما أسماء الشرط النكرة فإنها لا تفيد العموم. وليعلم أن أسماء الشرط لا بد لها

من فعلين بعدها، الفعل الأول فعل الشرط، والثاني جواب الشرط. من أسماء الشرط المعرفة التي تفيد العموم:

* "**مَنْ**"؛ كما في قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ} [الجاثية: 15]، وقوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} [النساء: 123].
* "**ما**"؛ كما في قوله تعالى: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ} [البقرة: 197]. (لابد من التفريق بين "ما" الشرطية فهي التي تفيد العموم، و"ما" النافية فإنها حرف ولذلك لا تفيد العموم بنفسها).
* "**أينما**"؛ كما في قوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: 115].
* ومن أسماء الشرط التي تفيد العموم: "**متى**" للزمان المبهم مثل: متى تزرني أزرك، و"**أين**" للمكان المبهم مثل: أين تجلس أجلس بجوارك.

3. أسماء الاستفهام

* العموم مستفاد من أسماء الاستفهام فحروف الاستفهام لا تفيد العموم، والمراد أسماء الاستفهام التي تكون معرفة، ومنها:
* "**ماذا**"؛ كقوله تعالى: {مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: 65]، وقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} [البقرة: 26].
* "**أين**"؛ كقوله تعالى: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير: 26].
* "**مَنْ**"؛ كقوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255]، وكقوله تعالى: {فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك: 30]

4. الأسماء الموصولة

* مثل: الذي، والتي، واللذين، واللتين، والذين، واللاتي، واللائي، فهذه من الأسماء الدالة على العموم. ومن أمثلة الأسماء الموصولة التي تفيد العموم:
* قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [الزمر: 33]، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: 69]، وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}.
* وكذلك الأسماء التي تستخدم أسماء موصولة مثل (**مَنْ**) في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الرعد: 15]، فإن (**مَنْ**) هنا بمعنى (الذين) فهي هنا اسم موصول تفيد العموم. وقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النازعات: 26]،
* ومثل (**ما**) في قوله تعالى: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} [آل عمران: 198]، (ما) هنا بمعنى (الذي).

5. النكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام الإنكاري

* **النكرة في سياق النفي**؛ كقول الله جلّ وعلا: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: 62]، وينبغي التنبه إلى أن (ما) إن كانت للنفي فإنها لا تفيد العموم بنفسها، فهي لا نفيد العموم إلا إذا كانت اسماً، اسم استفهام او اسماً موصولاً أو اسم شرط، أما إذا كانت للنفي فإنها حرف فحينئذ لا تفيد العموم، وإنما يستفاد العموم من ورود النكرة معها.
* **النكرة في سياق النهي**؛ كقول الله جل وعلا: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: 36]، فإن (شيئا) نكرة في سياق النهي (لا تشركوا) فتفيد العموم.
* **النكرة في سياق الشرط**؛ كقول الله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: 54]، فإن قوله (شيئا) نكرة في سياق الشرط (إن تبدوا) فتفيد العموم.
* **النكرة في سياق الاستفهام الإنكاري**، والاستفهام الإنكاري لا يراد به جواب، وإنما يراد به الإنكار على المخاطب. ومن أمثلته: قوله جل وعلا: {مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ} [القصص: 71]، (من) هنا أداة استفهام لكن ليس المراد به الاستفهام وإنما المراد الإنكار، فلما جاءت بعدها نكرة وهي (إله) أفادت العموم.

6. المُعَرَّف بالإضافة

* **المعرف بالإضافة إذا كان جمعاً فإنه يفيد العموم بالاتفاق**، ومن أمثلته قوله تعالى: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف: 69]، فكلمة (آلاء) جمع مضاف إلى معرفة فيفيد العموم، كأنه يقول: اذكروا جميع نعم الله عليكم.
* **أما إذا كان المضاف لمعرفة مفرداً**، وهو الكلمة الواحدة المضافة إلى معرفة، مثل قول الله تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} [آل عمران: 103]، كأنه يقول: نعمة مفرد مضافة إلى معرفة فيفيد العموم، **فإذا كان المفرد المعرف بالإضافة مضافاً إلى اسم جنس أفاد العموم بالاتفاق** مثل: حيوان البحر، ورجل الأمن، هذا يفيد العموم بالاتفاق لأنه نكرة مضاف إلى اسم جنس. وفي هذا المثال {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}: نعمة اسم جنس، وأسماء الأجناس تطلق على القليل والكثير، وأسماء الأجناس إذا أضيفت للمعرفة أفادت العموم.
* **أما إذا كانت النكرة المضافة لمعرفة ليست اسم جنس فهذه قد اختلف العلماء فيها**، مثل: محراب المسجد، قلم الرجل.

7. اللفظ المُعَرَّف بأل الاستغراقية

* المعرف بأل الاستغراقية (وتسمى أل الجنسية)، مفرداً كان أو مجموعاً، يفيد العموم، وأمثلته:
* المفرد المعرف بأل الاستغراقية؛ كقوله تعالى: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} [النساء: 28]، فالإنسان مفرد معرف بأل الاستغراقية فيفيد العموم.
* الجمع المعرف بأل الاستغراقية؛ {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور: 59]، فالأطفال جمع معرف بأل الاستغراقية فيفيد العموم، كأنه قال كل طفل بلغ عندكم الحلم فليستأذن.

حكم العمل بالعام:

يجب العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك. إذا كان هناك دلالة تدل على أن هذا العام مخصوص بشيء، فحينها نقول بأنه يعمل بهذا الخاص، ولو وقع خلاف في الخصوص والعموم فهذا يُرجع فيه الى مسوّغات الترجيح، لابد من الترجيح بين القولين، كما سبق أن أشرنا في قوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} [البقرة: 221]، وفي قوله جل وعلا: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [المائدة: 5].

2. الخاص

تعريف الخاص لغةً واصطلاحاً:

الخاص لغةً: ضد العام

الخاص اصطلاحاً هو: اللفظ الدال على محصورٍ بشخص أو عدد؛ كأسماء الأعلام والإشارة والعدد.

والتخصيص لغةً: ضد التعميم.

والتخصيص اصطلاحاً: إخراج بعض أفراد العام.

- **شرح التعريف:** الخاص لفظ دال على محصور سواء كان حصره بشخص مثل: زيد، أو بعدد مثل أسماء الأعداد، وكذلك يدخل في الخاص: المحصور بالصفة (على تفصيل ليس هذا مقامه).
- ومما له تعلق بالخاص: **التخصيص**. والمراد بالتخصيص: أن يكون هناك خطاب عام، ثم يأتينا خطاب آخر يبين أن بعض الأفراد ليست مرادة في الخطاب الأول، مثل قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]، هذا عام يشمل جميع المطلقات سواء كانت حاملاً أو ليست بحامل، ثم ورد بعد ذلك قوله: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: 4]، هذا تخصيص أخرج بعض أفراد العام.

- والمُخَصِّص - بكسر الصاد - فاعل التخصيص وهو الشارع، ويطلق أيضاً على الدليل الذي حصل به التخصيص. ودليل التخصيص نوعان: متصل ومنفصل، فالمتصل: ما لا يستقل بنفسه، والمنفصل: ما يستقل بنفسه. وفيما يلي شرح وأمثلة لكل نوع.

أنواع أدلة التخصيص: أدلة التخصيص على نوعين:

(أ) النوع الأول: مخصصات متصلة، وتكون في نفس الخطاب العام فهي لا تستقل بنفسها، ومنها:

1. الاستثناء

* عند الأصوليين الاستثناء هو بيان أن بعض الأفراد لم تدخل في الخطاب العام، وهذا البيان يحصل بـ "إلا" أو إحدى أخواتها، وأخوات "إلا" هي: حاشا، وكلا، وغير، وعدا.
* ومثال ذلك قول الله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: 2-3]، الإنسان مفرد معرّف بأل الجنسية فيفيد العموم، ثم قال: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}، فهذا استثناء، فيفيد تخصيص العموم.
* كقول الله جلّ وعلا: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 4]، فهذا يدل على العموم. كل من يرمي مؤمناً يلزم أن نجلده هذه الثمانين جلدة، وبعدها لا نقبل له شهادة إطلاقاً، وهو في ديوان الله من الفاسقين، عياذاً بالله، حسناً، ماذا لو تاب وأصلح، هل ممكن أن تقبل توبته؟ قال الله تعالى بعدها: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا} [النور: 5]. إذن، اللفظ الأول دلَّ على العموم، ثم نص على أن التائب قد أُستثني من هذا العموم.
* مثلا قول الله جلّ وعلا: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} [الشعراء: 224]، هذا عموم يدل على أن أتباع الشِّعر هم الغاوون، ثم قال الله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الشعراء: 227]، وهذا هو الاستثناء.

2. الشرط

* والمراد به الشرط اللغوي الذي توجد فيه أداة من أدوات الشرط: "إنْ" الشرطية وأخواتها، مثل: إذا، ومتى، ومن، وما الشرطية. والشرط مخصص للعموم سواء تقدم أو تأخر، وأمثلته:
* **الشرط تقدم المشروط**؛ كقول الله تعالى: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ} [الطلاق: 6]، فنخصص الإنفاق بذوات الحمل إذا كان الطلاق بائنا.
* **الشرط متأخرعن المشروط**؛ كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور: 33]، فيخصص الحكم بمن علم فيه الخير، أما من لم يعلم فيه الخير فإنه لا تستحب كتابته.

3. الصفة

* الصفة تخصص العموم، والصفة تشمل، النعت، وعطف البيان، وتشمل البدل، وتشمل الحال، وكل ما يوضح أمر الموصوف. وأمثلتها كالتالي:
* مثال **النعت:** قوله تعالى: {فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} [النساء: 25]، المؤمنات: صفة لأنها نعت، فيكون الحكم خاصاً بالمؤمنات، هذا في الزواج من الأَمَة فإنه لا يجوز للرجل الحر أن يتزوج بأمة مملوكة إلا بشروط ومنها أن تكون الأمة مؤمنة، وأخذنا شرط الإيمان من الآية، فإننا استفدنا التخصيص بالإيمان من النعت في قوله تعالى: {فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ}.
* مثال **البدل:** قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97]، كلمة الناس جمع معرف بأل فيفيد العموم، ثم قال: {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} فخصصنا الحكم وهو وجوب الحج بالمستطيع، وهذا يسمى **بدل بعض من كل.**
* مثال **الحال:** قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء 93]، إذن، غير المتعمد لا يدخل في الآية.
* {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} [النساء: 23]، وصف الدخول بالنساء يرفع حكم التحريم عن ربائب مَن لم يتم الدخول بهنّ.

4. الغاية

* كذلك الغاية تدل على التخصيص من العموم؛ كقول الله جلّ وعلا: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} إلى قوله: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: 29]، فهذه كلها مخصصات متصلة بهذا العام، تدل على ارتفاع الحكم من العموم إلى الخصوص.
* كذلك قول الله تعالى: {وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} [البقرة: 196]، وقوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} [البقرة: 187].

(ب) النوع الثاني: مخصصات منفصلة ترد بخطاب مستقل عن العام، ومنها:

التخصيص بالشرع، وهو النص: فإن الكتاب والسنة يخصص كل منهما بمثلهما، وبالإجماع والقياس.

فإذا وردنا نص عام ووردنا نص خاص، فإننا نعمل بالنص العام في جميع المواطن إلا في محل النص الخاص. وأمثلة ذلك:

1. **تخصيص الكتاب بالكتاب**

كقول الله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: 228]، المطلقات: عام لأنه معرف بأل، ثم جاءنا نص آخر يبين أن غير المدخول بها ليس لها عدة كما في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا} [الأحزاب: 49]، فهنا خصصنا الآية العامة بواسطة الآية الخاصة، فخصصنا الكتاب بالكتاب.

2. **تخصيص الكتاب بالسنة**

* كقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} [البقرة: 267]، فإن (ما) اسم موصول يفيد العموم، فتجب الزكاة على هذه الآية في كل خارج من الأرض، ثم ورد لنا الحديث: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة" [أخرجه البخاري ومسلم]، فيكون عموم الكتاب مخصوصا بالسنة.
* ومن تخصيص الكتاب بالسنة: آيات المواريث، فقاتِل أبيه لا يرث، والمخالف لأبيه في الدين كذلك لا يرث.
* ومن أمثلته قول الله جل وعلا: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ} [البقرة: 275]، ليس كل البيع حلال، هناك بيوع يسميها الفقهاء بالبيوع الفاسدة، مُحَرَّمَة بنصوص السنة النبوية، كالأحاديث التي وردت مثلاً في تحريم بيع الملامسة، والمنابذة، بيع الغرر، وغير ذلك من أنواع البيوع المحرمة.

3. **تخصيص الكتاب بالإجماع**

* ومثّل له بعضهم بقول الله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ} [النساء: 11]، خص بالإجماع على أن الابن المملوك لا يرث.
* وكذلك قوله تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ} [المائدة: 4]، خص بالحيوات غير المأكول بالإجماع.

4. **تخصيص الكتاب بالقياس**

من أمثلته قوله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور: 2]، فقوله: (الزانية) عام، خص بقوله تعالى: {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} [النساء: 25]، وقوله: (والزاني) عام خص في المملوك قياساً على الأَمة فلا يجلد إلا خمسين جلدة.

5. **تخصيص السنة بالكتاب**

* أن يكون المُخَصِّصُ هو القرآن وأن يكون العام في السنة، وهذا يقول العلماء بأنه عزيز، **وأمثلته:**
* قوله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يشهدوا أن لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأن محمداً رسول الله...الحديث" [البخاري: حديث رقم (1399)، مسلم: حديث رقم (20)]، خص بقول الله جلّ وعلا: {قَاتِلُوا

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: 29].

* وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم في الصدقة: "لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ" [أبو داود: حديث رقم (1634)]، خص بقول الله جل وعلا قال في شأن الصدقات: {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} [التوبة: 60]، قد يكون العامل عليها من الأغنياء وله أن يأخذ من هذه الصدقة.

6. تخصيص السنة بالسنة

ومن أمثلته: تخصيص عموم قوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة بعد الفجر ولا بعد العصر" [البخاري: 586، ومسلم: 827]، بحديث: قضائه صلى الله عليه وسلم لسنة الظهر بعد العصر، ولإقراره صلى الله عليه وسلم لمن لم يصل سنة الفجر قبلها بأن يصليها بعد الفجر.

7. تخصيص السنة بالإجماع

كتخصيص قوله صلى الله عليه وسلم: "الماء طهور لا ينجسه شيء" [أبو داود: 66] بوقوع الإجماع على نجاسة الماء المتغير بالنجاسة.

8. تخصيص السنة بالقياس

كقوله صلى الله عليه وسلم: "البِكر بالبِكر جلد مائة وتغريب عام" خص بقياس العبد على الأمة في تنصيف العذاب والاقتصار على خمسين جلدة، على المشهور.

رابعاً - المُطلَق والمُقَيَّد:

1. المطلق

تعريف المطلق لغةً واصطلاحاً:

المطلق لغةً: ضد المقيد، وهو المرسل الذي لا يوجد له قيد.

المطلق اصطلاحاً: ما دل على الحقيقة بلا قيد.

- **المراد بالمطلق اصطلاحاً:** اللفظ الدال على أصل الجنس بحيث يتحقق مفهومه بواحد من أفراده، أو بمجموعة من الأفراد. فخرج بقول أهل العلم: "ما دل على الحقيقة"، خرج العام؛ لأنه يدل على العموم لا على مطلق الحقيقة فقط، وخرج بقولنا "بلا قيد"، المقيد - وهو الذي سيأتي إن شاء الله شرحه.
- **ومثاله:** قول الله سبحانه وتعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة: 3]، هنا (رقبة) نكرة في سياق الإثبات.

2. المُقَيَّد

تعريف المقيد لغةً واصطلاحاً:

المقيد لغةً: ما جعل فيه قيد من بعير وغيره.

المقيد اصطلاحاً: ما دل على الحقيقة بقيد. (يعني أنه مقيد بوصف أو بنحوه)

- المقيد على نوعين:

الأول: الأفراد، مثل: زيد، وعمرو، فإن هذا مقيد.

الثاني: ما ذكر فيه وصف يُخرج بعض أفراد الجنس.

- **ومثاله:** قول الله جل وعلا: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} [النساء: 92]، هنا (رقبة) مقيدة بوصف، قيدت الرقبة بالإيمان، فالمقصود ليست أي رقبة، وإنما الرقبة المؤمنة هي المقصودة.

حكم العمل بالمطلق والمقيد:

يجب العمل بالمطلق على إطلاقه إلا بدليل يدل على تقييده؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك. لأن التعبد معناه أن تؤمن بنصوص الكتاب والسنة على ما تقتضيه هذه الدلالة من دون أن تحرف أو تزيد أو تنقص منها، فلا تأتي إلى أمرٍ مطلق فتقيده بوصف أو غاية معينة من دون دليل، نقول هذا خلاف ما أمر الله سبحانه وتعالى به.

وإذا ورد نص مطلق ونص مقيد، وجب تقييد المطلق به إن كان الحكم واحدا، وإلا عُمِلَ بكل واحد على ما ورد عليه من إطلاق وتقييد.

حمل المطلق على المقيد يأتي على ثلاث صور:

1. **الصورة الأولى: أن يكون الحكم واحداً فيهما لكن السبب مختلف:**

مثال: قول الله جل وعلا في كفارة الظهار: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة: 3]، (رقبة) نكرة في سياق الإثبات فتكون مطلقة، ثم قال تعالى في كفارة القتل: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} [النساء: 92]، فهنا الحكم واحد وهو وجوب عتق رقبة، والسبب مختلف، هناك ظهار وهنا قتل، فهل يحمل المطلق على المقيد أم لا؟ هذا موطن خلاف بين العلماء، **والجمهور يقولون بحمل المطلق على المقيد** من باب اللغة وبعضهم يقول من باب القياس. وعليه، فيجب تقييد المطلق في كفارة الظهار بالمقيد في كفارة القتل، وهو اشتراط الإيمان في الرقبة في كلٍ منهما.

2. **الصورة الثانية: إذا كان الحكم مختلفاً: فحينئذ لا يحمل المطلق على المقيد:**

مثال: قول الله جل وعلا: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: 38]، أيدي نكرة مضاف في سياق الأمر فحينئذ تكون مطلقة، من أين تقطع الأيدي؟ لم يذكر هذا الدليل، ثم جاءنا دليل آخر وهو قوله سبحانه وتعالى في آية الوضوء: {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} [المائدة: 6]، فقيد الأيدي إلى المرافق، فهل نحمل الآية الأولى على الثانية ونقول نقطع يد السارق إلى المرفق أو لا؟ نقول: هنا الحكم مختلف، في الأول قطع، وفي الثاني غسل. فإذا اختلف الحكم لم يصح حمل المطلق على المقيد.

3. **الصورة الثالثة: أن يتحد الحكم والسبب، فحينئذ يحمل المطلق على المقيد:**

مثال: جاء في الحديث: "لا نكاح إلا بولي"، وفي لفظ آخر: "لا نكاح إلا بولي مرشد"، فحينئذ الحكم واحد وهو اشتراط الولي، والسبب واحد وهو النكاح، فيحمل المطلق على المقيد.

خامساً – المُجْمَل والمُبَيَّن

1. المجمل

تعريف المجمل لغةً واصطلاحاً:

المجمل لغةً: المبهم والمجموع

المجمل اصطلاحاً: ما يتوقف فهم المراد منه على غيره، إما في تعيينه أو بيان صفته، أو مقداره.

المجمل هو اللفظ الذي يحتاج إلى بيان، ومن أمثلته قوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام: 141]، "حقه" لا يعرف إلا بأدلة أخرى توضح المراد منه، فجاءت السنة النبوية وبينت ما أُجمِل في كتاب الله سبحانه وتعالى في مقدار زكاة الزروع. كذلك مثلاً ما يتصل بقول الله جل وعلا {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، ففي كتاب الله جل وعلا لم يرد ما يتعلق ببيان كيفية إقامة الصلاة من الركوع والسجود، والأذكار، والأركان، ونحوها، فهذه كلها إنما تم بيانها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

حكم العمل بالمجمل:

يجب على المكلف عقد العزم على العمل بالمجمل متى حصل بيانه.

المجمل يجب رده إلى المبين ليوضح لنا ما المراد من المجمل.

2. المُبَيَّن

تعريف المُبَيَّن لغةً واصطلاحاً:

المبين لغةً: المظهر والموضح

المبين اصطلاحاً: ما يفهم المراد منه إما بأصل الوضع أو بعد التبيين.

- **مثال ما يفهم المراد منه بأصل الوضع**: لفظ، سماء، أرض، جبل، عدل، ظلم، صدق، فكل هذه الكلمات ونحوها مفهومة بأصل الوضع ولا تحتاج إلى غيرها في بيان معناها.
- **ومثال ما يفهم المراد منه بعد التبيين**: قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43]، فإن الإقامة والإيتاء كل منهما مجمل، ولكن الشارع بينهما، فصار لفظهما بيّنا بعد التبيين.
- ففي الصلاة جاءت السنة النبوية ببيان كيفية الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي" [البخاري: (631)]، وفي الزكاة جاءت السنة النبوية ببيان الأنصبة والمقادير، وفي الحج جاء قول الله تعالى مجملاً: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97]، فحج عليه الصلاة والسلام وقال: "خذوا عني مناسككم" [مسلم: (1297)]، فصار كل شيء في محله بيّناً واضحاً لا يحتاج إلى أن يعترض في أفهامنا من كلام الله سبحانه وتعالى أي شيء.

حكم العمل بالمبين:

يجب العمل به ويجب السير على مقتضاه.

هذا ما يسع الوقت لبيانه، في مسألة المجمل والمبين وهو إن شاء الله أمرٌ واضح وبيّن، والمفسِّر لا غنى له عن هذه الأحكام، لا بد أن يعرف ما هو الذي أجمل في كتاب الله وما هو المبين في شريعة الله سبحانه، ولهذا لا يحسن للمفسر أن يبدأ في تفسير كلام الله وهو خالي الذهن من سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه سيتكلم ببعض الوحي دون بعضه، والواجب عليه أن يكون علم الوحي قد بذل فيه وسعه واجتهاده، ويملك أدوات البحث فيه حتى يصل إلى بيان القرآن الكريم بالقرآن وبالسنة كما مرّ معنا في طرق التفسير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **منيرة فهد.**

✍ قام بالمراجعة الأولى: **أخ في الله.**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ **تنبيه هام:** تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة وكتابة المحاضرة مرة أخرى بالكامل، وإضافة معلومات أساسية تفيد في فهم هذه المباحث من دلالات الألفاظ، وذلك نقلاً من، واختصاراً عن، وبالاستعانة بكتاب "شرح الأصول في علم الأصول" لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، شرح معالي الشيخ الدكتور سعد بن ناصر الشثري، والسبب الداعي إلى ذلك هو دقة المصطلحات العلمية في هذا الباب والتي يجب الالتزام بتعريفاتها والشروح عليها بنفس الألفاظ التي وضعها العلماء المتخصصون في هذا الباب لتقريب المعلومة لمن لم يسبق له دراسة علم أصول الفقه. هذا مع عدم الإخلال بمضمون كلام الدكتور المحاضر، حفظه الله ورعاه.

رئيفة درويش

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة التاسعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ثم أما بعد. هذه هي الحلقة التاسعة عشرة من سلسلة حلقات دروس أصول التفسير ضمن المستوى الثاني من برنامج السعدي الذي تقدمه أكاديمية تفسير. نسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا وإياكم علماً نافعاً وعملاً صالحاً، إنه سميع مجيب.

حديثنا اليوم بأذن الله تعالى سيكون في أحد موضوعات علم أصول التفسير وهو: موضوع **قواعد التفسير**، وقد علمت من الإخوة القائمين على الأكاديمية أن هناك مقرر مستقل لعلم قواعد التفسير يتم دراسته بمزيد تفصيل؛ وإنما هو مدرج في خطة دراسة مقرر أصول التفسير هذا على سبيل الإشارة فقط، ولأجل ذِكر بعض أشهر القواعد المرتبطة بهذا العلم، قواعد التفسير. وعلى أية حال، فإن **قواعد التفسير مشتق أو وليد من أصول التفسير**، ولا غنى للمفسِّر عن هذه القواعد، وإن كانت قد أخذت في أيامنا هذه شكل مباحث مستقلة جعلت لكل فنٍ استقلاليته في التصنيف. وكل هذه الفنون وإن سُمّي هذا بقواعد التفسير، وسُمّي الآخر بأصول التفسير فكلها يجمعها باب واحد وهو تفسير القرآن الكريم.

✓ قواعد التفسير

أولاً- المقصود بقواعد التفسير، وأهميتها: [31]

((يقول الدكتور علي سليمان العبيد في كتابه *تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه*:

قواعد التفسير هي الأحكام الكلية العامة التي يتوصل بها إلى إيضاح تفسير القرآن الكريم.

إن لتفسير القرآن كلام الله تعالى قواعد مهمة وضعها العلماء الذين اهتموا بدلالة الألفاظ، وهي متفرقة بين كتب أصول الفقه، والتفسير، والبلاغة، واللغة، وإن كان الأصوليون أكثر من تعمق فيها واستخرجها.

وقد بين الزركشي في كتابه *البرهان في علوم القرآن* أهمية هذه القواعد التي سمَّاها بالقانون العام فقال: "ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات

[31] تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد، ص 125.

على بعض، لبلاغته ولطف معانيه، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه، وظاهره، وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق عنه الفهم".

ويمكن تقسيم القواعد إلى قسمين:

- **القواعد العامة**: وهي التي يمكن أن يعملها المفسر عندما يفسر آية من القرآن، ويصح أن نسميها بالقواعد التفسيرية، أو قواعد التفسير.
- **القواعد الترجيحية**: وهي التي يمكن أن يعملها المفسر عند الترجيح بين أقوال المفسرين.

ومع تقسيم هذه القواعد إلى قسمين فإنهما قد يتداخلان فيكملان بعضهما. ويمكن الإفادة من هذه القواعد عند تفسير آيات التنزيل، لتوضيح المعنى، ولاستخراج فوائد ونكات أصولية أو لغوية أو بلاغية، ولاختيار أحد الأقوال على غيره، ولرد أحد الأقوال،.... ونحو ذلك.)) انتهى كلامه.

* تعريف آخر لقواعد التفسير:

هي أحكامٌ أغلبية يُتوصل بها إلى معرفة الراجح من المرجوح في المعاني المرتبطة بكلام الله سبحانه وتعالى. وهذه الأحكام الأغلبية قد تُنسج في لفظة شاملة كاملة يندرج تحتها تطبيقات كثيرة.

* من المؤلفات في قواعد التفسير:

- كتاب *قواعد التفسير جمعاً ودراسة*، للدكتور خالد السبت.
- كتاب *قواعد الترجيح عند المفسرين*، للدكتور حسين الحربي.
- مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين.

ثانياً - من أشهر قواعد التفسير:

سنقوم في هذه الحلقة والحلقة القادمة بإذن الله تعالى بدراسة ست قواعد من أشهر قواعد التفسير.

القاعدة الأولى: الأصل حمل ألفاظ القرآن الكريم على ظاهرها إلا لدليل يصرفه عنه

- ((يجب حمل نصوص القرآن الكريم على ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل من الكتاب أو السنة يجب الرجوع إليه.
- ونلحظ في كتب التفسير وغيرها تفسيراً للنصوص بما لا تحتمله إما بمعان لم تدل عليه الآية، أو بتفصيلات لا يحتملها النص، أو بتفسير باطني لا يعرفه إلا الخاصة، أو بتأويلات تتمشى مع مذاهب المتأولة الفاسدة.
- وفي تطبيق هذه القاعدة إثبات للنص على ظاهره دون تحريف أو تعطيل، ورد على أولئك المتأولة الذين حملوا النصوص ما لا تحتمل.

- قال ابن جرير الطبري: "فمن ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره، كلّف البرهان على دعواه من الوجه الذي يجب التسليم له".
- والقاعدة المقررة في الأصول: أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليل يجب الرجوع إليه.))[32]
- إذن، هذا هو الأصل في كلام الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز بنا أن نجعل للقرآن ظاهراً وباطناً وأن ندّعي بعد ذلك خلاف ما ذكر الله تعالى لنا في نصوص الكتاب. فظاهر اللفظ هو المقصود، إلا أن يكون هناك دلالة تدل على أنه غير المقصود على ظاهره.
- وحتى يتبين لنا المراد من هذه القاعدة العظيمة، نذكر لها **بعض الأمثلة:**
- قال الله تعالى: **{قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** [الرعد: 16]، لا يجوز في معنى هذه الآية الكريمة أن يتبادر إلى الذهن أن الله عز وجل مخلوق. لا يجوز أن يعتقد أحد هذا المعتقد الفاسد الباطل؛ ذلك لأنه محالٌ في حق الله تعالى، فهو خالق كل شيء، سبحانه وتعالى. وليس المقصود بظاهر الآية دخوله سبحانه وتعالى فيها، حاشاه جل وعلا.
- قال الله تعالى: **{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}** [الأحقاف: 25]، هل دمرت كل شيء، ونحن نرى الأشياء عامرة وقائمة بأمر الله؟ لا، لكن نقول تدمر كل شيء مما كان من شأن القوم المهلَكين، وخروجنا بالنص إلى هذا المعنى لأن هذا الذي يفرضه سياق الآية الكريمة. وسيأتي معنا بإذن الله موضوع النظر في سياق الآيات والذي يعتبر من أهم ما على المفسر أن يتمسك به، خاصةً في القضايا الخلافية في التفسير.

فإذا وقع الخلاف، ارجع إلى سياق الآية، ما قبل الآية، وما بعدها، وعن أي شيء تتكلم الآية، ثم بعد ذلك ستخلص إلى أصح وأقرب الأقوال في معنى الآية التي وقع الخلاف في تفسيرها.

- تأوُّل المتأولين في ظواهر الآيات واختلافهم عليها، هذا لا يتسع المقام لذكره؛ لكن نقول أنه للأسف وقعت من بعض الفرق التي تنتمي للإسلام وتدّعي الإسلام، والإسلام منها براء، **كـ"الر افضة"** الذين جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً وبدأوا يتأولون الآيات وفق مذهبهم وما يشتهون، فعلى سبيل المثال تفسيرهم لقول الله تعالى:

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: 19-22]، فسَّروا قول الحق سبحانه: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ} بأنه عليّ وفاطمة رضي الله عنهما، وفي تفسير قوله تعالى: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ} قالوا بأنه محمد صلى الله عليه وسلم، وفي تفسير قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} قالوا المقصود هو الحسن والحسين رضي الله عنهما. فهل يليق أن يُجعل هذا هو المراد من كلام الله

[32] تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد، ص 129-130.

عز جل، ويأتوا بمعنى لم يكن ظاهراً وإنما هم توصلوا إليه بدلالات يدّعونها؟! قطعاً هذا لا يجوز أن يقال في كلام الله سبحانه وتعالى.

- كذلك افتراؤهم في قول الله تعالى: **{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}** [التحريم: 10]، وقولهم بأن المرأتين هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما، ذلك أنهما تظاهرا على النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في أول سورة التحريم. فأي تأويل أعظم من أن يتم تحريف نص ظاهر في الآية الكريمة في قوله تعالى بأن المرأتين هما امرأة نوح وامرأة لوط، فيتم تفسير تلك الآية وفق أهوائهم وما تشتهيه مذاهبهم الفاسدة بسبب -عياذاً بالله- عداوتهم للصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين؟!!

القاعدة الثانية: إذا احتمل اللفظ أكثر من معنى لا تعارض بينها، حُمِلَ عليها جميعاً

- أي: أن الآية إذا احتملت عدة معان مع إمكان حملها عليها جميعاً، فإننا نحمل الآية على جميع تلك المعاني.
- نجد أحياناً في كتب التفسير وخاصة في المطولات منها مثل تفسير ابن جرير الطبري، يذكر في اللفظة الواحدة خمسة أو ستة أقوال وكل هذه الأقوال ليس بينها تعارض، وقد مر معنا هذا الأمر عند شرحنا لاختلاف التنوع بين المفسرين وأن في مثل هذه الحالة يجوز لنا حمل كل هذه المعاني للفظ الواحد. **ومن أمثلة ذلك:**
- قال الله تعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [الفاتحة: 6]، تجد أن منهم من فسَّر الصراط بأنه الإسلام، ومنهم من يقول هو معالم الدين، ومن يقول هو طريق الجنة، ومن يقول هو ما كان عليه الصحابة ... إلى آخره من العبارات التي في واقعها تتفق ولا تختلف ولا يوجد بينها تعارض. وعليه، يجوز حمل كل هذه الأقوال بأن هذا هو المراد بالصراط.

القاعدة الثالثة: كل عامٍ يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه

- فمتى أمكن حمل الآية على معنى عام، فالأولى حمل النص عليه، ولا داعي لتخصيصه بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير.[33]
- الأصل أن اللفظ العام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه، ولا يجوز أن نأخذ بعض أطراف العام بقيد أو تخصيص دون أن يكون لدينا دليل على هذا التخصيص من الكتاب أو السنة أو الإجماع، فلا يجوز أن نفتري

[33] تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد، ص 128.

على الله جل وعلا في حكمه وفي شرعه ما لم يثبت عندنا بدلالة من الأدلة التي يقول أهل العلم بأنها يجوز تخصص بعض أطراف العام.

- **مثال على هذه القاعدة:**

- قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 79]، لفظ "الناس" وهو لفظ عام، يشمل الناس كلهم جميعا، والمراد هنا المؤمن لأنه هو المخاطب بأحكام الشريعة، وإن كان الكافر يؤاخذ على تركه فروع الشريعة، ولا يجوز له أن يفعلها حتى يدخل في الإسلام. قال تعالى: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ} [المدثر: 42-44]، وهذا دليل على أن الكافر يؤاخذ على تركه فروع الشريعة الإسلامية. فإذن يجب على الناس أن يدخلوا في الإسلام وعلى أن يحجوا بيت الله سبحانه وتعالى.
- مَن المستثنى في قوله تعالى: {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}؟ هل يستطيع أن يأتي أحد وفق هواه ليضيف الكسل مثلا في عدم الاستطاعة؟ لا، لا يجوز أن يتم تخصيص لفظ عام من عندك ووفق هواك. فلو قال أحد من الناس أن الحج للرجال فقط دون النساء لما فيه من مشقة وعناء وأن الجهاد لا يجب إلا على الرجال، هنا نقول: حسبك، هذا التخصيص الذي جئت به من تلقاء نفسك لا تقيسه على تخصيص الجهاد، وذلك لأن هناك حديث عن عائشة رضي الله عنها: "قلت يا رسولَ اللهِ هل على النِساءِ جِهادٌ؟ قال: جِهادٌ لا قِتَالَ فيهِ: الحَجّ والعمرةُ"، وهذا الحديث يقضي على قولك غير ذلك.
- إذن، الأصل في العموم أن يبقى على عمومه ولا يجوز لنا أن نخصصه إلا بدليل يدل التخصيص.

- **ملحوظة: هناك فرق بين مصطلح "النسخ" عند المتقدمين وعند المتأخرين.**
- **فالنسخ في اصطلاح المتقدمين معناه**: البيان، فيشمل تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتبيين المجمل، ورفع الحكم بجملته، وهذا الأخير هو ما يعرف عند المتأخرين بالنسخ.
- قال الإمام ابن القيم في *إعلام الموقعين*: " قلت: ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ: رفع الحكم بجملته تارة .وهو اصطلاح المتأخرين. ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد، أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد. فالنسخ عندهم وفي لسانهم هو: بيان المراد بغير ذلك اللفظ بل بأمر خارجٍ عنه ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يُحصى، وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر".
- **أما عند المتأخرين:** فقد استقر تعريف النسخ اصطلاحاً عند الأصوليين على أنه: هو رفع الحكم الشرعي، بطريق شرعي، متراخٍ عنه.

- النسخ هو: رفع حكم ثابت بخطاب متقدم بواسطة خطاب متراخٍ عنه، فإذا كان لا يوجد هناك رفع لجميع الخطاب فإنه لا يسمى نسخاً وإنما يسمى تخصيصاً.[34]

القاعدة الرابعة: حمل القرآن على الأشهَر المعهود من كلام العرب

- الأصل هو أن يحمل القرآن على الأشهَر المعهود من كلام العرب. فإذا حدث خلاف في قضية من القضايا، فلأي شيءٍ نرجع؟ عندنا ميزان وهو نزول القرآن بلسان عربي، فإذا كان اللسان العربي فيه ما هو أشهر وما هو دون ذلك، فإننا نتعامل مع الأشهر.
- **مثال على هذه القاعدة:**
- الخلاف بين المفسرين في تفسير المراد بالزينة في قول الله تعالى: **{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}** [النور: 31]، ونحن نرجع إلى المشهور في كلام العرب، وحتى في كلام الله تعالى، فنجد أن الزينة المراد بها هو الشيء الزائد على ما هو في أصل الخلقة، فكل ما زيد في أصل الخلقة فهو زينة.
- ((قال الشنقيطي في *أضواء البيان*، وبعد أن ذكر بعض كلام أهل العلم في ذلك وبيّن ما يفهم من آيات القرآن رجحانه، قال: "وقد رأيت في هذه النقول المذكورة عن السلف أقوال أهل العلم في الزينة الظاهرة والزينة الباطنة، وأن جميع ذلك راجع في الجملة إلى ثلاثة أقوال:

1. الأول: أن المراد بالزينة ما تتزين به المرأة خارجا عن أصل خلقتها، ولا يستلزم النظر إليه رؤية شيء من بدنها؛ كقول ابن مسعود، ومن وافقه: إنها ظاهر الثياب؛ لأن الثياب زينة لها خارجة عن أصل خلقتها وهي ظاهرة بحكم الاضطرار، كما ترى .**وهذا القول هو أظهر الأقوال عندنا وأحوطها، و أبعدها من الريبة وأسباب الفتنة.**
2. القول الثاني: أن المراد بالزينة: ما تتزين به، وليس من أصل خلقتها أيضا، لكن النظر إلى تلك الزينة يستلزم رؤية شيء من بدن المرأة، وذلك كالخضاب والكحل، ونحو ذلك ; لأن النظر إلى ذلك يستلزم رؤية الموضع الملابس له من البدن، كما لا يخفى.
3. القول الثالث: أن المراد بالزينة الظاهرة بعض بدن المرأة الذي هو من أصل خلقتها؛ كقول من قال: إن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان."))[35]

[34] شرح الأصول في علم الأصول لابن عثيمين، شرح الدكتور سعد بن ناصر الشثري.

[35] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي، تفسير سورة النور.

- هذه هي الأقوال الثلاثة، ولو رجعنا إلى دلالات الكتاب لوجدنا أن الزينة هي كل ما زاد على أصل الخلقة، ومنه قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: 31]، يعني: زيدوا في الحسن والتجمل، يقول السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: " أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها. ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس."
- إذن، بتطبيق هذه القاعدة التي تقول بأن حمل القرآن على الأشهر المعهود من كلام العرب هو الواجب وهو الذي يترجح في تفسير هذه الآية الكريمة، نعلم أن الزينة عندنا مهما اختلف العلماء فيها، وبالرجوع إلى معناها عند العرب، هي ما زاد على أصل الخلقة.

هذه هي أربع قواعد من قواعد التفسير، وبقي معنا إن شاء الله تعالى قاعدتين نختم بهما هذا المقرر من علم أصول التفسير. نسأل الله بمنه وكرمه أن ينفعنا جميعاً بما نقول ونسمع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **رئيفة درويش.**

✍ المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

✍ **تنبيه:** قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش**

أصول التفسير

د. أحمد عبد الله آل عبد الكريم

المحاضرة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين. أرحب بكم أيها الأكارم في مطلع هذه الحلقة، وهي الحلقة العشرون، وبها تمام حلقات دروس أصول التفسير، المتصلة ببرنامج أكاديمية تفسير، وهو برنامج السعدي، ومن الله سبحانه وتعالى نستمد العون، ونسأله القبول فيما تقدم، وهو المستعان سبحانه وتعالى على أن يلحقنا بركاب أهل العلم والعمل بما نتعلمه، إنه جواد كريم. توقف الحديث بنا في الحلقة الماضية عند **قواعد التفسير**، وأشرنا إلى جملةٍ منها، واليوم بإذن الله نذكِّر بهذه القواعد ثم نكمل حديثنا في نفس الموضوع.

✓ تابع قواعد التفسير

من قواعد التفسير التي تم شرحها في اللقاء السابق:

القاعدة الأولى: الأصل حمل ألفاظ القرآن الكريم على ظاهرها إلا لدليل يصرفه عنه

- تحدثنا وأشرنا إلى مذهب الإمامية الرافضة في فعلهم وتأويلهم لكلام الله سبحانه وتعالى بغير حق، وتصرفهم في دلالات الكتاب على وفق منهجهم وهواهم ومذهبهم الباطل خاصةً مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرنا كمثال على تأويلهم الباطل: أنهم فسَّروا قول الحق سبحانه وتعالى في سورة الرحمن: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} بأن المقصود بالبحرين هو عليّ وفاطمة رضي الله عنهما، وفي تفسير قوله تعالى: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} قالوا بأنه محمد صلى الله عليه وسلم، وفي تفسير قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} قالوا المقصود هو الحسن والحسين رضي الله عنهما، وهذا تأويل ظاهر البطلان بَيِّنٌ، فلا يمكن أن يسلّم لهم بحجتهم الباطلة، أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا.
- كذلك افتراؤهم على أن المراد في آخر سورة التحريم في ضرب المثل للكافرين {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ} أنهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما.
- فهذا كله من الإساءة إلى كتاب الله، والإساءة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شك في كفر أهل هذه المذاهب الباطلة، الذين يلوون أعناق نصوص الكتاب والسنة على وفق هواهم.

القاعدة الثانية: إذا احتمل اللفظ أكثر من معنى لا تعارض بينها، حُمِلَ عليها جميعاً

قلنا بأن هذه القاعدة أصلٌ أصيل من أصول التفسير، تكرر معنا كثيرًا، وقد ذكرناه في الخلاف في التفسير، وأن هذا من خلاف التنوع، وأنه لا يجوز لنا أن نردَّ قولًا صحيحًا ونقدم عليه غيره، فنجعل هناك صحيحًا وباطلًا، بل الكل يدخل في المعنى ولا بأس أن يُقَدَّم أحدها على الآخر، لكن لا يجعل القول الآخر قولًا باطلًا، سيما إذا كان مرويًا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو عن التابعين، وذلك لأننا قد درسنا في طرق التفسير، تفسير القرآن بأقوال الصحابة، ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين.

القاعدة الثالثة: كل عامٍ يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه

وهذه أيضًا قاعدةٌ عظيمةٌ في فهم كلام الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يُخص منها إلا ما جاء الدليل الصحيح بتخصيصه، وعندنا الأدلة المتفق عليها عند العلماء وهي الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، فهذه الأدلة هي التي يُنظر فيها، فإذا كان هناك نص من الكتاب ونص من السنة، أو إجماع يدل على أن الأمر منسوخ بالكلية، أو منسوخ بعض أجزائه بتخصيص أو تقييد، فإنه يُحكم به، وإلا فلا يجوز ردُّ الآية الكريمة التي تدل على العموم.

القاعدة الرابعة: حمل القرآن على الأشهَر المعهود من كلام العرب

جئنا في الحلقة السابقة على مثال لهذه القاعدة وهو: اختلاف المفسرين في المقصود بلفظ **"الزينة"** في قول الله سبحانه وتعالى في سورة النور: **{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}**، ووضحنا أن الصواب بعد النظر إلى أدلة الكتاب التي تحمل مصطلح الزينة، هو أن الزينة هي القدر الزائد على أصل الخِلقة، والدليل من الكتاب هو قول الله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أي زيدوا في ما أنتم عليه حتى تهيأوا للصلاة وتتطيبوا لها وتلبسوا لها أحسن الثياب، وقد جاء ما يدل على هذا أيضًا في السنة النبوية.

نكمل في هذا اللقاء بإذن الله تعالى ما تبقى لنا من المقرر من قواعد التفسير، فنقول بأن كل هذه القواعد نحتاجها عندما نجد أقوالاً فيها خلاف بين المفسرين ربما تكون متعارضة أو لا يستطيع أن يفهمها، فنقول عليك بأن تحكِّم هذه القواعد وبإذن الله ستطمئن للنتيجة.

القاعدة الخامسة: السياق حاكمٌ على النص ومؤثرٌ فيه

- السياق قضية مهمة في باب الترجيح بين الأقوال، فالسياق يعتبر من أهم المرجحات في فهم النص القرآني.

- ((يقول الدكتور خالد السبت في كتابه *قواعد التفسير* موضحاً لهذه القاعدة: "عند تفسير كلام الله عز وجل يجب مراعاة السياق، ومقتضى الحال، والنظر في قرائن الكلام، وضم النظير إلى نظيره، لأن دلالات الألفاظ تختلف حسب الإطلاق والتقييد والاقتران والتجريد."
ويضيف الدكتور خالد السبت نقلاً عن ابن جرير الطبري بتصرف: "هذا ولا يجوز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به الحجة لأن توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه"))[36]

- المقصود من هذه القاعدة هو النظر في السياق، فالأصل والأولى أن تنظر في الأقوال التي لا تُخرِج تفسير اللفظة التي تريد البحث عن معناها عن سياق الآية، **والمراد بسياق الآية هو: ما قبل اللفظ الذي تريد البحث عنه وما بعده**، فانظر في كيف سيقت الآية، ثم حاول ألا يخرج القول الذي تريد اختياره عن هذا السياق.

- ((يقول الدكتور حسين الذهبي في كتابه *التفسير والمفسرون*: "وقد قالوا [أهل التفسير]: إن القرآن يفسر بعضه بعضا، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"))[37]

- **من الأمثلة على هذه القاعدة** - وهو أن ننظر في السياق فنحكِّمه في خلاف الآية وفي خلاف اللفظة التي نريد البحث فيها - قول الله جل وعلا: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}** [الأنعام: 91]، مَن هم هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة؟ **وقع الخلاف بين المفسرين، هل هم اليهود؟ أم هم مشركو مكة؟**

- وهذا الأمر قد يقع في بعض الآيات الواردة في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن عداوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت من المنافقين، وقبلهم من المشركين في مكة، واليهود في المدينة، فهذه أحيانًا تجعل بعض المفسرين يخص بها طائفة من هذه الطوائف، لذلك علينا أن ننظر في سياق مثل هذه الآيات.

- قال **ابن جرير الطبري** رحمه الله، ويُحَكِّم ابن جرير هذه القاعدة مع هذين القولين، فيقول رحمه الله:
"وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عنى بقوله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} مشركو قريش. وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولم يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئا من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم

---

[36] قواعد التفسير جمعاً ودراسة، الدكتور خالد بن عثمان السبت، ص 653، 654.

[37] التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 192- 193 (وفي نسخة أخرى ص 232).

وموسى وزبور داود. وإذا لم يأت بما روي من الخبر، بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود، خبر صحيح متصل السند، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} موصولا بذلك غير مفصول منه، لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

ولكني أظن أن الذين تأوّلوا ذلك خبرًا عن اليهود، وجدوا قوله: { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ }، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرأوه على وجه الخطاب لهم: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ} ، فجعلوا ابتداء الآية خبرًا عنهم، إذ كانت خاتمتها خطابًا لهم عندهم.

وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}، في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل، فالأولى أن يكون ذلك خبرًا عنهم.

والأصوب من القراءة في قوله: {يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا}، أن يكون بالياء لا بالتاء، على معنى: أنّ اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا، ويكون الخطاب بقوله: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ}، لمشركي قريش. وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك، وكذلك كان يقرأ." انتهى كلامه.

- طبعًا قد نلاحظ أن لغة ابن جرير رحمه الله تختلف عن لغة من جاء بعده، وذلك لأنه من الطبقة الأولى من المفسرين، توفي سنة 310هـ، فلهاذا ربما نجد في ألفاظه ما لم نعتد قراءته في كتب من جاء بعده من المفسرين.

- خلاصة الأمر فيما يقول ابن جرير:
 * إن ذكر هؤلاء اليهود لم يرد في السياق، هذا واحد.
 * إثنين: لم يأت دليل صحيح متصل على أن المراد بهم اليهود.
 * ثلاثة: ليس هناك إجماع يدل على أن المراد بهؤلاء هم اليهود.
 * إذًا النتيجة أن نجعل النص فيما سيق له، والسورة من أولها إلى هذا السياق في ذكر مشركي مكة، فلماذا تنتقلون من كونهم مشركي مكة إلى كونهم اليهود.

- وينصر **ابن كثير** رحمه الله اختيار ابن جرير الطبري، فيقول:

"والأول هو الأظهر[المراد مشركو مكة]؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش - والعرب قاطبة - كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر، كما قال تعالى: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس : 2]، وقال تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ

أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} [الإسراء: 94-95]، وقال هاهنا: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}." انتهى كلامه.

- إذًا قضية المجادلة في بشرية الرسل، هذه قضية مشركي مكة، والسياق في ذكر مشركي مكة، وما عندنا دليل صحيح ولا إجماع يقضي بأنهم اليهود، إذًا نختار بأن القضية هنا مرتبطة بمشركي مكة.
- نرجع مرة أخرى إلى القاعدة، السياق حاكم على النص ومؤثر فيه، قد يقول قائل: هل هذه براءة لليهود؟ لا، ليست براءة لليهود من كفرهم بالأنبياء وقتلهم الأنبياء، وهذا كله وارد في كتاب الله جل وعلا، لكن نحن الآن نفسر آية يعني الله جل وعلا بها قومًا، وقد قالوا هذه المقالة {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}، ونرجح الخلاف في تفسير مَنْ هم هؤلاء القائلون؟ والبحث فيها يجعلنا نُخرِج اليهود لعدم الدلالة من الكتاب، ولا من السنة، ولا من السياق على أنهم هم المقصودون بالآية، إلى أنهم هم مشركو مكة وكفار مكة.
- هذه إذًا قاعدة "السياق حاكم على النص ومؤثر فيه"، ومن يقرأ في الكتب سيستخرج هذه القواعد منها. لو مثلًا طبقنا عليكم أن تقرأوا في تفسير سورة من سور القرآن لإمام من الأئمة المتقدمين، وتنظروا وهو يفسر الآية كيف يُحَكِّم السياق في تفسير الآية، لكان هذا حقيقة نزولًا إلى ميدان هذه القاعدة، وكل قاعدة من هذه القواعد لا شك أن لها تطبيقات كثيرة في كتب المفسرين رحمة الله عليهم؛ بل إن هذه القواعد في واقع الأمر لم تنتزع إلا من كتب المفسرين، فهم الذين يوردون هذه القضايا عند مسألة من المسائل التي يقع فيها الاختلاف.

القاعدة السادسة: إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردّها

- ((إذا توفر للقراءة أركانها وشروطها المثبتة، فإنه يجب قبولها واعتبارها قرآناً منزلاً. وقد قرر ذلك العلماء المحققون، قال ابن الجزري في *النشر في القراءات العشر*: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف الثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها"))[38]
- ما دامت القراءة ثابتة، فهذه القراءة يجب الأخذ بها.

[38] تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي سليمان العبيد، ص 126.

- **إذا كانت القراءة مفسِّرة لقراءة أخرى**: مثلًا قوله جل وعلا في سورة الكهف: **{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ}** [الكهف: 86]، جاءت قراءة: **{فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ}**، وفي قراءة: **{فِي عينٍ حَامِيَة}**.

- كذلك قول الله تعالى في سورة المائدة: **{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}** [المائدة: 89]، جاءت قراءة: **{عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}**، وفي قراءة: **{عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ}**، لا نجد أن هناك خلافًا بين هذه القراءات، فالأمر في هذا يسير وسهل، ونقول: إذا تعددت القراءات وجب الأخذ بها، وهذه القراءات يفسر بعضها بعضًا.

- **أما إذا اختلفت القراءتان في المعنى، والقراءتان ثابتتان**: فيقرأ قارئ بقراءة، ويقرأ قارئ بقراءة أخرى تخالف القراءة الأولى من جهة المعنى، فهل نقول: نأخذ بواحدة من هذه القراءات ونترك الأخرى؟ لا، ليس الأمر كذلك، بل القاعدة في هذه الحالة هي: **إذا ظهر تعارض بين قراءتين للآية الواحدة فلهما حكم الآيتين**، فنعتبر هذه آية مستقلة، وهذه آية مستقلة، **وتكون بمثابة خلاف التنوع**، ونثبت دلالة الآية الأولى، وكذلك نثبت دلالة الآية الأخرى.

- ومثال ذلك، قول الله سبحانه وتعالى في سورة البروج: **{ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}** [البروج: 15-16]، وَرَدَ في "المجيد" قراءتان، **{الْمَجِيدُ}** برفع الدال، و**{الْمَجِيدِ}** بالجر، فالقراءة الأولى قراءة الرفع تكون معربة بأنها صفة لذو، وقراءة الجر تكون صفة للعرش، فنقول في القراءتين: تُحمَل كل قراءة في بابها وعلى معناها، ولا يجوز لنا أن نجعل هاتين القراءتين من قبيل المتعارض الذي يوجب علينا أن نرجِّح واحدة ونلغي الأخرى، فالقراءة الأولى معمول بها وهي على معناها، والقراءة الثانية معمول بها وهي على معناها، قد يقول قائل: هما آية واحدة، نقول: آية واحدة ثبت فيها قراءتان، نجعل الحكم فيهما أن هاتين القراءتين كالآيتين، وإن كانتا في موضع واحد فهما كالآيتين، وهذا من باب خلاف التنوع.

- ومن أمثلة هذه القاعدة أيضاً: في سورة المائدة قول الله سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}** [المائدة: 6]، جاءت قراءة: **{وَأَرْجُلَكُمْ}** بفتح اللام، وفي قراءة أخرى: **{وَأَرْجُلِكُمْ}** بخفض اللام، فالقراءة التي على الخفض تعطف على المخفوض قبلها **{بِرُءُوسِكُمْ}**، والقراءة المنصوبة تعطف على المنصوب قبلها **{وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ}**. إذًا، عندنا الغسل وعندنا المسح، هل نقول بأن هذا مختلف في الآية ومتعارض؟ لا، لا نقول هذا؛ بل القراءتان صحيحتان ومقروءٌ بهما ومعمول بهما، فقراءة النصب على الغسل، وقراءة الخفض على المسح، وهذا محمول على المسح على الخفين، وقد ثبتت الأدلة الشرعية المتواترة على أن المسح على الخفين حكمٌ شرعي وسنة ثابتة نازلة بوحي الله سبحانه وتعالى، أباحها الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا تنزل القرآن بالنصب

وبالخفض، فإذًا لا إشكال في هذه القراءة؛ لأن الأولى ثابتة والثانية ثابتة، وقاعدتنا هذه في أنه إذا ثبتت القراءة فيجب الأخذ بها.

هذا ما تيسر شرحه في موضوع **قواعد التفسير** في هذه الحلقة الخاتمة لما بدأناه من أول لقاءاتنا والتي استمرت عشرين لقاءً سلطنا فيها الضوء حول بعض موضوعات علم أصول التفسير، قد اجتهد مُحَدِّثكم في عرضها ونقلها وبيانها، فما كان من صواب فهو من الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، وما كان من خطأ فهو من نفسي المقصرة المذنبة وأستغفر الله سبحانه وتعالى منه، وهو سبحانه وتعالى الغفور الكريم.

وبعد هذا العرض الذي استمر لهذه الحلقات بهذه الساعات والدقائق، أُحمِّلكم أمانة إرسال كل ما يعترض عليه الطالب من جهة الأحكام المعروضة، أو من جهة الدراسة المغلوطة، أو من جهة الاستدراك على الأستاذ. ومن جانبٍ آخر أُحمِّلكم وصية قد أمر الله جل وعلا بها، وهي تقواه في السر والعلن، وهي وصية الله للمتقدمين والمتأخرين وللناس أجمعين، بتقواه سبحانه وتعالى، وهي الوصية التي ما فتئ النبي صلى الله عليه وسلم يذكرها لأمته، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}، فنسأل الله أن يجعلنا من المتقين، وأن يجعلنا ممن يقول قولًا سديدًا؛ لنظفر بالنتيجة، وهي قوله سبحانه وتعالى: { يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح نياتنا وذرياتنا وأعمالنا، إنه سبحانه وتعالى سميعٌ مجيب. ثم أوصيكم بالدعاء لأهل هذه الأكاديمية المباركة من عميدها والطاقم العامل فيها وأساتذتها؛ لأنهم ما اشتغلوا وما انقطعوا إلا لأجل نشر العلم، فنسأل الله أن يرزقنا وإياهم النية الصادقة الصالحة، ثم خصُّوا مُحدِّثكم بالدعاء بالمغفرة والهداية والصلاح، وقبول عمله عند الله سبحانه وتعالى. أسأل الله الكريم أن يجعل لكم بمثل ما دعوتم، وألَّا يحرمنا وإياكم دعوات إخواننا وأخواتنا في مشارق الأرض ومغاربها. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أحمد عبد الرحمن.**

المراجعة النهائية، والتدقيق اللغوي، وضبط الصياغة، ووضع العناصر والعناوين، والتنسيق والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة عن المادة المكتوبة بسبب إعادة صياغة بعض عناصر المحاضرة، وإضافة بعض المعلومات الإثرائية التي تم الإشارة إلى مصادرها في ثنايا المحاضرة. **رئيفة درويش.**

تم بفضل الله.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

ما كان من توفيق فمن الله سبحانه وتعالى،

وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان..

اللهم تقبل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم..

اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين..

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفقيرة إلى عفو ربها،

رئيفة درويش

22 ذو القعدة 1439 هـ / 4 أغسطس 2018 م